منصور بن محمد بن حسن الزبيري

جامع الردود العلمية

على الشبهات القديمة والعصرية

الجزء الأول



جامع الردود العلمية

على

الشبهات القديمة والعصرية

الجزء الأول

جامع الردود العلمية

على

الشبهات القديمة والعصرية

الجزء الأول

كتبه

منصور الزبيري

إمام وخطيب مسجد الراعي

الأصبحي - صنعاء

قدَّم له فضيلة الشيخ العلامة:

محمد بن عبد الله الإمام

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم فضيلة الشيخ العلامة:

الجمهورية اليمنية
محافظة ذمـــار
دار الحديث بمعبر

محمد بن عبد الله الإمام

التاريخ: ١٢/رجب/١٤٤٢ هـ
اليوم: الأربعاء

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

فقد اطلعت على مجموعة من الردود لكاتبها وراقمها الشيخ: منصور بن محمد بن حسن الزبيري ـ حفظه الله ـ فرأيتها نافعة ومفيدة، وبأسلوب حسن، وسير معتدل في المناقشة وبيان الحق؛ فبارك الله له فيها ونفع الله بها من يشاء من عباده، ونقول له: مزيدًا من الخدمة للإسلام بالمواصلة في طلب العلم، والدعوة إلى الله بالتأليف والتدريس على طريقة أهل السنة والجماعة.

كتبه: محمد بن عبد الله الإمام

١١/ رجب/ ١٤٤٢هـ

أبو نصر
محمد بن عبد الله الإمام
/ / ١٤هـ

استهلال

إن من أكبر المشاكل في العصر الحاضر، تلك الإشكالات التي تواجه الشباب اليوم، والتي قد تعصف ببعضهم، إن لم يقم المختصون من أهل العلم والحكمة والخبرة والتجربة بتوضيح تلك الإشكالات التي وضعها أعداء الإسلام لتشكيك الشباب في الأصول والثوابت الإسلامية، وذلك بعد أن صار العالم اليوم كالقرية الواحدة في عالم الاتصالات والمواصلات، ولم يبق أمام أهل الباطل إلا الإسلام، وسيبقى الإسلام صامدا أمام أهل الباطل، محفوظا بحفظ الله له إلى قيام الساعة، وسيظل هو العصمة والحصن المنيع والملجأ والمنقذ للبشرية من براثن الشرك والوثنية والطاغوتية والخرافة، وستكون العقيدة الإسلامية، وهي عبادة الله وحده لا شريك له والإيمان بجميع رسله واتباع شريعة خاتمهم، هي المانعة لهم من دخول النار والخلود فيها، فعلى أهل الاختصاص أن يقوموا بالرد على تلك الشبهات بالحجة والبرهان من المنقول والمعقول والواقع، وأن يوسعوا صدورهم للرد على تساؤلات الشباب وأن يردوا على تساؤلاتهم بالطريقة المثلى، التي تجمع بين العلم والحكمة، والشباب هم أمل الأمة بعد الله، وهم ذخرها وقوتها ومستقبلها، وعليهم يبنى مجدها، فاللهم احفظ شباب المسلمين من كيد الكائدين واهدهم لأحسن الأخلاق والأعمال ونور بصائرهم وثبتهم على العقيدة الصحيحة وارزقهم الوسطية والاعتدال وأعد بهم للأمة مجدها وعزها وكرامتها واجعلهم هداة مهتدين لتسعد بهم البشرية جمعاء إنك على كل شيء قدير وأنت أرحم الراحمين.

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [سورة النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب:٧٠-٧١].

إن الحق والباطل في صراع إلى قيام الساعة وقد بين الله في سورة محمد أنه سيبتلي أهل الحق بأهل الباطل قال تعالى: ﴿وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖ﴾ [سورة محمد:٤]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا﴾ [سورة الفرقان:٢٠].

وقد قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والحق منصور وممتحن فلا تعجب فهذي سنة الرحمن

وبـذاك يظهر حزبـه من حربـه ولأجـل ذاك النـاس طـائفتـان
ولأجل ذاك الحرب بين الرسل وال كفـار مـذ قـام الورى ســـجلان
لكنمـا العقبى لأهـل الحق إن فـاتـت هنا كـانـت لـدى الـديان

وبين الله السبب والهدف من محاربة أهل الباطل للحق وأهله، فقال: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة التوبة:٣٢-٣٣].

وبين الله في سورة الفرقان أن الرد على أهل الباطل من الجهاد في سبيله، آمرا نبيه بذلك فقال: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [سورة الفرقان:٥٢]

أي: بالقرآن كما نقله الحافظ ابن كثير عن ابن عباس ☹، وسورة الفرقان مكية وإنما كان الجهاد بمكة باللسان.

وبين الله أن من الحِكم في تفصيل الآيات حتى تستبين سبيل المجرمين ويعرفها الناس قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [سورة الأنعام:٥٥] وهذا على قراءة الرفع في(سبيلُ) أما على قراءة الفتح فالمعنى ولتستبين، أنت يا محمد، سبيل المجرمين.

وبين الله بأنه لو لا قيام أهل الحق ببيان الباطل والرد على أهله لفسدت الأرض بالشرك والكفر والمعاصي وهذا هو الفساد الأعظم قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾[سورة البقرة:٢٥١].

وقد مدح الله رجلا آمن بالله وبرسله وقام يدعوا الناس إلى اتباع الرسل وتركِ

الباطل من الشرك ومخالفة الرسل ومعاداتهم، وأخبر الله بكرامته ودخوله جنته التي فيها مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خطرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ. واقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ﴾ [سورة السجدة:١٧] وذلك بعد أن قُتِل الرجلُ في سبيل ذلك.

وفي هذه الأدلة رد كاف على من يزهد في الرد على أهل الباطل بحجة أن الدين محفوظ أو أن بعضهم سفهاء لا يستحقون الرد، ولا شك أن الدين محفوظ ومن أسباب حفظه التي أمر الله بها، الرد على أهل الباطل، وقد سمى الله المعترضين على القبلة سفهاء وسمى الله المستكبرين عن الإيمان الطاعنين في الصحب الكرام سفهاء بل حصر السفاهة فيهم بضمير الفصل "هم" ثم رد عليهم قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [سورة البقرة:١٤٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ﴾ [سورة البقرة:١٣].

ولا أعلم زمانا انتشر فيه الباطل كانتشاره في هذا الزمان بسبب وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي التي جعلت العالم كما يقال كالقرية الواحدة وهذا هو السبب الأول لكتابة هذه الردود بعد أن رأيت ورأى غيري وسمعت وسمع غيري ما يحزن القلب ويقطعه على الشباب خاصة، وذلك بعد أن استغل أهل الشر والفساد تلك المواقع لِبَثِّ سموهم وأفكارهم المنحرفة تارة ونشر الرذيلة تارة

أخرى، وزاد الطينَ بلة والنارَ اشتعالا جهلُ كثير من الشباب بدينهم وضعفُ إيمانهم ما جعلهم فريسة سهلة ولقمة سائغة لأولئك المفسدين، صحيح أن شُبَهَ أهلِ الباطل أشبه بفقاعات الصابون أو بالونة هواء لا تكلفك أكثر من نفخة أو وخزة، إلا أن الجاهل بالحقيقة يحسب السراب ماءً، والجمر الأحمر وردا

وسيذهب أهل الباطل ومكرهم وكيدهم وباطلهم ومن تأثر بهم أدراج الرياح وسيبقى الإسلام شامخا عزيزا محفوظا بحفظ الله له إلى قيام الساعة قال تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم﴾ [سورة محمد:٣٨].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [سورة الرعد:١٧].

والسبب الثاني أنني رأيت كثيرا ممن تصدر للرد على شبه أهل الباطل، دفع شبهة وباطلا وأتى بباطل آخر كمن تصدى مثلا للرد على من طعن في حديث "لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة" فقام بالتشكيك في أصح كتاب بعد كتاب الله وهو صحيح البخاري أو في الطعن في رواة الحديث بدون برهان، أو أراد أن يرد على موضوع الجهاد في الإسلام فقام بتفسير بعض الأدلة تفسيرا مخالفا لتفسير الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام، وربما ذكر أحاديث موضوعة وربما ربط الناس بمرجعيات لا تصلح أن تكون مرجعا وقدوة للناس، لأن المرجعية في الإسلام القرآن والسنة الصحيحة بفهم السلف الصالح وهم الصحابة والتابعون وتابعوهم ومن تبعهم بإحسان كالأئمة الأربعة وأصحاب الكتب الستة البخاري ومسلم وأبو داود

والترمذي والنسائي وابن ماجه ومسند أحمد بن حنبل وابن تيمية وابن القيم وابن كثير وابن حجر والنووي وابن باز والألباني والعثيمين والوادعي وغيرهم.

ومما استفدته من خلال قراءتي في الأديان معرفة الخرافة والفرية التي تزعم أن المسلمين إنما صاروا مسلمين بسبب أنهم عاشوا في بيئة مسلمة، وهكذا النصارى إنما صاروا نصارى لأنهم عاشوا في بيئة نصرانية و هكذا اليهود وغيرهم، هذا ما يدندن به الملاحدة والعلمانيون وغيرهم، وهذا الكلام وإن انطبق على غير المسلمين، فلا يمكن أن ينطبق على الإسلام دين العلم والحجة والبرهان والعقل والفطرة، بل والله وبعد قراءتي في الأديان وبعد سفري إلى دول كثيرة مسلمة عربية ودول مسلمة غير عربية ودول لا مسلمة ولا عربية وإنما فيها أقليات مسلمة، وبعد بعض المناقشات والحوارات التي جرت بيني وبين غير المسلمين، ازددت حمدا لله، فأنا مسلم عن علم لا عن تقليد أعمى للآباء والأجداد كما هو الحال عند غير المسلمين، وحقيقة دين الإسلام هو عبادة الله وحده لا شريك له والإيمان بجميع رسله واتباع شريعة خاتمهم صلى الله عليه وسلم، وهذا الذي جاء به الإسلام هو الذي دعت إليه كل الرسل قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [سورة النحل:٣٦].

وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة الشعراء:١٠٥] فمن كذب بنبي فقد كذب بجميع الأنبياء لأنه أمر لا يقبل التجزؤ، ولأنه لا يوجد دين بعد بعثة محمد

ﷺ يرضاه الله ويقبله سوى الإسلام، أخبر الله أنه لا يقبل من الناس سوى الإسلام قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [سورة آل عمران:٨٥].

وقال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [سورة المائدة:٣].

ويجب على كل إنسان أن يتبع الدين الذي يرضاه الله، ويدخله الجنة ويباعده عن النار

والإسلام هو دين خاتم أنبيائه ورسله وهو الدين الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه" ولم يدخله تحريف ولا نسخ ولسنا نقول هذا ادعاء بل براهيننا أقوى وأوضح من الشمس ونهارها.

وعندما تنظر إلى الأديان الموجودة اليوم من يهودية ونصرانية وبوذية وغيرهم تجد الشرك بالله شعارهم ثم هذا يعتقد أن عيسى ربه وهذا يؤمن ببعض الرسل ويكفر ببعضهم وهذا يعبد صنما بل ويقدم له الطعام والفاكهة كما يفعل البوذيون اليوم، وآخر يقدس بقرًا وآخر يعبد فأرًا وآخر يعبد الشيطان صراحة، أشياء مقززة، قبل أن تكون انحرافات واسعة وخطيرة، ولهذا من عرف حقيقة الإسلام خر ساجدا شكرا لله الذي هداه إلى الإسلام دين العلم والحجة والبرهان والعقل والفطرة، وليس المعيار عند الله بكثرة الأموال والتقدم في الماديات، هذا معيار ضعاف النفوس ولو دامت لغيرنا ما وصلت إلينا: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [سورة آل عمران:١٤٠] إنما المعيار عند الله بالإيمان والعقيدة الصحيحة والتقوى والعمل الصالح والعلم النافع والأخلاق والآداب الحسنة والإحسان إلى الناس

بالقول والفعل.

وقد قسمت هذه الردود إلى خمسة أقسام:

القسم الأول: يتعلق بالأديان الباطلة وكتبت فيه خمسة ردود:

١- صهيل الصافنات الجياد لمصارعة الإلحاد.

٢- أركان الديانة اليهودية الثلاثة.

٣- براءة الأنبياء والدين الحنيف من عقيدة التثليث.

٤- الدعوة إلى الإبراهيمية ظاهرها السلام وحقيقتها المؤامرة على عقيدة الإسلام.

٥- العلمانية وأخواتها أخطر فتن العصر.

القسم الثاني: شبهات حول المرأة في الإسلام وكتبت فيه ستة ردود:

١-لماذا أثار أهل الباطل في هذا الزمن موضوع زواج الرسول من عائشة.

٢- وضع اللجام على أفواه المعترضين على ميراث المرأة في الإسلام.

٣- الحجاب وانقلاب الموازين وانتكاس الفطرة.

٤- هل القرآن أمر بضرب المرأة.

٥- وقفات مع حديث لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة.

٦- وقفات مع حديث فإني رأيتكن أكثر أهل النار.

القسم الثالث: شبهات حول مواضيع متعددة في الإسلام كالرق والجهاد وحد الردة وكتبت فيه أربعة ردود:

١- الوحشية في الجرائم الغربية والشرقية وليس في الحدود الشرعية.

٢- إعلام الجِنة والناس بمعنى حديث أمرت أن أقاتل الناس.

٣- حقيقة الرق في الإسلام.

٤- خلاصة الكلام عن حد الردة في الإسلام.

القسم الرابع: وفيه الرد على الطاعنين في الأعلام وفي كتب السنة وكتبت فيه أربعة مقالات:

١- تدوين السنة ودعاوى أهل الباطل.

٢- حتى الصحابة لم يسلموا منهم.

٣- أنت الذي سقطت وليس البخاري.

٤- ابن تيمية مفخرة من مفاخر أهل الإسلام.

القسم الخامس: كتبت فيه عن خمسة مواضيع هامة، هي:

١- هل هذه أخلاقنا يا أهل الإسلام.

٢- المسلمون يتكلمون واليهود يفعلون.

٣- دعوى تعارض العقل والنقل.

٤- حقائق عن السفر والعيش في الغرب.

٥- صيحة نذير على مواقع ووسائل التدمير.

وقد ختمت هذا الجامع بخاتمة وختامه مسك، هي خلاصة الكلام وخلاصة الكتاب وخلاصة الحياة وقد اجتهدت في جمعها وترتيبها كما سيرى القارئ الكريم وهذه الرسالة والخاتمة هي ستون حقيقة ووصية.

وقد حاولت فيها أحسب الرد على أهم الشبه التي يزايد عليها أهل الباطل وما

لم أخصه برد مستقل رددت عليه برد عام وما فاتني في هذه المجموعة أستدركه إن شاء الله في المجلد الثاني.

وقد حرصت على أن تكون الردود والكتابة في هذه المواضيع الهامة قائمة ومبنية على العلم والبرهان والعدل والإنصاف والتحري والدقة، وأن تكون مختصرة جامعة مناسبة لكل القراء على اختلاف أفهامهم وعلمهم وثقافتهم وطبقاتهم، ولم أُكْثِر من ذكر المراجع إلا ما لا بد منه، وأرجو ممن وقف على خلل، والنقص والخلل من طبيعة البشر، والكمال لله، والعصمة لرسله، والقصد هو التعاون على نشر الخير ودفع الباطل ورده، أن يراسلني على هذا:

الإيميل: mansooralzubiri@gmail.com

تليجرام: ٠٠٩٦٦٥٣٥٨٢١٨٩١

واتساب: ٠٠٩٦٧٧٧٧٩١٠٠٠١

أو صفحتي في الفيسبوك.

وختاما: الشكر لله الذي هداني لهذا وأساله المزيد من فضله في العلم والعمل وفي الدنيا والآخرة، ثم الشكر لمشايخي الذين لهم علي أعظم الفضل والمنة بعد الله ورسوله، سواء مشايخي في اليمن وهم الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله والشيخ محمد بن عبد الوهاب الوصابي رحمه الله والشيخ محمد بن عبد الله الإمام والشيخ عبد العزيز البرعي والشيخ عبد الرحمن العدني وغيرهم، أو مشايخي في السعودية وهم الشيخ عبد المحسن العباد والشيخ محمد بن علي آدم الأثيوبي والشيخ عبد الكريم

الخضير والشيخ عبد العزيز الراجحي والشيخ سعد الشثري والشيخ صالح العصيمي والشيخ محمد بن عبد الله الأعظمي رحمه الله والشيخ وصي الله عباس والشيخ المعمر يحي المدرس والشيخ سليمان الرحيلي والشيخ عبد الرزاق البدر والشيخ عبد السلام الشويعر والشيخ علي بن فهد أبا بطين والشيخ عبد السلام السحيمي والشيخ عبد المحسن بن محمد القاسم وغيرهم وكذلك من حضرت لهم بعض الدروس وهم سماحة المفتي العام عبد العزيز آل الشيخ وسماحة الشيخ صالح الفوزان ومعالي الشيخ عبد الله بن غديان رحمه الله والشيخ صالح بن حميد لهم مني جميعا الشكر والدعاء بظهر الغيب.

وقد سميت هذه الردود:

جامع الردود العلمية على الشبهات القديمة والعصرية - الجزء الأول

وأسأل الله ﷻ أن يجعلها خالصة لوجهه وأن يتقبلها مني وأن ينفع بها الإسلام والمسلمين إنه جواد كريم، اللّٰهم انصر الحق وأهله واخذل الباطل وأهله، اللّٰهم وألف بين قلوب المسلمين واجمع كلمتهم على الحق يا رب العالمين اللّٰهم وأصلح أحوال المسلمين في كل مكان رب اغفر لي ولوالدي ولمشايخي ولمن أحسن إلي وللمسلمين والمسلمات والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا

كتبه الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته منصور بن محمد بن حسن الزبيري

١٣ جمادى الآخرة ١٤٤٢

٢٠٢١\١\٢٦

في الحرم المكي

القسم الأول: يتعلق بالأديان الباطلة وكتبت فيه خمسة ردود:

١ – صهيل الصافنات الجياد لمصارعة الإلحاد.

٢ – أركان الديانة اليهودية الثلاثة.

٣– براءة الأنبياء والدين الحنيف من عقيدة التثليث.

٤– الدعوة إلى الإبراهيمية ظاهرها السلام وحقيقتها المؤامرة على عقيدة الإسلام.

٥ – العلمانية وأخواتها أخطر فتن العصر.

صهيل الصافنات الجياد لمصارعة الإلحاد

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، و من يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ظهور الإلحاد وانتشاره

إن من أخطر فتن هذا الزمان: ظهور الإلحاد وانتشاره، وهذا أخطر ما تبثه مواقع ووسائل التدمير اليوم، وتستهدف تلك المواقع فئة الشباب، حيث قد وقع في شباك الإلحاد، وكمائنه كثير من الشباب، وما ذلك إلا بسبب أن الشباب اليوم غير متسلح بالعلم ضعيف الإيمان، وقد سمعنا وسمع غيرنا في هذا الأمر ما يحزن ويبكي.

ولقد كان الإلحاد في الماضي:

- مرفوضا.
- ممقوتًا.
- منبوذًا.
- مبغوضًا.
- مكروهًا.

نعم كان الكفر موجودًا والشرك موجودًا، ككفر اليهود والنصارى والمشركين، لكن أن يأتي شخص ويقول: (ليس هناك خالق لهذا الكون، وليس هناك مدبر لهذا الكون) الذي حير العقول في عظمته وخلقه وتدبيره لأمر عجيب، وغير مقبول.

❋ مع أن الملحد يعلم ويوقن أن وراء إبرة الخياطة صانع.

❋ ولا شك أن:

- هذه الفتن تميز الصادق من الكاذب في إيمانه.

- والإيمان لا يصح مع الشك والريب والتذبذب، ولا يريد الله هذا الصنف ولا يدخله جنته، قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [سورة العنكبوت:٢-٣].

❊ فالإيمان الصادق لابد فيه من اليقين، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ﴾ [سورة الحجرات:١٥].

❊ وقبل الدخول في الموضوع هذه ست نقاط:

ست نقاط مهمة

الأولى

* من ثمرات العلم العظيمة أن صاحبه لا يكترث ولا يتزعزع، بل ولا يفاجأ كما يفاجأ غيره بانتشار الإلحاد وغيره؛ لأن النبي ﷺ قد أخبر بذلك، قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله الله»(١)، وفي رواية: «... حتى لا يقال في الأرض: لا إله إلا الله»(٢).

الثانية

* لن أتعرض للرد على الخرافة وعلى أكبر كذبة التي تقول بأن الكون خلقته الطبيعة؛ لأن كل عاقل يعلم أن الخيط وما دونه وما فوقه وراءه صانع بل لا يكاد ينتهي عجبك عندما يرى الناس الطائرة ولا يشهدون أن وراءها صانعا فقط بل يؤمنون أن وراءها صانعا صاحب علم وقدرة ومعرفة بل يعلمون أن قائدها لو نام لسقطت، ولو قال قائل هذه الطائرة ليس وراءها صانع وقائد لقال له الملحد وغيره أنت مجنون لكن العجيب أن الملحد لا يقول ذلك وهو ينظر إلى الشمس ولا مقارنة

---

(١) صحيح مسلم (١٤٨/٢٣٤) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) مسند أحمد (٢١/٣٣٢) رقم: (١٣٨٣٣).

بينها وبين الطائرة لا في الارتفاع ولا في الحجم ولا في سيرها المنتظم وقل مثل ذلك في القمر بل حتى الأرض التي نحن عليها هي في هذا الفضاء الواسع بمن عليها.

❋ كذلك لن أتعرض للرد على ادعائهم أنهم لا يصدقون إلا بما يشاهدونه لأن كل إنسان حتى الملحد يؤمن بأشياء كثيرة وهو لم يرها إما اعتمادا على الأخبار أو الآثار.

الثالثة

❋ الإلحاد لا يريد حتى الدين المحرف ولا شك أنه عند المقارنة بين الإلحاد والدين المحرف: أن الدين المحرف خير من الإلحاد ولهذا الإلحاد اليوم يجتاح الغرب والجيل الناشئ اليوم في الغرب جيل ملحد إلا نسبة ضئيلة منهم ما زالوا مرتبطين بالنصرانية.

❋ ومن أساليب الإلحاد الخطيرة: وسم الدين والتدين بالتخلف لتنفير الناس عنه وهذا أسلوب استعمله كل محارب للنور وللخير والهدى.

❋ والحقيقة أن المتخلف والجاهل هو: من مات ولم يعرف من خلقه ولماذا خُلِقَ.

❋ ولو رموا بالتخلف من يعبد الأبقار أو التماثيل أو الصليب لكان مقبولًا.

الرابعة

❋ تعلمت من شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ الإهتمام بالكتابة فيما يتعلق بأمر

الإيمان والعقيدة أكثر من الاهتمام بغير ذلك.

قال: لأن الزلل في العقيدة ليس كالزلل في المسائل الفقهية.

الخامسة

* ليس عندنا اليوم قوة مادية تعادل أو تقارب ما عند غيرنا، لكن عندنا عقيدة الإيمان بالله وبرسله، وهي أقوى سلاح، صاحبها لا يستسلم للباطل ولا يخور أمامه إلى آخر رمق.

السادسة

* لقد اهتم القرآن بالحوار حتى في الأمور العقدية لمعرفة الحقيقة، وفي سورة الكهف قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ [سورة الكهف:٣٧].

والآن لنشرع في الموضوع:

من الأدلة على وجود الله

* الملحد يقول: أريد أدلة على وجود الله؟

والجواب: أن يقال: ليس هناك دليل أكبر من:

- السماء وآياتها والأرض وعجائب صنع الله فيها.

ومن لم تكفه هذه الأدلة فوالله لو تجلى الله له وكلمه لن يؤمن لأنه معاند والقرآن الذي ذكر لنا عن كل شيء علما قد ذكر لنا ذلك قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة الأنعام:٢٧-٢٨].

ومما ذكر القرآن قصة انفلاق البحر لموسى وكان هذا دليلا كافيًا لفرعون أن يؤمن بالله ولكنه استمر في عناده حتى أهلكه الله.

والعجيب أن الإلحاد كثر في الوقت الذي وصل العلم فيه إلى اكتشافات علمية تحير العقول وتجعلك لا تملك نفسك إلا أن تخر ساجدا لخالق الكون، ولعلي أذكر مثالين كنت قد وقفت عليهما سابقًا فقط لإقامة الحجة عليهم بأمور يعرفونها ويؤمنون بها.

من عجائب الأرض

المثال الأول

يتعلق بالأرض التي نعيش عليها جميعا، هناك مقطع في اليوتيوب بعنوان: (ألماني مسلم يدفن الإلحاد في دقائق) وقد ذكر فيه حقائق علمية أذكر هنا خلاصتها:

قال: يعتقد الكثير أن الناس استطاعوا أن يعيشوا على الأرض لوجود الماء فيها وهذا صحيح لكنه سبب واحد من أسباب كثيرة خلقها الله في الأرض حتى صارت صالحة للعيش عليها:

✓ منها الغلاف الجوي والذي يحتوي على:

- طبقة من الأوزون تحمينا من الأشعة الضارة.

- ولدينا في الغلاف الجوي مادة ثاني أوكسيد الكربون بنسبة: (٠٤, ٠٪)، وهذه نسبة ضئيلة جدا لكنها تعمل على بقاء متوسط درجة الحرارة على الأرض ١٤ درجة مئوية وإلا لكان متوسط درجة الحرارة على الأرض يساوي ١٩ درجة مئوية هذه الحرارة مثل درجة المجمد الفريزر.

✓ كذلك المسافة الدقيقة التي بيننا وبين الشمس التي لو زادت لتجمدنا ولو نقصت لاحترقنا.

✓ وكذلك غلاف مغناطيسي والذي يحمينا من الانقلاب الشمسي.

✓ وهناك أمور أخرى مثل الحجم المحدد للأرض.

✓ ونسبة ميلان محور الأرض.

مع أن العلم الحديث اليوم يقول بأن الأرض لها ثلاث حركات في آن واحد:

- حركة حول نفسها ٢٦ ك في الدقيقة.

- والحركة الثانية حول الشمس ٣٠ ك في الثانية.

- والحركة الثالثة في خط مستقيم مع الشمس ٢٣٠ ك في الثانية.

ومع هذا:

✓ فالمياه في البحار لم تتحرك.

✓ والجبال والمباني لم تسقط.

✓ والإنسان والحيوان لم يشعر بذلك.

❋ وقد قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن دوران الأرض: (هذه حقائق علمية لا يمكن إنكارها اليوم).

من عجائب خلق الله (العين)

المثال الثاني

❊ يتعلق بالإنسان بل بجزء منه وهي العين التي في الإنسان فوالله إنها آية كافية للخضوع لرب العالمين وعبادته وتوحيده.

فقد ذكر جوهانس كلومنك الذي صار اليوم من الدعاة إلى دين الله وإلى الإسلام:

✓ أن العين التي وزنها ثمانية غرامات تشتمل هذه العين على أكثر من مليوني جزء تعمل في غاية الدقة.

✓ وأن في العين أكثر من مئة مليون خلية كل خلية أعجوبة في نفسها.

✓ وأنه يوجد في العين أكثر من مليون محور عصبي يربط العين بالدماغ.

✓ وأن الإنسان يستطيع أن يميز بين أكثر من عشرة مليون لون مختلف.

✓ وأنه لا يوجد أي مقارنة بين العين وبين أي كاميرا موجودة اليوم مهما بلغت في الدقة.

فسبحان الله العظيم العليم الحكيم: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾[سورة لقمان:١١].

❊ وقد يقول قائل: لماذا لم تؤثر هذه الآيات والحقائق على هؤلاء؟

والجواب: ذكره القرآن الذي ذكر لنا عن كل شيء علما قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى

ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [سورة الحج:٤٦]، وقال تعالى: ﴿۞وَلَوۡ أَنَّنَا نَزَّلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَحَشَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ كُلَّ شَيۡءٖ قُبُلٗا مَّا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [سورة الأنعام:١١١].

من شبه الملاحدة: لماذا لا نرى الله؟

* ومن كلام الملاحدة: إذا كان الله موجودًا فلماذا لا نراه؟

والجواب: سنراه بلا شك لكن في الدار الأخرى، تلك الدار الكاملة من كل وجه، ولهذا يعاد الناس على أكمل خلق في عقولهم وأبدانهم ولن يراه إلا من آمن به في الدنيا ولم يره وإنما رأى مخلوقاته ورسله وكتبه.

* أما في هذه الحياة الناقصة فها هي الشمس:

- ✓ وهي نقطة في السماء
- ✓ وهي بعيدة جدًا عنا.

لا نستطيع رؤيتها إلا بمشقة فكيف بخالقها وخالق الكون.

من واقع ملاحدة اليوم

❋ وكما ذكرنا سابقًا:

المعاند لو تجلى الله له في الدنيا لعاند وربما آمن خوفًا ثم يعود إلى كفره ومما قصه الله في القرآن أن الله رفع جبل الطور على بني إسرائيل فخضعوا لأمر الله وعندما عاد الجبل إلى مكانه عادوا لعنادهم.

❋ والحقيقة أن الإلحاد عند الكثير اليوم لا لضعف الأدلة:

- بل تراهم يريدون أن يعيشوا هملا.

- فلا يريدون أن يتقيدوا بحلال ولا بحرام ولا بواجبات شرعية.

- لا يريدون أن يقال لهم: الزنا حرام أو اللواط حرام.

- لا يريدون أن يقال لهم: اعبدوا خالق الكون.

وقد قال أحد الملحدين في حوار دار بيني وبينه في قبرص اليونانية:

- نريد أن نعيش هكذا فلا نريد أن نعرف أدلة.

- نريد أن نعيش هكذا كما قال تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ [سورة القيامة:٥].

❋ وكفر الإنسان وفجوره لن يبعده عن عذاب الله شيئا.

وما كتبته في هذه السطور إنما هو:

- لتحصين شبابنا أولًا.

- وثانيًا حرصا على هدايتكم.

❋ وليكن في علم كل ملحد:

أن كفركم وإلحادكم لن تضروا به خالق الكون شيئا، قال ﷺ فيما روى عن الله ☜ أنه قال: «يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئًا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئًا»(١)، فلن تضروا إلا أنفسكم، وستعاد الحياة مرة أخرى:

✓ ليجزى كل فرد بالعدل على عمله الذي عمله في هذه الحياة.

✓ وسيؤخذ الحق للمظلوم.

✓ وسيجزى من عبد الله وآمن به.

* ولا تغركم كثرتكم، فقد ذكر القرآن الذي ذكر لنا عن كل شيء علمًا، فقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [سورة الأنعام:١١٦].

---

(١) صحيح مسلم (٢٥٧٧/٥٥) من حديث أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

من شبه الملاحدة: لماذا يوجد الظلم؟

❋ ومن أسئلة الملاحدة: لماذا الله يرضى بوجود الظلم؟

- والجواب:

✓ أن الله أخبر أنه قد خلق لذلك الجنة والنار.

✓ وأن الدنيا ليست دار الحكم والجزاء.

✓ وقد يعاقب بعض المجرمين في الدنيا.

✓ وطالما هو الخالق والمالك فهو الذي يحكم في ذلك.

✓ وقد أخبر جل وعلا:

- أنه سيأخذ للمظلوم حقه ممن ظلمه.

- وسيعاقب الظالم بالعدل.

❋ ولو كان لهذا للمعترض شركة واعترض شخص يعمل في الشركة على بعض قوانينها لعد صاحب الشركة هذا متعديًا ومخطئًا ومجاوزًا لحدوده ويتدخل في خصوصيات غيره.

من آيات الله هذا الطعام والشراب

* وهناك أسئلة أخرى للملاحدة:

ومنها أسئلة تتعلق بالإسلام إلا أني ذكرت في هذا المقال الأسئلة المتعلقة بخالق الكون ☜، فلم يبق لكم عذر في عدم إيمانكم بالله:

* ولو نظرتم لأمر واحد:

✓ يعرفه العالم والجاهل.

✓ يعرفه كل الخلق.

✓ أمر تمارسونه بالليل والنهار.

ألا وهو عملية الطعام والشراب وكيف يتم استفادة أعضاء الجسم منه بطريقة عجيبة ومعقدة:

- لو نظرتم إلى أنفسكم.

- لو نظرتم إلى الحليب واللبن وكيف يعد بطريقة عجيبة.

- لو نظرتم إلى عسل النحل وكيف يتم خلقه.

- لو نظرتم إلى الماء ينزل من السماء ثم تخرج أنواع لا يحصيها إلا الله من النبات والثمار من الذي خلقها في الأرض؟

آلطبيعة؟!

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [سورة الكهف:٥].

ولهذا قال الشاعر:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

وما أحسن وأجمع ما أجاب به موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على فرعون الملحد، قال فرعون يخاطب موسى وهارون عليهما السلام: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ۝٤٩ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾ [سورة طه:٤٩-٥٠]، وما أعظم ما قاله الله تعالى في القرآن: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝٣٦﴾ [سورة الطور:٣٥-٣٦].

والله لو تأمل الشخص فقط:

لا أقول في المخ والقلب والرئتين والعقل وعجيب صنع الله في ذلك بل في:

- ✓ الأشياء الظاهرة التي يراها كل إنسان من اختلاف الألوان والأصوات.
- ✓ بل اختلاف الإبهام من شخص إلى آخر بحيث لا يوجد إبهامان متطابقان لشخصين أبدا لخر ساجدا لخالق الكون وقد قال تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [سورة الذاريات:٢١].

أركان الديانة اليهودية الثلاثة

الحمد لله القائل: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ﴾ [سورة المائدة:٨٢]، والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمة للعالمين وحجة على الخلق أجمعين، أما بعد:

فإن اليهود هم أكثر الناس خبثًا وفسادًا وشرًّا وعداوة للإسلام والمسلمين، قال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارًا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [سورة المائدة:٦٤].

لذلك فقد سلط الله عليهم الأمم بالقتل والتشريد في الأرض منذُ ألفي عام تقريبًا، قال تعالى: ﴿وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾ [سورة البقرة:٦١].

ولليهود أوصاف قبيحة، وأخلاق ذميمة مرذوله، والكتاب والسنة حافلان في بيان ذلك. كما أن شواهد التاريخ والواقع شاهدان على اليهود بالسوء والفساد. فمن أخلاقهم وصفاتهم على سبيل الإجمال: الكبر، والحسد، والظلم، وكتمان الحق، وتحريف الكلم عن مواضعه. ومنها الخيانة، والغدر، وسوء الأدب، واحتقار الآخرين، والسعي في الفساد، وإثارة الفتن والحروب. ومنها الكذب، والجشع، وقسوة القلب، ومحبة إشاعة الفاحشة، وأكل الربا.

واليهود هم اليهود في عقائدهم وأخلاقهم، كما كانوا من قبل، إلا أنهم في العصر

الحاضر أجمعُ شملاً، وأقوى نفوذاً، وأكثر تنظيماً، وأحكم سيطرة على مقاليد العالم، خاصة بعد الحرب العالمية الثانية؛ حيث انتهزوا الخواء الروحي والاقتصادي والسياسي الذي مُنِيَ به الغرب؛ فتمكنوا، وتحكموا في مقاليد الأمور هناك فكريًّا واقتصاديًّا وسياسيًّا، خاصة في الولايات المتحدة، وبريطانيا، وروسيا.

ثم هم وراء ابتداع وترويج النظرية الماركسية-الشيوعية- ثم تطبيقها في روسيا القيصرية، ثم تصديرها إلى شرق أوربا وبعض دول ما يسمى بالعالم الثالث.

وكذلك قاموا بترويج النظريات الهدامة الأخرى في الاقتصاد، والسياسة، والاجتماع كنظرية التطور لدارون، ونظرية دور كايم الاجتماعية، ونظرية ميكافيلي السياسية التي ترى أن الغاية تسوغ الوسيلة.

ولعل أبرز عمل قاموا به في هذا العصر هو احتلالهم لفلسطين بناءً على وعد بلفور عام (١٣٣٥هـ) حيث احتلوها سنة (١٣٦٧هـ) وقامت بعدها (إلى) اليوم بتوسيع رقعتها، وضم بعض الأراضي؛ سعياً في تحقيق الحلم بإقامة دولة اليهود الكبرى.

وخلال تلك المدة إلى هذا اليوم قام اليهود بمجازر رهيبة جماعية وفردية كذلك قاموا باحتلال جزءا من لبنان والجولان، وأفسدوا في البلدان التي أقاموا معها جسوراً وعلاقات؛ حيث نشروا الفساد والرذيلة؛ فانتشر بذلك الانحلال، والأمراض الفتاكة كالإيدز وغيرها، وكذلك انتشرت المخدرات، وعمليات التجسس.

كما أنهم يحرصون على كل ما فيه هدم للقيم والأخلاق.

كما أنهم يحرصون على إقامة دولتهم، وعلى جمع اليهود من شتى بقاع العالم؛ حيث قاموا بنقل يهود الفلاشا، ويهود الاتحاد السوفييتي وغيرهم إلى فلسطين.

ولا يزالون يعيثون في الأرض فساداً، ويكررون اعتداءاتهم على الأقصى الشريف، ويذيقون أهل فلسطين ألواناً من العَسْف، والطغيان، والتسلط.

الصهيونية

الصهيونية: هي الواجهة السياسية لليهودية العالمية، وهي كما وصفها اليهود أنفسهم (مثل الإله الهندي فشنوا الذي له مائة يد) فهي لها في جلِّ الأجهزة الحكومية في العالم يد مسيطرة موجهة، تعمل لمصلحتها.

- هي التي تقود اليهود وتخطط لها.

- الماسونية تتحرك بتعاليم الصهيونية وتوجيهاتها.

- للصهيونية مئات الجمعيات في أوروبا وأمريكا في مختلف المجالات التي تبدو متناقضة في الظاهر، لكنها كلها في الواقع تعمل لمصلحة اليهودية العالمية.

والصهيونية حركة سياسية عنصرية متطرفة، ترمي إلى إقامة دولة لليهود في فلسطين تحكم من خلالها العالم كله. واشتقت الصهيونية من اسم (جبل صهيون) في القدس حيث ابتنى داود قصره بعد انتقاله من حبرون (الخليل) إلى بيت المقدس في القرن الحادي عشر قبل الميلاد. وهذا الاسم يرمز إلى مملكة داود وإعادة تشييد هيكل سليمان من جديد، بحيث تكون القدس عاصمة لها.

وقد ارتبطت الحركة الصهيونية الحديثة بشخصية اليهودي النمساوي هرتزل، الذي يعد الداعية الأول للفكر الصهيوني الحديث والمعاصر، الذي تقوم على آرائه الحركة الصهيونية في العالم. سبب التسمية: سميت الصهيونية بذلك نسبة إلى جبل صهيون الذي يقع جنوب بيت المقدس، ويقدسه اليهود.

يتضح مما سبق:

أن الصهيونية حركة سياسية عنصرية متطرفة ترمي لحكم العالم كله من خلال دولة اليهود في فلسطين، واسمها مشتق من اسم جبل صهيون في فلسطين، وقد قامت على تحريف تعاليم التوراة والتلمود التي تدعو إلى احتقار المجتمع البشري، وتحض على الانتقام من غير اليهود. وقد قنن اليهود مبادئهم الهدامة فيما عرف ببروتوكولات حكماء صهيون التي تحوي بحق أخطر مقررات في تاريخ العالم.

الماسونية

المـاسونية لغة: لفظ مشتق من كلمة (Mason)، ومعناها البنَّاء، ويضاف إليها كلمة (free)، ومعناها: حر، فتكون (freemason) أي البناؤون الأحرار.

وهم يرمزون بها إلى البنَّاء الذي سيبني هيكل سليمان، والذي يمثل بزعمهم رمز سيطرة اليهود على العالم. المـاسونية اصطلاحاً: لها تعريفات منها:

١ – أنها منظمة سرية يهودية إرهابية غامضة محكمة التنظيم، ترتدي قناعاً إنسانياً إصلاحياً، وتهدف من وراء ذلك إلى ضمان سيطرة اليهود على العالم، وتدعو إلى الإلحاد والإباحية والفساد، وجلُّ أعضائها من الشخصيات المرموقة في العالم يوِّثقهم عهد بحفظ الأسرار، ويقومون بما يسمى بالمحافل؛ للتجمع، والتخطيط، والتكليف بالمهام.

٢– وعرفها بعضهم بأنها: أخطر تنظيم سري إرهابي يهودي متطرف، من أجل السيطرة السياسية والاقتصادية والثقافية في كل أنحاء المعمورة. والمـاسونية مذهب فكري هدام، وحركة من أخطر الحركات التي أفرزتها عقلية اليهود الحاقدة لإحكام قبضتها على العالم.

وسائل اليهود ومخططاتهم:

يسلك اليهود في سبيل الوصول إلى أهدافهم وسائل شتى، ويقومون بمخططات واسعة مدروسة، ومن ذلك:

١ – إشعال نار الفتنة بين الحكومات وشعوبها.

٢- استعمال العنف والإرهاب تجاه الشعب الفلسطيني، وهم يصرحون بذلك في بروتوكولاتهم كقولهم: خير النتائج في حكم العالم ما ينتزع بالعنف والإرهاب.

٣- إشاعة الفوضى والخيانة؛ لتتردى الدول الإسلامية وغيرها، وتنحط، ويسهل التحكم بها.

٤- العمل على تحطيم عقيدة الولاء والبراء في نفوس المسلمين باسم السلام والتطبيع؛ لكي يزول حاجز النفرة منهم.

٥- استغلال أجهزة الإعلام، وتوجيهها وجهة تخدم مصالحهم، بأن تكون هابطة أخلاقيًّا، ومضللة سياسيًّا، ومذبذبة فكريًّا.

٦- التحكم بالاقتصاد العالمي: وذلك بامتلاك أكبر عدد من المؤسسات والشركات والبنوك، واحتكار الذهب، ومضاعفة الأعمال الربوية، وتشجيع الأنظمة الرأسمالية الربوية، والضرائبية، والاشتراكية التأميمية المحطمة.

٧- نشر المبادئ الهدامة والجمعيات السرية التجسسية، والأحزاب المتطرفة والحركات الثورية، وتشجيع عصابات الخطف والاغتيالات.

٨- السيطرة على الدول النصرانية والشيوعية؛ لتكون أداة مسخرة تخدم أهدافهم، وتحمي دولة اليهود الناشئة.

وهذا ما حدث فعلاً من بعض الدول خاصة بريطانيا، وأمريكا، وروسيا.

هذا شيء من أهدافهم ومخططاتهم، وقد عملوا وجَدُّوا في تحقيق ذلك، وحقَّقوا

الكثير، ولم يكن ليتحقق لهم ذلك إلا بعد أن غفل المسلمون عما يدور حولهم ويخطط لهم.

ومتى ما رجع المسلمون إلى رشدهم، وآبوا إلى ربهم فلن تقوم لليهود قائمة بإذن الله.

قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ [سورة إبراهيم:٤٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [سورة الأنفال:٣٠].

والمسلم لا يعرف اليأس ولا القنوط، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [سورة يوسف:٨٧].

وما يئس اليهود من السعي إلى إقامة دولتهم، بعد ألفي عام من الذل والهوان، مع كثرة عدوهم، وكونهم على باطل.

وقد ابتلانا الله بهم في هذا الزمان، ولله حكمة في ذلك، ولا شك أن احتلال اليهود لفلسطين، وصمة عار على جبين ملياري مسلم، ومن المؤسف والمحزن أننا لسنا بعيدين عن أسباب النصر من العَدد والعُدد والمدد من السماء، فقط نحتاج نصدق مع الله ومع دينه ونجمع جهودنا وقواتنا وآراءنا وقلوبنا على الحق والنصر والخير والهدى والمحبة.

ما هي أركان الديانة اليهودية الثلاثة:

الرب والشعب والأرض.

يقول الدكتور أبو بكر محمد ثاني النيجيري، مؤلف (التلمود وموقفه من الإلهيات عرض ونقد) وهي رسالة دكتوراة نوقشت في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية عام ١٤٣٠ هجرية، وهو موضوع لم يسبق له، يقول إن المتتبع لمراجع اليهود الأساسية، من أولها إلى آخرها، يجد أن الديانة اليهودية قائمة على هذه الأركان الثلاثة.

الأول: الرب:

اليهود كأهل كتاب في الأصل يؤمنون بالله، إلا أنه إيمان خال من تعظيم الله وطاعته وعبادته وتوحيده، وطاعة رسله، وسنذكر شيئا من عقائدهم في الله وفي أنبيائه ورسله واليوم الآخر والملائكة وغير ذلك.

عقائد اليهود:

وصفهم رب العالمين بما لا يليق بعظمته:

إن أعظم المنكرات والكفريات التي وقع فيها اليهود، وصفهم رب العالمين بما لا يليق بعظمته وكماله وجلاله، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا، ومن ذلك:

وصفهم الله ﷻ بالتعب:

يزعم اليهود في كتابهم أن الله ﷻ تعب من خلق السموات والأرض، فاستراح

في اليوم السابع فقد ورد في "سفر التكوين" (٢/٢) ما نصه: ()وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل، فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل)، وفي "سفر الخروج" (١٧/٣١) قالوا: (لأنه في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض، وفي اليوم السابع استراح وتنفس)، وقد ردَّ الله ﷻ عليهم وبيَّن بطلان قولهم هذا في قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾[سورة ق:٣٨].

ووصفهم الله ﷻ بالجهل:

وصف اليهود الله عزَّ وجلَّ بالجهل في عدة مواطن من كتابهم، منها: قولهم في قصة آدم وحواء بعد أن أكلا من الشجرة كما في "سفر التكوين" (٨/٣): (وسمعا صوت الرب الإله ماشيًا في الجنة عند هبوب ريح النهار فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة فنادى الرب الإله آدم، وقال له: أين أنت ؟ فقال: سمعت صوتك في الجنة فخشيت؛ لأني عريان فاختبأت. فقال: من أعلمك أنك عريان ؟ هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها ؟ فقال آدم: المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني فأكلت) . فيتضح من كلامهم هذا أن الله ﷻ لم يعلم بآدم حين أكل من الشجرة، ولم يره حين أكل، بل لم يعلم بمكانه بعد أن اختبأ في الجنة. فهل يصحُّ أن يقول أحد: إن الله العليم بكل شيء، والذي لا يغيب عن سمعه وبصره شيء مهما خفي ودقَّ، يخفى عليه أمر آدم على هذه الحال التي ذكر اليهود؟ فلا شك أن ذلك من تحريفهم. ولو نظرنا في كلام الله عزَّ وجلَّ في القرآن

الكريم عن هذه الحادثة لوجدنا الفرق الشاسع بين التعبيرين ودلالتهما. ففي القرآن يقول الله ﷻ: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩ فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ٢٠ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢١ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٢ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾ [سورة الأعراف:١٩-٢٣]، ففي هذا النص الكريم ما يتناسب مع كمال علم الله وكمال سمعه وبصره، وأنه محيط بكل شيء، فحالما أكل آدم وزوجته من الشجرة ناداهما ربهما قائلًا: ﴿أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [سورة الأعراف:٢٢]، فلم يسأل آدم أين هو؟ ولا من أعلمه أنه عريان؟ وهل أكل من الشجرة؟ كما يزعم اليهود. كما أن جواب آدم في القرآن الكريم هو الجواب اللائق بالنبي الكريم، حيث اعتذر مباشرة بأنه معتدٍ في هذا الأكل، وسأل الله المغفرة والرحمة، وهذا هو اللائق بآدم العبد الصالح والنبي الكريم، لا ما ذكره اليهود من أنه ألقى باللائمة على زوجته، وحمَّلها وحدها المسئولية.

ومن وصفهم الله ﷻ بالجهل أيضاً زعمهم أن الله ﷻ يجب أن توضع له علامة؛ ليستدل بها عليهم حيث قالوا: إن الله أمرهم قبل خروجهم من مصر أن يلطخوا أبوابهم: العتبة العليا والقائمتين بالدم، ويعللون ذلك بقولهم: (فإن الربَّ يجتاز

ليضرب المصريين فحين يرى الدم على العتبة العليا والقائمتين يعبر الرب عن الباب، ولا يدع المهلك يدخل بيوتكم ليضرب). "سفر الخروج" (٢٣/١٢) وهذا باطل، فإن الله ﷻ عالم الغيب والشهادة يقول سبحانه عن نفسه: ﴿عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة سبأ:٣].

١- ووصفهم الله ﷻ وتعالى وتقدس بالبكاء وذرف الدموع:

وفي هذا يقولون في كتابهم أن الله قال لهم: (وإن لم تسمعوا- أي: كلامه وتطيعوه- فإن نفسي تبكي في أماكن مستترة من أجل الكبرياء، وتبكي عيني بكاءً وتذرف الدموع؛ لأنه قد سبي قطيع الرب). (سفر إرميا) (١٧/١٣).

وأيضاً قالوا بعد ذلك مثله في (سفر إرميا) (١٧/١٤): (إن الله قال لهم: لتذرف عيناي دموعاً ليلاً ونهاراً ولا تكفا؛ لأن العذراء بنت شعبي سحقت سحقاً عظيماً بضربة موجعة جًدا). فهذا كله لا شك أنه من افتراءات اليهود على الله عزَّ وجلَّ ووقاحتهم في كلامهم عن الله سبحانه. وهو دليل واضح على التحريف والتلاعب بكلام الله وكتب الأنبياء وفق أهوائهم، لا يراعون في ذلك لله وقاراً، ولا لكلامه تعظيماً وإكباراً، سوى ما يتفق مع أمزجتهم وأهوائهم، فعليهم من الله ما يستحقون.

٢- نسبتهم الولد لله:

وهو قولهم عزير ابن الله، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا.

- عزرا هو الذي أوجد توراة موسى بعد أن ضاعت، فبسبب ذلك وبسبب إعادته بناء الهيكل قالت اليهود عزرا ابن الله، وهو الذي أشار إليه القرآن الكريم.

٣- فساد اعتقادهم في النبوة والأنبياء:

ومن ذلك أنهم يرون أن النبوة لا يستحقها إلا من كان منهم، ويرشحونه للنبوة، لذلك إذا جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون.

ومن مظاهر انحراف عقيدتهم في النبوة والأنبياء أنهم نسبوا للأنبياء والمرسلين أعمالاً قبيحة فمن ذلك قولهم كما جاء في كتبهم:

أ- إن نبي الله هارون عليه السلام صنع عجلاً وعبده مع بني إسرائيل، (إصحاح ٣٢ عدد ١ من سفر الخروج).

وقد بيَّن الله ضلالهم في القرآن عندما أخبر أن الذي صنع لهم عجلاً هو السامري.

ب - إن إبراهيم عليه السلام قدَّم امرأته سارة إلى فرعون حتى ينال الخير بسببها (إصحاح ١٢ عدد ١٤ من سفر التكوين).

ج- ومن ذلك قولهم: إن لوطاً شرب الخمر حتى سكر ثم قام على ابنتيه، ومعاذ الله أن يفعل لوط ذلك، وهو الذي دعا إلى الفضيلة طوال عمره. (سفر التكوين إصحاح ١٩ عدد ٣٠).

د- وأن روابين زنى بزوجة أبيه يعقوب، وأن يعقوب عليه السلام علم بهذا الفعل القبيح فسكت. (سفر التكوين إصحاح ٣١ عدد ١٧).

هـ- وأن داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ زنى بزوجة رجل من قواد جيشه، ثم دبر حيلة لقتل الرجل، فقتله، وبعدئذ أخذ داود الزوجة وضمَّها إلى نسائه فولدت سليمان. (سفر صموئيل الثاني إصحاح ١١ عدد ١).

و- وأن سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ارتد في آخر عمره، وعبد الأصنام وبنى لها المعابد. (سفر الملوك إصحاح ١١ عدد ٥).

هذه بعض المخازي والقبائح التي نسبتها هذه الأمة الغضبية إلى أنبياء الله الأطهار، وحاشاهم مما وصفوهم به، وقد فعل اليهود ذلك لمرض قلوبهم وخبث نواياهم، وليسهل عليهم تسويغ ذنوبهم ومعايبهم عندما ينكر عليهم منكرٌ، أو يعترض عليهم معترض.

٤- فساد اعتقادهم في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم:ومن ذلك إنكارهم وجحودهم لنبوته مع علمهم بذلك يقينا: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [سورة الأنعام:٢٠].

٥- فساد اعتقادهم في الملائكة:حيث يزعمون أن جبريل وميكائيل من أعدائهم، وقد بيَّن الله تعالى ذلك وتوعَّدهم، فقال: ﴿مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ [سورة البقرة:٩٨].

فساد عقيدتهم في اليوم الآخر:فهم يزعمون أنه لن يدخل الجنة إلا من كان من اليهود، وأن العاصي منهم مهما فعل من المعاصي والآثام فلن يدخل النار إلا أياماً معدودات.

وقد كَّذبهم الله تعالى بقوله: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [سورة البقرة:١١١].

وقال: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةًۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدًا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [سورة البقرة:٨٠].

٦- زعمهم أنهم أصحاب الحق: ﴿لخ لم لى لي مج محمخ مم مى مي نج حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [سورة البقرة:١٣٥].

٧- أرواح اليهود مصدرها روح الله، وأرواح غير اليهود مصدرها الروح النجسة.

٨- خلق الله الناس باستثناء اليهود من نطفة حصان، وخلق الله الأجنبي على هيئة إنسان؛ ليكون لائقاً لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا لأجلهم.

٩- اليهودي معتبر عند الله أكرم من الملائكة.

١٠- لو لم يخلق الله اليهود لانعدمت البركة في الأرض، ولما خلقت الأمطار والشمس.

الثاني: الشعب

عاش العبريون في الأصل - في عهد أبيهم إسرائيل - في منطقة الأردن وفلسطين، ثم انتقل بنو إسرائيل إلى مصر ثم ارتحلوا إلى فلسطين ليقيموا هناك مجتمعاً يهوديًّا، ولكن نظراً لانعزالهم واستعلائهم وعنصريتهم وتآمرهم، فقد اضطهدوا وشردوا، فتفرقوا في دول العالم فوصل بعضهم إلى أوروبا وروسيا ودول البلقان والأمريكتين وإسبانيا، بينما اتجه بعضهم إلى داخل الجزيرة العربية التي أجلوا عنها مع فجر الإسلام، كما عاش بعضهم في أفريقيا وآسيا.

- منذ نهاية القرن الميلادي الماضي وهم لا يزالون يجمعون أشتاتهم في أرض فلسطين، تحرضهم على ذلك، وتشجعهم الصهيونية والصليبية.

- مما لا شك فيه أن اليهود الحاليين - الذين يبلغون حوالي خمسة عشر مليوناً - لا يمتون بصلة إلى العبرانيين الإسرائيليين القدماء المنحدرين من إبراهيم عليه السلام؛ إذ إنهم حالياً أخلاط من شعوب الأرض المتهودين الذين تسوقهم دوافع استعمارية. أما الذين يرجعون إلى أصول إسرائيلية فعلاً هم اليوم – وفي إسرائيل بخاصة – يهود من الدرجة الدنيا.

إن الإحساس بالتميز والاستعلاء والاستكبار لا بد أن يؤدي باليهود إلى التعصب لجنسهم، وزاد في ذلك تأثرهم بمن كانوا يعيشون بينهم في أوروبا القومية، وبالتعصب الديني السائد في أوروبا في العصور الوسطى مما ألجأ اليهود إلى الانعزال - إضافة إلى عوامل أخرى - والانفراد بأحياء خاصة بهم عرفت باسم

(الجيتو) كما عرفت في الدول العربية باسم (حارة اليهود)، فادعوا تلك الدعوى الزائفة (بأن جميع يهود العالم من سلالة شعب إسرائيل، وأن يهود كل بلدان العالم إنما هم امتداد عضوي للآباء الأول من عصر إسحاق ويعقوب). وقال زعيم الصهيونية هرتزل: (إن اليهود بقوا شعباً واحداً وعرقاً متميزاً، إن قوميتهم المتميزة لا يمكن أن تزول، ويجب أن لا تنقرض، لذلك لا يوجد غير حل واحد فقط للمسألة اليهودية، هي الدولة اليهودية). بهذا النص يتبين لنا الهدف والمغزى من تلك الدعوى الزائفة، وهو تبرير الاحتلال اليهودي الصهيوني لفلسطين بدعوى العودة إلى أرض الآباء والأجداد!! وقد بلغ من تأثير الدعاية الصهيونية وترويجها لهذه الأسطورة أن صدَّقها بعض العرب، فاعتقدوا بأن اليهود المتجمعين في فلسطين هم من سلالة النبي الكريم يعقوب (إسرائيل) عليه الصلاة والسلام.

- بطلان هذه الدعوى:

إذا عدنا إلى تاريخ اليهود وكتبهم المقدسة لديهم وجدنا أن الاختلاط الجنسي بين اليهود وغيرهم ثابت منذ بداية تاريخهم، فقد ورد في كتبهم ما يأتي: (فسكن بنو إسرائيل في وسط الكنعانيين والحثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين، واتخذوا بناتهم لأنفسهم نساء، وأعطوا بناتهم لبنيهم وعبدوا آلهتهم). ولو ألقينا نظرة خاطفة على اليهود المعاصرين لوجدناهم مختلفي الألوان والأشكال حسب البلاد التي عاشوا فيها وقدموا منها إلى فلسطين، لذلك يقول عالم الأنثروبولوجيا السويسري أوجين بيتار: (إن جميع اليهود في نظر علماء الأنثروبولوجيا، على الرغم

من كل ما يدَّعيه اليهود والمنضوون تحت الفكرة العنصرية الإسرائيلية، بعيدون عن الانتماء إلى (جنس يهودي)، وكما يقول رينان: (لا توجد سحنة يهودية، بل هناك عدة سحنات يهودية)، وليس هناك أصحُّ من قوله هذا، فنحن لا نستطيع أن نعتبر اليهود الحاليين مكّونين لكتلة بشرية ذات عنصر واحد، ولا حتى في فلسطين، بعد أن جرَّت إليها الحركات الصهيونية كثيراً من اليهود دون اختيار أو تمييز. فاليهود ينتمون إلى طائفة دينية واجتماعية، اندمج فيها في كل عصور التاريخ أشخاص من أجناس متباينة، وكان أولئك المتهودون يدخلون فيها من جميع الآفاق المسكونة بالبشر، من اليهود الأحباش- الفلاشة- إلى اليهود الأشكناز- من الجنس الجرماني- إلى التاميل - اليهود الأفارقة الزنوج - إلى اليهود الهنود الذين يسمَّون ببني إسرائيل، واليهود الخزر الذي ينتمون إلى الجنس التركي، فهل هناك من هذه الأنواع اليهودية نوع يعتبر من ناحية التشريح والتحليل ممثلاً حقيقيًّا ونقياً للجنس اليهودي ؟!(ويستمر عالم الأجناس البشرية السويسري في تحليل كل نوع من الجاليات اليهودية في العالم، من حيث القامة والجمجمة والهيكل العظمي والتقاطيع ولون البشرة والشعر والعينين وشكل الأنف وغيرها من المميزات البيولوجية، ليخرج بنتيجة حاسمة، وهي أن الدعوى العنصرية التي يجاهر بها اليهود من ناحية وأعداء اليهود من ناحية أخرى ليست إلا ادعاءً خرافيًّا من نسج الخيال). ولو أردنا معرفة حقيقة الكثرة الغالبة من اليهود المعاصرين في فلسطين المحتلة، وخاصة الطبقة الحاكمة في فلسطين من السياسيين وكبار القادة العسكريين

وأقطاب الصهيونية الحديثة، لوجدنا أنهم ينتمون إلى يهود الأشكناز، وهم أحفاد الخزر الذين كانوا في جنوب روسيا، واعتنقوا الديانة اليهودية في القرنين السابع والثامن الميلادي. وعن هؤلاء الخزر تقول الموسوعة اليهودية طبعة (١٩٠٣) م في المجلد الرابع ص (١-٥) ما يأتي:

(الخزر) شعب تركي الأصل تمتزج حياته وتاريخه بالبداية الأولى لتاريخ يهود روسيا... أكرهته القبائل البدوية في السهول من جهة، ودفعه توقه إلى السلب والانتقام من جهة أخرى...على توطيد أسس مملكة الخزر في معظم أجزاء روسيا الجنوبية، قبل قيام الفارنجيين سنة (٨٥٥م) بتأسيس الملكية الروسية... في هذا الوقت (٨٥٥م) كانت مملكة الخزر في أوج قوتها تخوض غمار حروب دائمة... وعند نهاية القرن الثامن... تحوَّل ملك الخزر ونبلاؤه وعدد كبير من شعبه الوثنيين إلى الديانة اليهودية... كان عدد السكان اليهود ضخما في جميع أنحاء مقاطعة الخزر، خلال الفترة الواقعة بين القرن السابع والقرن العاشر... بدا عند حوالي القرن التاسع، أن جميع الخزر أصبحوا يهودا، وأنهم اعتنقوا اليهودية قبل وقت قصير فقط. إن مملكة الخزر اليهودية التي قامت في جنوب روسيا - بمنطقة القوقاز فيما بين نهري الفولجا والدون- استمرت لمدة قرنين تقريباً، وكان اسم عاصمتها (إتل) وسقطت على يد أمراء (كييف) الروس في الفترة بين سنة (٩٦٤) و(٩٧٣) م ودامت لهم ولاية في القرم نصف قرن آخر إلى سنة (١٠١٦) م.

خريطة منقولة عن دائرة المعارف اليهودية تبيِّن التوزيع الديني في أوربا عام

(٩٠٠) ميلادية، وفي وسطها تظهر إمبراطورية الخزر اليهودية، التي دامت ثلاثة قرون، وكانت كبرى دول اليهود في التاريخ، ولا تمت بأية صلة عرقية إلى دولتي إسرائيل ويهوذا التاريخيتين على أرض فلسطين. والحقيقة أنَّ من يزعمون أنفسهم (يهودا) المنحدرين تاريخيًّا من سلالة الخزر يشكلون أكثر من٩٢٪ بالمائة من جميع من يسمون أنفسهم (يهودا) في كل مكان من العالم اليوم، والخزر الآسيويون الذين أنشؤوا مملكة الخزر في أوروبا الشرقية أصبحوا يسمون أنفسهم (يهودا) بالتحول والاعتناق سنة ٧٢٠م ، وهؤلاء لم تطأ أقدام أجدادهم قط الأرض المقدسة في تاريخ العهد القديم، هذه حقيقة تاريخية لا تقبل جدلاً. ويؤيد ذلك معظم الباحثين في علوم الإنسان والآثار والتاريخ المختصون بموضوع خزر أمس ويهود اليوم.

وإن حرص اليهود المعاصرين - الذين بَيَّنَّا حقيقة أصلهم ونسبهم - على الانتساب- كذباً وزوراً وبهتاناً - إلى نسل بني إسرائيل القدماء؛ لتكون لهم حجة ودليلٌ لتعزيز ادعائهم الباطل بأن لهم حقًّا تاريخيًّا ودينيًّا في أرض فلسطين، وهو ما سنبين بطلانه إن شاء الله تعالى في الأكذوبة الأخرى من أكاذيب اليهود وأساطيرهم.

الثالث: الأرض:

يزعم اليهود أن لهم حقًّا تاريخيًّا ودينيًّا في فلسطين:

يدَّعي اليهود أن لهم حقوقاً تاريخية في فلسطين؛ لأن أجدادهم سكنوها فترة من الزمن، بدءاً بإبراهيم وإسحاق ويعقوب، ومروراً بموسى ويوشع بن نون عليهم الصلاة والسلام، وإقامة مملكتهم زمن داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام، وانتهاءً بطرد آخر يهودي من بيت المقدس في عصر التشرد والتشتت اليهودي الذي بدأ عام (٧٠) م.

ويدعي اليهود أيضاً أن لهم حقًّا دينيًّا على ما جاء في كتبهم المقدسة لديهم أن الله وعدهم بامتلاك (أرض كنعان) فلسطين وما جاورها (من النيل إلى الفرات) وهي أرض الميعاد؛ لتكون لهم ملكاً ووطناً، ويستدلون على ذلك بما ورد في التوراة أن ذلك الوعد كان مع أبيهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام حينما قال له الرب: (لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات). وقال له الرب أيضاً: (وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهداً أبديًّا؛ لأكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك، وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكاً أبديًّا وأكون إلههم). ويزعم اليهود المعاصرون أنهم أحفاد إبراهيم وسلالته، وأنهم شعب الله المختار فهم الأحق إذًا بفلسطين وما جاورها أرض الآباء والأجداد.

بطلان هذه الدعوى:

فأما بالنسبة لزعمهم بالحق التاريخي فنبين بطلانه بالآتي:

١ - أن من الثابت تاريخيًّا وجود القبائل العربية من الكنعانيين والفينقيين في

فلسطين قبل ظهور اليهود بآلاف السنوات، ولم ينقطع وجود العرب واستمرارهم في فلسطين إلى يومنا، بخلاف اليهود.

٢- أن على اليهود المعاصرين -سلالة الخزر- أن يطالبوا بالحق التاريخي لمملكة الخزر بجنوب روسيا وبعاصمتهم (إتل)، وليس بفلسطين أو بيت المقدس، لأن أجدادهم لم يطؤوها من قبل، وقد أوضحنا ذلك أيضاً.

٣- كانت مدة بقاء بني إسرائيل في فلسطين لا تزيد عن ثلاثة قرون ونصف قرن - وبعض المؤرخين يرى أنها تبلغ خمسة قرون- فهل المدة التي مكثوها في فلسطين كافية في إثبات حقهم مقابل وجود العرب في فلسطين من قبلهم وبعدهم لمئات القرون؟!! وأما بالنسبة للحق الديني والوعد الإلهي لإبراهيم عليه الصلاة والسلام وانتسابهم إليه دينيًّا فهو باطل من وجوه عديدة نذكر منها ما يأتي:

١- بعد أن أوضحنا بطلان انتساب معظم اليهود المعاصرين إلى سلالة إسرائيل (يعقوب) بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام، فقد بيّن لنا القرآن الكريم بطلان انتساب اليهود إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام دينيًّا، فقال ﷻ:

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٥ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٦٦ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٦٧ إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٨﴾ [سورة آل عمران: ٦٥-٦٨].

وقال ﷻ: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة البقرة:١٤٠].

٢- أنه لا يسلم لليهود صحة كتبهم المقدسة لديهم وما احتجوا بها من نصوص، فقد أثبت القرآن الكريم أنهم تجرؤوا على كتب الله المنزلة على أنبياء بني إسرائيل بالتحريف والتزوير والتغيير قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [سورة المائدة:١٣] . وهذا ما سنبينه ونذكر الشواهد والأدلة عليه فيما سيأتي إن شاء الله تعالى.

٣- وعلى فرض التسليم لهم -جدلاً- صحة ما استدلوا به على الوعد الإلهي من كتبهم، فإنا نقول: إن الوعد الإلهي قد أعطي لإبراهيم أولاً عند وصوله أرض كنعان ولم يولد له ولد حينئذ (تكوين ١٢/٧) وتكرر الوعد حين رجوعه إلى أرض كنعان من مصر (تكوين ١٣/١٥)، ثم تكرر الوعد ولم يكن لإبراهيم ولد (تكوين ١٥/١٨)، ثم تكرر الوعد لإبراهيم بعد أن ولد له إسماعيل عليهما الصلاة والسلام (تكوين ١٧/٨).

بناء على ذلك فالوعد الإلهي من حق إسماعيل عليه الصلاة والسلام جدُّ العرب والمسلمين دون غيره؛ لأن إسحاق الابن الثاني لإبراهيم عليهما الصلاة والسلام لم يولد بعد.

فإن قيل: بأن الوعد الإلهي لهم بالأرض المقدسة إرثٌ وموطنٌ أبديٌ قد ذكر في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٠ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ۝٢١﴾ [سورة المائدة: ٢٠-٢١].

فالجواب: أنه بقطع النظر عن كون يهود اليوم هم غير بني إسرائيل القدماء- كما بيناه من قبل - وأن ما جاء في الآية لا يعنيهم؛ لأنها لا تشمل من دان باليهودية من غير بني إسرائيل، وهم معظم أو كل يهود اليوم، فإن الحق في هذا الأمر الذي عليه جمهور المفسرين هو أن عبارة الآية ليست على التأبيد، وإنما هي خاصة بالزمن الذي وعدوا فيه بذلك، ونتيجة لما كان من استجابتهم لأوامر الله وصبرهم، وذلك الجزاء لإيمانهم وتفضيلهم على عالمي زمانهم سنَّة إلهية في عباده عزَّ وجلَّ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [سورة الأنبياء:١٠٥].

فلما أنحرف بنو إسرائيل عن دين الله الحق، وارتدوا وفسدوا وأفسدوا في الأرض، لم يعد لهم حقٌّ بالتمسك بالوعد الإلهي لهم، بل كان الجزاء عليهم بما تضمنته الآيات الكريمة بلعنة الله عليهم وغضبه وعقابه بتشتيتهم في الأرض، وتسليط من يسومهم سوء العذاب إلى يوم القيامة، وضرب الذلة والمسكنة عليهم أين ما ثقفوا جزاءً لنقضهم مواثيق الله وكفرهم بآياته.

٤- كما يمكن القول أيضاً أن وعد الله لهم قد تحقق بعد موسى عليه الصلاة والسلام حينما دخل بنو إسرائيل الأرض المقدسة بقيادة يوشع بن نون - فتى موسى عليهما الصلاة والسلام - وأقاموا فيها زمن داود وسليمان عليهما السلام حينما فضَّلهم الله عزَّ وجلَّ على عالمي زمانهم، ولكن حينما كفروا بالله وفسدوا وأفسدوا في الأرض غضب الله عليهم، فعذبهم وسلَّط عليهم من يسومهم سوء العذاب، وحرمهم من الأرض المقدسة، وشرَّدهم وشَّتتهم في الأرض.

وأما فيما يتعلق بمسألة ما إذا كان الوعد أبديًّا ولا يمكن نسخه: فيقول الدكتور الفرد جلوم - أستاذ دراسات العهد القديم في جامعة لندن- بأنه لم يقطع إطلاقاً أي وعد غير مشروط بأن التملك سيكون أبديًّا، هذا مع أن المقصود كان فترة طويلة غير محددة. ا.هـ

٥- إن الوعد الإلهي مشروط بالإيمان والعمل الصالح، فقد ورد في التوراة الأمر بذلك وبالمثوبة عليه، والوعيد الشديد لمن كفر بالله وارتدَّ عن دينه ونصه: (فإن انصرف قلبك ولم تسمع بل غويت وسجدت لآلهة أخرى وعبدتها، فإني أنبئكم أنكم لا محالة هالكون).

وقد ثبت في أسفارهم المقدسة لديهم أنهم قد كفروا بالله وارتدوا وعبدوا آلهة وأوثاناً أخرى، وقد أوضحنا ذلك أثناء سردنا لتاريخهم.

لذلك حلَّ بهم العذاب والبلاء والغضب من الله، وهو ثابت أيضاً في أسفارهم حيث يقول نبيهم أرميا: (لماذا بادت الأرض واحترقت كبرية بلا عابر ؟! فقال

الرب: على تركهم شريعتي التي جعلتها أمامهم، ولم يسمعوا لصوتي ولم يسلكوا بها، بل سلكوا وراء عناد قلوبهم ووراء البعليم التي علمهم إياها آباؤهم، لذلك قال رب الجنود إله إسرائيل: ها أنا ذا أطعم هذا الشعب أفِسْنتينا، وأسقيهم ماء العلقم، وأبددهم في أمم لم يعرفوها هم ولا آباؤهم، وأطلق وراءهم السيف حتى أفنيهم). وقال: (هكذا قال الرب: إن كنت لم أجعل عهدي مع النهار والليل فرائض السماوات والأرض، فإني أرفض نسل يعقوب وداود عبدي). بل قد ورد التصريح في أسفارهم المقدسة لديهم بحرمانهم من بيت المقدس بسبب كفرهم وضلالهم وعصيانهم، فقال أشعيا: (فكان إليَّ كلام الرب قائلاً: يا ابن آدم، إن الساكنين في هذه الخرب في أرض إسرائيل يتكلمون قائلين: إن إبراهيم كان واحداً وقد ورث الأرض ونحن كثيرون، لنا أعطيت الأرض ميراثاً، لذلك قل لهم: هكذا قال السيد الرب تأكلون بالدم وترفعون أعينكم إلى أصنامكم وتسفكون الدم، أفترثون الأرض !! وقفتم على سيفكم فعلتم الرجس، وكل منكم نجَّس امرأة صاحبه، أفترثون الأرض !!). فمتى نقض اليهود عهد الله فإنه عزَّ وجلَّ لا ينفذ عهده ووعده لهم، بل ينفذ وعيده وعذابه، فالأرض لله يورثها من أقام دينه واتبع تعاليمه، لا من يفسد في الأرض ويعيث فساداً، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [سورة الأنبياء:١٠٥]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ

ٱلۡأُمُورِ ﴾ [سورة الحج:٤١]، والمسلمون هم المراد بهذه الآيات الكريمة إذا صدقوا ما عاهدوا الله عليه ورجعوا إلى كتاب الله ﷻ وسنة نبيه، وتمسكوا بالإسلام كاملاً أفراداً وُأسراً، ومجتمعات ودولاً، ونكتفي بهذه الأوجه في الردِّ على مزاعم اليهود وبيان بطلانها.

مرجعية اليهود:

إن الكتب المقدسة عند اليهود تنقسم على وجه الإجمال إلى قسمين هما: الأول: التوراة وما يتبعها من أسفار الأنبياء المقدسة عند اليهود، وهذا القسم يسميه اليهود بعدة أسماء، منها:

١- أهمها وأشهرها (التناخ) ويكتبونها بالعبرية (ت، ن، ك) وهي حروف اختصار من الألفاظ (توراة)، نبوئيم (الأنبياء)، كتوبيم (الكتب) وهي الأجزاء الثلاثة الكبيرة التي يتألف منها العهد القديم.

٢- (المقرا).

٣- المِسُورَه).

الأول - التوراة: كلمة عبرانية تعني الشريعة أو الناموس، ويراد بها في اصطلاح اليهود: خمسة أسفار يعتقدون أن موسى عليه السلام كتبها بيده، ويسمونها (بنتاتوك) نسبة إلى (بنتا) وهي كلمة يونانية تعني خمسة، أي: الأسفار الخمسة،

وهذه الأسفار هي:

١- سفر التكوين.

٢- سفر الخروج.

٣- سفر اللاويين.

٤- سفر العدد.

٥- سفر التثنية.

أما في اصطلاح المسلمين فهي: الكتاب الذي أنزله الله على موسى عليه السلام قبل أن يدخله النسخ والتحريف.

وكل عاقل منصف- فضلاً عن المسلم المؤمن- يعلم براءة التوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام مما هو موجود في التوراة اليوم، وذلك لأمور عديدة منها:

أ- ما حصل للتوراة من الضياع والنسخ والتحريف والتدمير، فلقد حُرِّف فيها، وبُدِّل، وضاعت، وتعرضت لسبع تدميرات، منذ عهد سليمان عليه السلام قبل الميلاد إلى أن حصل التدمير السابع عام (٦١٣) م مما يدل على ضياعها، وانقطاع سندها.

ب- ما تشتمل عليه من عقائد باطلة لا تَمُتُّ إلى ما جاء به المرسلون بأدنى صلة.

ج- اشتمالها على تنقص الرب جلَّ وعلا وتشبيهه بالمخلوقين.

د- اشتمالها على سب الأنبياء والطعن فيهم.

هـ- اشتمالها على المغالطات، والمستحيلات، والمتناقضات.

و- أن المعركة التي قامت بين التوراة وحقائق العلم الحديث أثبتت ما في التوراة من الأخطاء العلمية. ومن تلك الكتب التي تكلمت على هذا الموضوع كتابان هما: (أصل الإنسان) و (التوراة والإنجيل والقرآن) لعالم فرنسي اسمه (موريس بوكاي) حيث أثبت وجود أخطاء علمية في التوراة والإنجيل، وأثبت في الوقت نفسه عدم تعارض القرآن مع العلم الحديث وحقائقه، بل سجل شهادات تفوُّق سبَقَ القرآنُ فيها العلمَ بألف وأربعمائة عام.

ومن أوضح الأدلة على تحريفها:

الاختلاف في عدد الأسفار:

مما هو معلوم أن بين يدي اليهود والنصارى ثلاث نسخ مشهورة من التوراة والعهد القديم. ومن هذه النسخ تتفرع سائر الترجمات تقريبًا، وهي:

١- النسخة العبرية:

وهي المقبولة والمعتبرة لدى اليهود وجمهور علماء البروتستانت النصارى، وهي مأخوذة من الماسورية وما ترجم عنها.

٢- النسخة اليونانية: وهي المعتبرة لدى النصارى الكاثوليك والأرثوذكس، وهي التي تسمى السبعينية وما ترجم عنها.

٣- النسخة السامرية: وهي المعتبرة والمقبولة لدى اليهود السامريين.

وإذا عقدنا مقارنة بين النسخ الثلاث من ناحية عدد الأسفار نجد أن النسخة

العبرية تسعة وثلاثون سفرًا فقط.

أما النسخة اليونانية فهي ستة وأربعون سفراً، حيث تزيد سبعة أسفار عن النسخة العبرية، ويعتبرها النصارى الكاثوليك والأرثوذكس مقدسة.

أما النسخة السامرية فلا تضم إلا أسفار موسى الخمسة فقط، وقد يضمون إليها سفر يوشع فقط، وما عداه فلا يعترفون به ولا يعدونه مقدساً.

فهذا الاختلاف الهائل بين النسخ لكتاب واحد، والكل يزعم أنه موحى به من قبل الله عزَّ وجلَّ، ويدَّعي أن كتابه هو الكتاب الحق وما عداه باطل، مع عدم القدرة على تقديم الدليل القاطع على صحة ما يدعيه، فذلك دليل على التحريف من قبل المتقدمين، وأن المتأخرين استلموا ما وصل إليهم بدون نظر في ثبوته أو عدم ثبوته، أو أن المتأخرين وصلتهم كتب عديدة ومتنوعة، فأدخلوا ما رأوا أنه مناسب وذو دلالات مهمة، وحذفوا ما رأوا عدم تناسبه مع ما يعتقدون أو يرون، بدون أن يكون لهم دليل صحيح على إضافة ما أضافوا من الأسفار، أو حذف ما حذفوا منها.

ومن الأدلة القاطعة على تحريف التوراة خلوها من ذكر اليوم الآخر، وإنما جاء ذكر اليوم الآخر في التلمود، وهذا أمر مستحيل أن تكون التوراة أعظم كتاب بعد القرآن، ليس فيها ذكر لليوم الآخر.

الثاني: التلمود وهو من المراجع المقدسة عند اليهود: التلمود هو القانون أو الشريعة الشفهية التي كان يتناقلها الحاخامات الفريسيون من اليهود سرًّا جيلًا بعد

جيل. ثم إنهم لخوفهم عليها من الضياع دونوها، وكان تدوينها في القرنين الأول والثاني بعد الميلاد، وأطلق عليها اسم (المشناة)، ثم شرحت فيما بعد هذه المشناة، وسمي الشرح (جمارا) وأُلِّفَتْ هذه الشروح في فترة طويلة، امتدت من القرن الثاني بعد الميلاد إلى أواخر السادس بعد الميلاد.

وتعاقب على الشرح حاخامات بابل، وحاخامات فلسطين، ثم سُّمي المتن- وهو المشناة- مع الشرح- وهي جمار- (التلمود)، وما كان عليه تعليقات وشرح حاخامات بابل سمي تلمود بابل، وما كان عليه شروح حاخامات فلسطين سُمِّيَ تلمود فلسطين.

الثالث: بروتوكولات حكماء صهيون:

البروتوكولات: جمع، واحده بروتوكول، وهو كلمة إنجليزية معناه: محضر مؤتمر، مسودة أصلية - ملحق معاهدة - إلخ. والمراد بـ (بروتوكولات حكماء صهيون): وثائق محاضرة ألقاها زعيم صهيوني على مجموعة من الصهاينة؛ ليستأنسوا بها، ويسيروا عليها في إخضاعهم للعالم والسيطرة عليه.

وهذه الوثائق (البروتوكولات) عرضت على زعماء الصهاينة في المؤتمر الذي عقد في مدينة -بال- في سويسرا سنة (١٨٩٧) م، وكان قد حضر هذا المؤتمر نحو ثلاثمائة من أعتى الصهاينة، يمثلون خمسين جمعية يهودية، ولا يعرف لها كاتب معين.

فرق اليهود

توجد في اليهودية فرق كثيرة تختلف الواحدة منها عن الأخرى اختلافات جوهرية وعميقة تمتد إلى العقائد والأصول، فهي في الواقع ليست كالاختلافات التي توجد بين الفرق المختلفة في الديانات التوحيدية الأخرى. ومن ثم، فإن كلمة (فرقة) لا تحمل في اليهودية الدلالة نفسها التي تحملها في سياق ديني آخر. فلا يمكن، على سبيل المثال، تصوُّر مسلم يرفض النطق بالشهادتين ويُعترَف به مسلماً، .... أما داخل اليهودية، فيمكن ألا يؤمن اليهودي بالإله ولا بالغيب ولا باليوم الآخر ويُعتبر مع هذا يهوديًا حتى من منظور اليهودية نفسها. بل حتى ولو أعتنق الإسلام، ولهذا ترجموا لعبد الله بن سلام رضي الله عنه، كشخصية إسرائيلية، ولم يلتفتوا إلى أنه ترك اليهودية وأسلم وصحب النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا بخلاف اليهود في زمن النبي صلى الله عليه وسلم الذين طعنوا في عبد الله بن سلام عندما أسلم، وهذا يرجع إلى طبيعة اليهودية اليوم بوصفها تركيبًا جيولوجياً تراكمياً يضم عناصر عديدة متناقضة متعايشة دون تمازج أو انصهار، وأولى الفرق اليهودية التي أدَّت إلى انقسام اليهودية فرقة السامريين التي ظلت أقلية معزولة بسبب قوة السلطة الدينية المركزية المتمثلة في الهيكل ثم السنهدرين. ولكن، مع القرن الثاني قبل الميلاد، خاضت اليهودية أزمتها الحقيقية الأولى بسبب المواجهة مع الحضارة الهيلينية. فظهر الصدوقيون والفريسيون، والغيورون الذين كانوا يُعَدون جناحاً متطرفاً من الفريسيين .

وأهم هذه الفرق هي:

١- الفريسيون: وهم أكثر اليهود اليوم.

٢- الصدوقيون.

٣- المتعصبون.

٤- الكتبة أو النَّساخ.

هذا ما يسر الله جمعه والحمد لله أولاً وآخرا وظاهرا وباطنا وصلى الله وسلم وبارك على المبعوث رحمة للعالمين وحجة على الخلق أجمعين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

المراجع:

- الدرر السنية.

- التلمود وموقفه من الإلهيات عرض ونقد المؤلف: الدكتور أبو بكر بن محمد ثاني.

براءة الأنبياء والدين الحنيف من عقيدة التثليث

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوًا أحد، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله الله رحمة للعالمين، وحجة على الخلق أجمعين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن موضوع هذه الرسالة:

براءة الأنبياء والدين الحنيف من عقيدة التثليث ،ويليه الرد على الشبهات المثارة حول الرسول والقرآن والإسلام وبيان حقيقة الغرب والنصارى.

ولا يخفى على اللبيب أن الرد على هذه الشبهات وأمثالها في هذا الزمان من الأهمية بمكان وأن هذا من أعظم النصرة لدين الله ولرسول الله بل لرسل الله عليهم الصلاة والسلام ووالله ما كتبت هذه الكلمات لترف في الوقت، ولا ليقال كتب فلان، إنما كتبتها نصيحة وبيانا للحقيقة، كتبتها وقد سمعت وسمع غيري ما يحزن كل غيور على أمته وعقيدته ودينه ونبيه ووطنه الإسلامي.

ولا أظن من كان ينادي مثلا ويقول ببناء مسجد وكنيسة ومعبد في مكان واحد، أو يقول بهذا اللفظ النصارى أفضل من المسلمين؛ لا أظنه بعد قراءته لهذا المقال إلا أنه سيتعجب كيف كان يقول هذا، إلا من كان مكابرًا ومعاندا، فهذا لم أقصده، ونسأل الله أن يهديه وأن يكفي الإسلام والمسلمين شره.

ووالله لقد كتبتها أناملي وكان معها عقلي وقلبي وحزني وألمي ونصحي وحرصي وحبي لأمتي الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها التي هي غالية وعزيزة علي، كتبتها لمن نحب لهم الخير ولا نألوا جهدا في أن يكونوا سعداء في الدنيا والآخرة، والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وقد قسمت الرسالة إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: براءة الأنبياء والدين الحنيف من عقيدة التثليث.

القسم الثاني: رد الشبهات المثارة حول الرسول والقرآن والإسلام وبيان حقيقة الغرب والنصارى.

القسم الثالث: مرجعية النصارى وفرقهم وعقائدهم وعباداتهم.

القسم الأول: براءة الأنبياء والدين الحنيف من عقيدة التثليث.

إن من العجائب والغرائب والمصائب أن يدعي النصارى أن لله ابنا -تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرًا.

ووالله لولا أن النصارى قد قالوها ما كانت لتخطر على بال، فضلًا عن أن يتلفظ بها لسان.

وهذا الابن الذي زعموه من بني آدم ومن أهل الأرض، ممن كان يحتاج إلى ما يحتاج إليه بنو آدم من الأكل والشرب والنوم ودخول الخلاء، قال الله تعالى: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ [سورة المائدة:٧٥] وخرج من رحم

أنثى، وصُلِبَ على عقيدة النصارى، وسيموت كما يموت غيره على عقيدة المسلمين.

قال الله تعالى –منكرًا عليهم ومكذبًا لما ادعوه ومعظمًا لما افتروه–: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۝٨٨ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ۝٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ۝٩١ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩٢ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۝٩٣ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝٩٤ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ۝٩٥﴾ [سورة مريم:٨٨-٩٥].

وقال تعالى: ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝٤ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِـَٔابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥﴾ [سورة الكهف:٤-٥].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ –مخاطبًا النصارى–:

أَعُبَّادَ المسِيحِ لَنَا سُؤَالٌ ... نُرِيدُ جَوَابَهُ مِمَّنْ وَعَاهُ
إذا مَاتَ الإِلهُ بِصُنْعِ قومٍ ... أَمَاتُوهُ فَمَا هذَا الإِلهُ؟
وَهَلْ أرضاه ما نَالُوهُ مِنْهُ؟ ... فَبُشْرَاهمْ إذا نالُوا رِضَاهُ
وَإِنْ سَخِطَ الّذِى فَعَلُوهُ فيه ... فَقُوَّتُهُمْ إِذًا أَوْهَتْ قُوَاهُ
وَهَلْ بَقِى الوُجُودُ بِلاَ إِلهٍ ... سَمِيعٍ يَسْتَجِيبُ لِمَنْ دَعَاهُ؟
وَهَلْ خَلَتِ الطِّبَاقُ السَّبْعُ لَمّا ... ثَوَى تَحتَ التُّرَابِ، وَقَدْ عَلاَهُ
وَهَلْ خَلَتِ الْعَوَالِمُ مِن إِلهٍ ... يُدَبِّرهَا، وَقَدْ سُمِرَتْ يَدَاهُ؟
وَكَيفَ تَخَلّتِ الأَمْلاَكُ عَنْهُ ... بِنَصْرِهِمُ، وَقَدْ سَمِعُوا بُكَاهُ؟

وكيف أطاقت الخشــبات حمل ال　　إلــه الحـق مشـــــدودا قـفـاه؟
وَكيْف دَنا الحَـدِيـدُ إِلَيْـهِ حَتَّى　　يُخَـالِـطَـهُ، وَيَـلْـحَـقَـهُ أذَاهُ؟
وَكَـيْـفَ تَمكْـنَـتْ أَيْـدِي عِـدَاهُ　　وَطَالتْ حَيْثُ قَدْ صَـــفَعُوا قَفَاهُ؟
وَهَـلْ عَـادَ المسِـــيحُ إِلَى حَيَـاةٍ　　أَمِ المـحْـيِي لَـهُ رَب سِـــــوَاهُ؟
وَيَا عَـجَـبـاً لِـقَـبْرٍ ضَـــمَّ رَبا　　وَأَعْجَـبُ مِنْـهُ بَطْنٌ قَـدْ حَوَاهُ
أَقَامَ هُنَاكَ تِسْـــعاً مِنْ شُـــهُورٍ　　لَـدَى الظُّلُمَـاتِ مِنْ حَيْضٍ غِـذَاهُ
وَشَـــقَّ الْفَرْجَ مَوْلُودًا صَـــغِيراً　　ضَــــعِيفـاً، فَـاتِحـاً لِلثَّـدْى فَـاهُ
وَيأْكُـلُ، ثمَّ يَشْـــرَبُ، ثمَّ يَأْتِي　　بِـلاَزِمِ ذَاكَ، هَـلْ هــذَا إِلـهُ؟
تَعَالَى اللهُ عَنْ إِفْكِ النَّصَـــارَى　　سَــيُسْــــأَلُ كُلَّهُمْ عَمَّـا افْترَاهُ
أَعُبَّـادَ الصَّـــلِيـبِ، لأَى مَعْنِّى　　يُـعَـظـمُ أوْ يُـقَـبَّـحُ مَـنْ رَمَـاهُ؟
وَهَلْ تَقْضِـــى العقولُ بِغَيْرِ كَسْــرٍ　　وَإِحْـرَاقٍ لَـهُ، وَلَـمِـنْ بَـغَـاهُ؟
إِذَا رَكِـبَ الإِلـهُ عَـلَيْـهِ كُرْهـاً　　وَقَـدْ شُـــــدَّتْ لِتَسْـــمِيرٍ يَـدَاهُ
فَـذَاكَ المرْكَـبُ الملْعُونُ حَـقـا　　فَـدُسْـــــهُ، لا تَبُسْــــهُ إِذْ تَرَاهُ
يُـهَـانُ عَـلَيْـهِ رَبُّ الخَلقِ طُـرا　　وتَـعْـبُـدُهُ؟ فَـإِنّـكَ مِـنْ عِـدَاهُ
فَـإِنْ عَظّمْتَـهُ مِنْ أَجْـلِ أَنْ قَـدْ　　حَوَى رَبَّ العِبَـادِ، وَقَـدْ عَـلاَهُ
وَقَدْ فُقِـدَ الصَّـــلِيبُ، فإِنْ رَأَيْنَـا　　لَـهُ شَـــكْـلاً تَـذَكَّرْنَا سَـنَـاهُ
فَـهَـلاّ لـلقبورِ سَــجَـدْتَ طُرا　　لَضّـــم القبرِ رَبّـكَ فى حَشَـــاهُ؟
فَيَـا عَبْـدَ المسِـــيحِ أَفِقْ، فَهَـذَا　　بِـدَايَـتُـهُ، وَهــذَا مُـنْـتَـهـاهُ

و(النصارى:) هو الاسم الصحيح لهم وليس (المسيحيين)، كما أن الاسم الصحيح لمن يسمون أنفسهم اليوم (إسرائيل) -نسبة إلى نبي كريم وهو يعقوب عليه السلام- الاسم الصحيح لهم (اليهود).

ويعقوب والمسيح -عليهما السلام- بريئان من عقائد اليهود والنصارى الباطلة. وللنصارى فلسفات وتناقضات وافتراءات وخرافات في نسبة الابن لله، لا تستطيع أن تفهمها ولا يستطيعون إفهامك، وأنى لهم ذلك، وقد وقعت لي مناظرتان أو حواران مع شخصين من دعاة التنصير أحدهما استرالي والآخر إيراني في قبرص اليونانية، عندما تقعد معهم تحمد الله على أن هداك للإسلام دين الحجة والفطرة والعقل.

وقد ذكر لي شخص عامي من سوريا متزوج بنصرانية أنها كانت تلح عليه أن يذهب معها إلى الكنيسة، يقول: فذهبت معها مرة وقابلني القس، فقلت له: عندي ثلاثة أسئلة إذا أجبتني عليها دخلت معكم في المسيحية! الأول: من هو ربكم من الثلاثة؟

الثاني: إذا كان عيسى ابن الله فكيف قدر اليهود على قتله؟

الثالث: لماذا الله ليس له إلا ابن واحد؟

قال: فلم يستطع أن يجيبني إجابة واضحة على واحد منها، ثم قال لزوجتي: هذا لا تأت به معك مرة أخرى.

ولهذا احمد الله أن هداك للإسلام وعض عليه بالنواجذ، تؤمن بجميع الأنبياء وتؤمن أنه لا خالق إلا الله ولا معبود بحق إلا الله.

❋ وللنصارى شبه: . أن عيسى ولد بدون أب.

والجواب: أن نقول لهم: إن الله على كل شئ قدير، فالذي خلق غير عيسى من

نطفة، قادر على خلق عيسى بدون هذه النطفة، وقد خلق آدم بدون أب ولا أم. ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [سورة آل عمران:٥٩].

* ومن شبههم: أن عيسى كان يحيي الموتى.

والجواب: أن عيسى رسول بل أحد أولي العزم الخمسة وأفضل أنبياء بني إسرائيل بعد موسى -عليهما السلام- والرسول لا بد أن يأت بآية خارقة للعادة وخارجة عن قدرة البشر، فموسى فلق البحر بعصاه بأمر الله وهذا أمر خارق للعادة وضرب حجر بعصاه فتفجرت عيونا بإذن الله.

وإبراهيم دعا الطيور الممزقة فجاءته سعيا تطير بإذن الله، وصالح أخرج لقومه ناقة من صخرة صماء وهم ينظرون بإذن الله، ومحمد ﷺ نبع الماء من بين أصابعه وانشق له القمر كما انشق البحر لموسى كل ذلك بإذن الله.

وإحياء الموتى على يد عيسى عليه السلام من تلك الآيات التي يجريها الله تعالى على أيدي أنبيائه؛ تأييدا لهم ولتكون برهانًا على صدقهم، وكلها بإذن الله.

وقد كان كل نبي يأتي بمعجزة خارقة للعادة ويتحدى بها أهل زمانه، فموسى بعث في قوم أهل سحر فجاء بآية وهي العصا، ولم يأت بالسحر، فإذا هي تلقف ما يأفكون، ومحمد ﷺ بعث في قوم أهل فصاحة فكانت معجزته العظيمة القرآن الذي تحدى الله الجن والإنس أن يأتوا بمثله، وقد ذكروا أن عيسى بعث في قوم تفوقوا في الطب، فأتى بمعجزة إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص.

ومنها: أنه رفع إلى السماء.

والجواب: هل كل من رفع إلى السماء أو سكن في السماء فهو ابن الله أو هو الله؟

فهذا إبليس سكن في السماء مدة لا يعلم بها إلا الله.

وآدم وحواء سكنا في الجنة وهي في السماء.

والملائكة في السماء وهم لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون.

ونبينا محمد ﷺ رفع في ليلة المعراج إلى السماء حتى رأى الحجاب، ثم عاد لإكمال ما أُرسِلَ به، وعيسى سيرجع إلى الأرض لكن في آخر الزمان، وأما حاله الآن فالله أعلم بها، والله على كل شيء قدير.

وأنا أحتج عليهم بأمور يعرفون أكثرها.

- ومنها: أن الله سمى عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ روحًا: وقال عن مريم: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [سورة التحريم:١٢].

والجواب: أن روح عيسى عليه السلام من الأرواح المخلوقة، وقد قال تعالى عن آدم: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [سورة الحجر:٢٩] فالله ﷻ هو الذي خلق ونفخ الروح في آدم وعيسى عليهما السلام والإضافة هنا إضافة تشريف.

وكذلك ما جاء في خطاب عيسى يا روح الله فهو إضافة تشريف كما قال تعالى عن ناقة صالح عليه السلام (ناقة الله)، ويقال للكعبة (بيت الله)، فالإضافة في هذه المواضع إضافة تشريف.

ومن شبههم: أن في القرآن يقول تعالى (إنا ، نحن ،) وهي ضمير الجمع

والجواب: هذا من جهلهم بلغة العرب التي نزل بها القرآن وهو استعمال هذه الضمائر للتعظيم، لكن هكذا أهل الباطل يتركون: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [سورة الإخلاص:١-٤] ويتمسكون بغيره مما هو عليهم لا لهم.

- ومنهم: أن في الإنجيل يقول عيسى أبي، أي: الله.

والجواب عن هذه الشبهة من التوراة والإنجيل لا من غيرهما: ففي لغة التوراة والأناجيل: كل بر تقي يسمى ابن الله، وفي الآية التاسعة من الفصل الخامس من إنجيل متَّى: (طوبى لصانعي السلام، لأنهم أبناء الله يدعون.).

وجاء في الفصل نفسه رقم: ٤٥: (لتكونوا أبناء أبيكم الذي في السماء).

وفي رقم: ٤٨: (فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السماء كامل).

وفي الفصل السادس رقم ١: (وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذي في السماء).

وفي الفصل ٢١ رقم ٤٥ و٤٦: (لما أرادوا أن يقبضوا عليه خافوا من الجموع لأنه كان عندهم نبيًا).

ففيه دليل على أن جموع المؤمنين بعيسى في زمانه لم يكونوا يعتقدون أنه إله أو ابن الله أو أحد الأقانيم الثلاثة، بل كانوا يعتقدون أنه نبي فقط.

وفي الفصل ٢٠ رقم ١٦ من إنجيل يوحنا: (قال لها يسوع: يا مريم! فالتفتت تلك، وقالت له: ربوني - ومعناه يا معلم-، قال يسوع: لا تلمسيني لأني لم أصعد

بعد إلى أبي، ولكن اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم، فجاءت مريم المجدلية وأخبرت التلاميذ أنها رأت السيد وأنه قال لها ذلك) فقد شهد المسيح أن الله إلهه وإلههم، ولا فرق بينه وبينهم في العبودية.

وهذه أمور واضحة إلا أنها كانت لهم فتنة، ولا غرابة فبنو إسرائيل عبدوا عجلاً صنعه السامري من حليهم، لمجرد خوار سمعوه منه، وغياب موسى عنهم عدة أيام، مع أنه قد خشي منهم الزيغ، وترك فيهم هارون ووصاه بقوله: ﴿ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [سورة الأعراف:١٤٢]، وعندما عبدوا العجل نصحهم هارون فأبوا قبول نصحه.

وكذلك النصارى تركوا كل ما يعرفونه عن الله من وحدانيته، وما يعرفونه عن عيسى من بشريته، وفتنوا بالآيات التي أيده الله بها، وقد قال رسول الله ﷺ محذرًا أمته من الغلو فيه: «لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم، إنما أنا عبد الله ورسوله، فقولوا عبد الله ورسوله».

وهذا من العجائب بل هو أعجب العجائب، أن ينقسم بنو إسرائيل في عيسى إلى قسمين: قسم في أقصى الشرق، وهم اليهود الذين بعث الله إليهم عيسى، فقالوا -قاتلهم الله- هو ابن زنى ولم يعترفوا بنبوته، بل حكم عليه علماؤهم وحكامهم بالكفر والقتل صلبًا، قال تعالى عن اليهود: ﴿وَبِكُفۡرِهِمۡ وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمًا ۝١٥٦ وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ [سورة النساء:١٥٦-١٥٧]، واليهود في حكم الله قتلة لعيسى لأنهم عزموا على ذلك بل قتلوا شبهه.

وقسم آخر في أقصى الغرب، وهم النصارى؛ إذ قابلوا جفاء اليهود بغلو مفرط في عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فجعلوه ثالث ثلاثة، وجعلوه ابن الله، وجعلوه ربا من دون الله.

فجاء الإسلام بالفصل والقول الحق في عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فليس الأمر كما قال اليهود المكذبون الكاذبون، وليس الأمر كما افترت النصارى الضالون، فعيسى أنطقه الله في المهد فشهد لأمه بالعفة والصدق والصلاح، ثم جاء بعد ذلك بآيات خارقة للعادة تدل وتشهد على نبوته ورسالته ،فنعوذ بالله ونبرأ إلى الله من طريق المغضوب عليهم ومن طريق الضالين، ونحمد الله على نعمة الإسلام.

وما جاء به الإسلام؛ فكما أنه هو الحق الذي لا مرية فيه؛ فهو الذي يقبله العقل السليم.

وعقيدة النصارى في عيسى جعلتهم أضحوكة وسخرية عند الملاحدة وغيرهم.

ولا شك أن النصارى بعد عيسى عليه السلام انقسموا إلى فرق، وكان منهم من بقي على دين عيسى، ومنهم من أدرك محمدًا رسول الله ﷺ وآمن به، كالنجاشي وغيره.

ومن عجائب النصارى: تعليقهم للصليب وهو تناقض عجيب، فيعتقدون أن عيسى ابن الله، ثم يعتقدون صلبه بل ويعلقون الصليب، فلو كان ابنًا لله -كما زعموا-؛ فكيف قدر اليهود على قتله؟

ثم هم يقولون إذا سئلوا عن سبب تعليقهم للصليب: أنه ضحى بنفسه لتكفير

خطيئة آدم، أو البشر، ولا أدري بأي عقل وبأي شرع أن الشخص يعرض نفسه للقتل ليكفر عن ذنب غيره، مع أن آدم قد تاب فتاب الله عليه، وكذلك ذريته فلا يُغفر لأحد حتى يتوب عن الشرك والكبائر والظلم حتى تكفر عنه.

وفي قصة الصلب تناقضات تدل دلالة واضحة على ما قرره وفصل فيه القرآن من أن الذي صلب هو الشبه.

يقول إنجيل متى أنه كان مضطربا خائفا يدعوا الله ويقول في دعائه: (اللّٰهم إن كنت تقدر أن تصرف عني هذه الكأس فاصرفها) وهذا مستحيل أن يقوله مؤمن بالله، فضلا عن نبي الله، لأن المؤمنين يعتقدون أن الله على كل شيء قدير.

وفي إنجيل متَّى أنهم سمعوه يقول بصوت عال (ايلي ايلي لما شبقتني) وهذا اللفظ سرياني ومعناه: (الهي إلهي لماذا خذلتني).

وهذا الكلام لا يمكن أن يقوله رجل صالح فضلا عن نبي (أن الله خذله).

وهكذا يحكي إنجيل متَّى أنه عندما حكم عليه اليهود بالقتل وأرادوا موافقة الحاكم بيلاطس وبعثوه إليه، ففي الفصل ٢٧ من إنجيل متى رقم ١١: أن الحاكم سأله فقال له: هل أنت ملك اليهود؟ فقال له أنت تقول، ولما اشتكاه رؤساء اليهود ورجال الدين عندهم بأنه كفر، وقال في الدين ما استوجب بها القتل، سأله بيلاطس: ألا تسمع إلى ما يقولون وما يشهدون به عليك؟ فأبى أن يتكلم أو ينطق ولو بكلمة واحدة، فسيؤول ذلك النصارى على أنه كان يريد الصلب لأجل فداء الناس ومغفرة ذنوبهم، إذن فلماذا سأل الله أن يصرف عنه تلك الكأس يعني

القتل؟ ولماذا صاح وهو على الصليب يا إلهي لماذا غدرتني؟ ثم كيف يسكت عن بيان الحق، وفيه تبرئة نفسه وأتباعه وتبرئة الحق، وهو الفصيح اللسان الذي كان يخطب الخطب الطويلة ويملؤها تقريعًا وتوبيخًا لعلماء اليهود.

ولهذا نجد أن الله يصف النصارى بالضالين، واليهود بالمغضوب عليهم؛ لأن النصارى أهل جهل وخرافات وضلالات ورهبانية ابتدعوها، بخلاف اليهود، فقد ضلوا عن علم. ولهذا الكثير من النصارى خاصة الجيل الناشئ، تركوا النصرانية، الكثير منهم اتجه إلى الإلحاد وهو أسوء بلا شك من كفر النصارى، ومنهم من هداه الله للإسلام، ولا تغرنكم الأرقام وأن عدد النصارى كذا فهي أعداد فارغة، والذي يعيش في دول النصارى يشاهد الكنائس من الخارج يراها عملاقة وفخمة، لكنها فارغة لا يوجد فيها إلا أعداد قليلة من كبار السن ونحوهم، إلا في المناسبات والأعياد، والله كنت أتمنى وأنا في قبرص اليونانية وهي من دول أوروبا الشرقية وهم أكثر تمسكاً بالنصرانية من أوروبا الغربية، كنت أتَمنى أن يعطونا كنيسة من تلك الكنائس ثم نقوم بتحويلها إلى مسجد، لأن المسلمين كانوا يصلون في الشمس والمطر بسبب ضيق المسجد.

فأكثر النصارى لم يبق معهم إلا الانتساب إلى النصرانية فقط.

ووالله لقد كنت أنظر فقط إلى ندائنا للصلاة وإلى ندائهم لصلاتهم؛ فإذا نداؤنا تكبير وتعظيم لله، ونداؤهم أجراس وأبواق، هذا غير النظر إلى عقائدهم، وعقائدنا، وصلاتهم، وصلاتنا، وصيامهم، وصيامنا، وطهارتهم، وطهارتنا ....

وسبحان الله كم الفرق بين من يقول لا إله إلا الله، ومن يقول الله ثالث ثلاثة، وهذا الفارق العظيم يكفي لمعرفة ضلال النصارى وشركهم ،وتوحيد المسلمين وإخلاصهم.

وما أعظم وأحسن وأجمل وأصدق هذه الآية التي كان رسول الله ﷺ يكتبها في كتبه ورسائله إلى ملوك الروم والفرس وغيرهم: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران:٦٤].

ومن المؤسف له أن النصارى استطاعوا اليوم نشر باطلهم بالأخلاق، بينما بعض المسلمين نفَّر الناس عن الحق بأخلاقه السيئة، ألسنا أولى بتلك الأخلاق التي حث عليها الإسلام كالإحسان والتبسم والسكينة، حتَى قال رسول الله ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، وقال ﷺ: «ما رأيت أثقل في الميزان من حسن الخلق»، وقال ﷺ: «إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم».

عار علينا وعندنا هذه الأحاديث وغيرها أن يكون غيرنا خيرًا منا في الأخلاقيات أو في بعض منها، لقد أخبر الرسول ﷺ أن تبسمك في وجه أخيك صدقة.

ولا شيء يأسر القلوب ويكسبها كالأخلاق الطيبة والمعاملة الحسنة.

والجاهل قد يقبل الباطل من صاحب الخلق الحسن، ويرد الحق بسبب سوء خلق صاحبه.

وقد لجأ النصارى في الأزمنة الأخيرة إلى إغراء ضعفاء النفوس من المحتاجين والدول الفقيرة بالمال، ومع هذا فأكثر من يذهب معهم إن ذهب معهم؛ يذهب لأجل المال، فالتنصير اليوم في الغالب تنصير بالمال، ولأجل المال، ووجد في بعض الدول، من دخل في النصرانية تعطى له الجنسية قبل غيره، ويندر جدا أن يذهب معهم أحد من المسلمين ويترك دينه وإيمانه وعقيدته، فلا يقع هذا إلا من ضعفاء النفوس والأشقياء وأهل الجهل والحمقى ومن لا خير فيهم، وهذا بخلاف من يسلم من النصارى، فأكثر الذين يسلمون عقلاء وعلماء، ويسلمون عن قناعة وبعد دراسة مستفيضة، الدافع لهم هو القناعة أنه الحق، وليس المصلحة أو الجهل، وأكثر المسلمين الإسلام عندهم أغلى من كل شيء، حتى مع شدة حاجتهم، خاصة في هذا الزمان في الدول التي ابتليت بالحروب، والتي وراءها دول النصارى واليهود وغيرهم، ولكن أكثر الناس لا يعقلون.

أكثر المسلمين يأخذون منهم مساعدات، أعني من الجمعيات المختصة بالتنصير، لكن إذا بدأوا يظهرون لهم التنصير تركوهم وأموالهم، وصبروا على الشدة والحاجة، فدينهم أغلى عندهم من الدنيا وما فيها، فلأن يموت أحدهم جوعًا، أو يقطع قطعا أو يحرق حتَى يصير رمادًا، أهون عليه من أن يلقى الله مشركًا به أو كافرًا بأحد رسله.

والشخص لو لقي الله بأي ذنب عدا الشرك بالله والكفر بالله وبرسله، فيرجى له الخير، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [سورة النساء:١١٦].

ولهذا يجب على المسلمين اليوم أن يقوموا بواجبهم نحو إخوانهم المنكوبين والمحتاجين، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [سورة الحجرات:١٠]، وقال ﷺ: «مثل المؤمنون في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

وما أعظم هذا الموقف يوم القيامة، يوم يكذب الله النصارى أمام كل الخلق، ويكذبهم عيسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [سورة المائدة:١١٦-١١٨].

ومن خرافات النصارى وكذبهم ودجلهم وافترائهم وغلوهم، قولهم عن عيسى، هو ابن الله أو هو الله كان فينا مدة على صورة بشر ثم صعد إلى السماء، وهذا من أبطل الباطل، تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرًا، ولو نزل عيسى من السماء لكان لهم شبهة في ذلك، ولو كان لله ولد في السماء - تعالى الله عما يقولوا الظالمون

علوًا كبيرًا- لكان لهم شبهة في ذلك، أما وقد تنزه الله عن الولد والند والشبيه والنظير والكفؤ والمثيل، أما وقد ولدته مريم عليها السلام في الأرض فلا شبهة لهم في ذلك، ولهم في ذلك فلسفة وكلام باطل لم يأت ولن يأت به دليل ولا يقبله عقل سليم وهو أن الله – تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرا- تجسد في صورة عيسى، قاتلهم الله، والله أننا لا نطيق أن ننقل كلامهم ولا نطيق كتابته لولا أننا نريد بيان ضلالهم وكفرهم.

ولهذا نسبة الولد لله من أعظم الكفر بالله لأن الابن كما هو معلوم لا ينسب إلى الشخص إلا إذا ولد منه، وهذا لا يكون إلا عن طريق الصاحبة، تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرًا، ولهذا قال تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [سورة الأنعام:١٠١]، ويترتب على هذه العقيدة صرف شيء من العبادة لغير الله، وهذا كفر آخر وهو صرف العبادة لغير الله.

وللنصارى فلسفات وادعاءات في عقيدتهم في عيسى، إلا أن عقيدتهم التي يعلنون بها، أن عيسى ابن الله وأنه ثالث ثلاثة، وأنه ربهم.

وقد شهد عليهم إخوانهم المشركون من العرب، أنهم اتخذوا عيسى إلها من دون الله، كما اتخذ المشركون آلهة من دون الله، قال تعالى: ﴿۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ۝٥٧ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ۝٥٨ إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ

﴿٥٩﴾ [سورة الزخرف:٥٧-٥٩].

ثم كفرهم برسول من رسل الله، وهذا كفر آخر، والكفر برسول واحد سواء كان موسى أو عيسى أو نوح أو غيرهم، كفر بجميع الرسل، لأنه أمر لا يقبل التجزئة قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة الشعراء:١٠٥]، مع أن نوحًا أول رسول وهم لم يروا إلا نوحًا ولم يكفروا إلا بنوح.

وقد جاء في كتب النصارى البشارة بالنبي الذي يأت بعد عيسى عليه السلام، وتصديقه واتباعه، ولم يأت بعده نبي إلا محمد ﷺ.

ففي الفصل ١٦ رقم ٥ إلى ٨: (وأما الآن فأنا ماض إلى الذي أرسلني وليس أحد منكم يسألني أين تمضي؟ لأني قلت لكم هذا، قد ملأ الحزن قلوبكم لكوني أقول لكم الحق، إنه خير لكم أن أنطلق لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي ولكن إن ذهبت أرسله إليكم ومتى جاء ذلك يبكت العالم على خطية على بردينونة).

ومن ١٢ إلى ١٤: (ا إن لي أمورًا كثيرة أيضا لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن ،وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق؛ لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية ،ذاك يمجدني لأنه يأخذ ممالي ويخبركم).

القسم الثاني: الرد على الشبهات المثارة حول الرسول والقرآن والإسلام وبيان حقيقة الغرب والنصارى.

ومن شبهات النصارى –التي احتجوا بها، وبرروا عدم إيمانهم بمحمد ﷺ: أن محمدًا رسول إلى العرب فقط.

والرد عليهم: كما قال ابن أبي العز في شرح العقيدة الطحاوية: "إذا اعترفتم برسالته ونبوته فيلزمكم تصديقه بكل ما أخبر، لأن الرسول لا يكذب، وقد قال بأنه رسول الله إلى الناس كافة، وختم الله به النبوة إلى قيام الساعة."

والعجيب أن عيسى هو الذي أُرسِل إلى قومه بني إسرائيل خاصة، ولهذا لم تدعي اليهود كما ادعت النصارى، ومن ثم يسعى النصارى إلى إدخال الناس في النصرانية.

وعندما كان محمد ﷺ هو آخر الرسل ولا نبي بعده يجدد للناس أمر دينهم، أرسله الله إلى الناس كافة.

وأما زعمهم أن الرسول ﷺ أخذ القرآن من التوراة والإنجيل، فهذا من أبطل الباطل وأكذب الكذب، ولم يقل بهذا أسلافهم الذين كانوا فعلا في زمن الرسول ﷺ، وكانوا يبحثون عن أي ثغرة للطعن في الرسول ﷺ، ومعلوم أن الرسول ﷺ لم يكن يقرأ ولا يكتب، وقد عاش في مكة ولم يكن بها أهل كتاب، حتى ورقة بن نوفل لم يكن من أحبار اليهود أو النصارى، وإنما أعجبه دينهم، ورأى أنه أفضل من عبادة الأصنام، وأخذ يقرأ في كتبهم ومات قبل نزول الوحي بالقرآن، وقد

تحدى الله الجن والإنس أن يأتوا بمثله، وكل من يقرأ القرآن، يعلم أنه تحدث عن أحداث كثيرة وقعت في زمن الرسول ﷺ لا قبل زمنه، ونزل القرآن بها، ثم ألفاظ القرآن ومعانيه وقصصه وأحكامه وسوره وآياته، تختلف تماما عن آيات التوراة والإنجيل التي دخلها التحريف والنسخ والتبديل، بشهادة المنصفين منهم، بخلاف آخر الكتب وخاتمها فقد تكفل الله بحفظه إلى قيام الساعة، وكون بعض القصص ذكرت في القرآن وذكرت في التوراة والإنجيل، فلأن الكل من عند الله والكل يصدق بعضه بعضا، لولا ما طرأ على التوراة والإنجيل من التحريف والنسخ والتبديل، وكل ديانة اليوم تتهم الأخرى بالتحريف والبطلان، إلا أن الأمر كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [سورة البقرة: ١١١].

فهذه الشبهة –وهي أن الرسول أخذ القرآن من التوراة والإنجيل، أو من أحبار اليهود والنصارى– أوهن من خيط العنكبوت وإنما لبسوا بها على أتباعهم الذين لا يعرفون القرآن، ولا يعرفون حقيقة الأمر.

وأما من ينكر نبوته فهذا مثل الذي ينكر ضوء الشمس في رابعة النهار.

والله ما قرأ شخص معجزته الكبرى القرآن، وعرف معناه إلا آمن قلبه وعقله قبل لسانه.

وكذلك الأحاديث الصحيحة التي ذكر فيها أخبارًا وأحداثا ستقع في المستقبل، فما وقع منها إلى الآن وقع طبق ما ذُكِرَ في تلك الأحاديث، وما لم يقع سيقع كما أخبر

به رسول الله ﷺ.

وقد ألف شيخنا مقبل الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابًا حافلا في ذلك سماه الصحيح المسند من دلائل النبوة.

وهذا غير الآيات التي جاء بها ورآها الناس وسارع إلى الإيمان به من هداه الله، وأعرض عن الإيمان به الأشقياء ومن لا خير فيهم، وقد جاء في صحيح البخاري أن هرقل ملك الروم في زمنه، عندما جاءه كتاب الرسول ﷺ يدعوه إلى الإسلام، وسأل عن صفاته ووجدها طبق ما كان يعلمه من كتبهم، جمع كبار مملكته وقال هل لكم في الرشد والفلاح، وأن يدوم لكم ملككم فتبايعوا هذا الرجل، فنفروا وحاصوا حيصة حمر الوحش، فخاف على نفسه وملكه، وقال إنما أردت أن أختبر صلابتكم في دينكم، فسجدوا له ورضوا عنه. وقد ألف المؤرخ الإمريكي مايكل هارت كتابه "العظماء مائة" وذكر أولهم محمدًا ﷺ ذكره قبل موسى وعيسى، فقد ذكر الثاني في الكتاب إسحاق نيتون عالم شهير في الفيزياء والرياضيات وغيرهما، وذكر رقم ٣ يسوع، وهو عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

والكتاب عليه مآخذ كثيرة، فقد ذكر بوذا رقم ٤ وذكر موسى رقم ١٦ وذكر زعماء الشيوعية الثلاثة وذكر هتلر وذكر افلاطون، والمقياس عنده ليس الصلاح والنبوة، وإنما التأثير في مجرى التاريخ.

وله بعض الكلمات الحقة والمنصفة مثل اعترافه بتناقض الأناجيل، وعندما ذكر عيسى قال عنه هو الشخصية المحورية في المسيحية ومؤسسها، ويعترف المسلمون

به نبيا.

ومايكل هارت قيل: بأنه نصراني، وقيل: بأنه لا يُعرف دينه، ولم يذكر في كتابه من هذه الأمة إلا الرسول ﷺ، وذكر كذلك الفاروق عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ رقم ٥١.

وقد ادعى النبوة أناس كثير في زمنه ﷺ مثل مسيلمة الكذاب، والأسود العنسي، وسجاح، والمختار وغيرهم وعندما كانوا كذابين فضحهم الله، وانتهى أمرهم، أما محمد ﷺ فأتباعه في ازدياد قاربوا أن يصلوا إلى ملياري مسلم، ودينه اليوم وصل إلى كل بقعة في الأرض، رغم أنوف الحاقدين، نعم أمته اليوم تمر بحالة من الجهد والتعثر لأمور أرادها الله، وبسبب تقصيرهم في كثير من الأمور، إلا أن هذه الأمة لن تموت، وسيرى الناس في المستقبل القريب بإذن الله عجائب أمره في خلقه، وتمكينه لعباده، وستغير هذه الأمة، وستتغير إلى الأحسن بإذن الله، وستستفيد من الدروس والظروف والأحداث التي مرت بها، وليس عندنا شك في ذلك: ﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ﴾ [سورة ص:٨٨].

ولنا في ذلك أدلة صادقة، وتاريخ لا ينكر، فقد مرت الأمة بواقع أسوأ من واقعها اليوم، وسلب الأقصى وظل تحت سيطرة النصارى أكثر من تسعين سنة، ثم عاد إلى أهله على يدي صلاح الدين الأيوبي رَحِمَهُٱللَّهُ.

فإن ذكرتم لنا ما عند غيرنا اليوم من قوة وتكنولوجيا، ذكرنا لكم قوة الله وعظمته وملكه وقدرته وحسن تدبيره، قال الله ☜: ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ﴾ [سورة القمر:٥٠].

وها هو فيروس كورونا الذي هو من أمر الله شئتم أم أبيتم كاد أن يشل حركة العالم مع أنه لا يرى بالعين.

فسيعود المسلمون في القريب العاجل إلى التمسك بدينهم كما أراد الله، وإلى العمل بالأسباب، وسيفاجأ العالم بذلك، كما فوجئوا من قبل بالمسلمين الذين بدأوا من الصفر ثم انطلقوا يفتحون العالم برًّا وبحرًا بالنور والهدى والإيمان والعدل والأخلاق والآداب بإمكانيات محدودة تتعجب كيف قطعوا بها القفار والبحار لكنه التأييد من الله ثم الهمة العالية.

وإن سخر من في قلبه مرض من هذا الكلام، فقد قال المنافقون الأولون عندما أطبق الأعداء من مشركي العرب واليهود والمنافقين الحصار على المدينة النبوية قالوا كما أخبر الله عنهم: ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ [سورة الأحزاب:١٢]، حتى قال أحدهم: إن أحدنا لا يستطيع أن يخرج لقضاء حاجته، ومحمد يعد أصحابه بملك كسرى وقيصر، أعظم دولتين آنذاك، وقال المؤمنون كما أخبر الله عنهم: ﴿وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [سورة الأحزاب:٢٢]، وقد صدق الله ورسوله وكذب المنافقون.

وهنا سؤال يطرحه الكثير اليوم، وهو: هل اليهود والنصارى كفار؟

والجواب: قال الله ﷻ: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [سورة الأنعام:٥٧]، وقد قال ﷻ: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة المائدة:٧٣].

وقال ﷻ: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ۝٣٠ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٣١﴾ [سورة التوبة: ٣٠-٣١].

والنبي ﷺ قال: «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت، ولم يؤمن بالذي أُرسِلتُ به إلا كان من أصحاب النار».

ومن مات منهم ولم يتب من شركه بالله وكفره بالله وبرسله ومن كفره بنسبة الولد لله، وقد قامت عليه الحجة قبل موته، فهو من أهل النار، وهذا الكفر من أوضح الواضحات.

وحكم الإسلام واحد لا محاباة فيه لأحد، فمن صرف شيئا من العبادة لغير الله فهو مشرك، سواء صرفها لنبي، أو للحسين، أو لولي، وسواء كان هذا الذي صرف شيئًا من العبادة لغير الله يدّعي اتباع عيسى أو موسى أو محمد الحكم واحد.

وكذلك من كفر بنبي فهو كافر بجميع الأنبياء سواء كفر بعيسى أو بموسى أو بمحمد، وقد كفر اليهود بنبيين كريمين، وهما عيسى ومحمد عليهما السلام، وكفرت النصارى بمحمد ﷺ.

ومما يجب على العلماء والكتّاب والإعلاميين وأهل الأموال اليوم أن يعرِّفوا

الناس بحقيقة الإسلام، وأن الإسلام -الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له، والإيمان بجميع رسله واتباع شريعة خاتمهم- هو دين كل الرسل، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة آل عمران:٦٧].

وقال ☜: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [سورة البقرة:١٣٢].

وقال تعالى: عن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [سورة يوسف:١٠١].

ويبينوا للناس حقيقة الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ، وأنه دين العدل والرحمة والعلم والهدى والخير وأنه فتح البلاد بالعدل والأخلاق، لا بالسيف والقتل، عدا من قام يجيِّش الجيوش، ليصد الناس عن دين الله، أو أبى أن يخضع لدين الله، فكان المسلمون يوقفونه عند حده، والبلاد التي تُسلِم لله تُترك لأهلها، فإن أبوا ودفعوا الجزية تُركوا حتى يمن الله عليهم بالإسلام.

والجزية من القضايا التي زايد عليها أهل الباطل، مع أن المسلم يدفع الزكاة، وغير المسلم يدفع الجزية، مع الفوارق الكبيرة بين الزكاة والجزية، إلا أن أحكام الله في المال وفي غير المال مبنية على تحقيق المصالح ودرء المفاسد، ومن الحِكَم والأحكام في أخذ الجزية، حماية أهل الذمة والدفاع عنهم، وتركهم على دينهم، والدفع بهم إلى توحيد الله وعبادته، والإيمان بجميع رسله.

هذه هي حقيقة الإسلام، لا كما تصوره لهم وسائل الإعلام ومواقع التواصل الحاقدة، ولا كما يصوره لهم علماؤهم ودعاتهم، ولا كما يصوره الحاقدون، من أن الإسلام دين الإرهاب، وأنه ظلم المرأة، وأنه انتشر بالسيف وأنه وأنه... مما هو مفترى عليه.

ولا يُستغرب تشويه الإسلام عند عامة النصارى، فقد ذكر بعض المتخصصين في الرد على النصارى، أن عدد الكتب التي كتبها النصارى ضد الإسلام أكثر من ستين ألف كتاب، وهذا غير القنوات ومواقع التواصل المخصصة لذلك، وهذا التشويه منهم للإسلام عند اتباعهم متعمد ومقصود، بسبب خوفهم على اتباعهم من الدخول في الإسلام، بعد أن رأوا الإسلام يكتسح العالم رغم ضعف أهله ودعاته في الوقت الحاضر، والأمر كما قال الله: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سورة سبأ:٣٣]، لكن الله ☜ قال: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [سورة التوبة:٣٢].

ولا شك أن هناك تقصير كبير من المسلمين اليوم في بيان الصورة الحقيقية للإسلام، ومما نقله الشيخ الهلالي في البراهين الإنجيلية واستحسنه، أن النصرانية رجال بلا دين، وأن الإسلام دين بلا رجال، أي هناك الكثير من النصارى ممن ينفق ويضحي لأجل دينه، بخلاف المسلمين فالقليل منهم هو الذي ينفق ويضحي لأجل الإسلام.

ووالله لقد أذهلتني جهودهم وبذلهم وتَخطيطهم ومكرهم وبدعم لا محدود

سواء من الفاتيكان أو من مجلس الكنائس العالمي أو من غيرهم من دول النصارى، وأخطر من هذا وذاك التنصير الصامت الذي يخطط له تخطيط رهيب وخطير وتحت مسميات وشعارات كثيرة بعضها لا يخطر على بال، تحت شعار التعليم أو الطب أو الإغاثة والمساعدات الإنسانية أو التظاهر بنصر المظلومين، بل وصل الأمر إلى أن قام مجموعة من المستشرقين وألفوا المعجم الكبير والنادر (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي) وما أرادوا خدمة الإسلام والمسلمين، وإنما أرادوا خدمة أنفسهم، ليقفوا على كل أحاديث الرسول ﷺ، وقد سمعت في مقطع صوتي للشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يتعجب عندما ذكر له أحد الحاضرين أن جميع كتبه موجودة في مكتبة اليهود في تل أبيب، والله لو كانت هذه الجهود لصالح الإسلام لآمن أكثر أهل الأرض، لأنه دين الفطرة والعلم والدين الذي تقبله العقول السليمة.

وأنصح بسماع ندوة علمية مفيدة ونافعة ونادرة كانت في الجامعة الاسلامية في المدينة النبوية وكان من ضمن المشاركين الدكتور علي بن عتيق الحربي وكانت مشاركته هي "حوار مع النصارى في جلستين.

وبيان الحق والدفاع عنه هذا هو الذي أوجبه الله علينا، أما الهداية فهي بيد الله، قال الله لرسوله محمد ﷺ وقد علم حرصه ومحبته لهداية عمه أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [سورة القصص:٥٦].

والله ما عرف أحد الإسلام بصورته الحقيقية إلا وقبله لأنه دين الفطرة

والعلم والدين الذي تقبله العقول السليمة، بل رأينا من يبكي فرحا بإسلامه.

ومما ينبغي التنبيه عليه أن من أسلم يجب أن يعلم الإسلام الذي جاء به الرسول ﷺ ، وأن يُربط بالكتاب والسنة وبسلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان، لا أن يربط بأفكار جماعة معينة، ومن ربط الناس بالكتاب والسنة وبسلف هذه الأمة، فقد نصح لهم قال تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ﴾ [سورة البقرة:١٣٧].

ومن المفاهيم الخاطئة والمغلوطة عن الغرب وعن النصارى حقيقة مفهوم السلام الذي يدندن حوله الغرب والنصارى اليوم ، فإن هناك من يمدحهم بأنهم أهل سلام، وفي كتابهم إذا ضربك أحد في خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر.

وهذا الكلام مع ما فيه من الرضى بالمهانة التي ليست من صفات المؤمنين، ولهذا لا أظن أن هذا من الإنجيل الذي نزل على عيسى عليه السلام، لأن الموقف الحق في هذا هو العفو أو القصاص، لكن لو سلمنا أن هذا من المحفوظ في الإنجيل فهل النصارى والغرب اليوم كذلك؟

فهذا الكلام بهذا الإطلاق من الجهل بالتاريخ وبالواقع وبحقيقة الأمر فلو رجع فقط إلى قبل مائة سنة في الحرب العالمية الأولى والثانية ،وكذلك ما فعله النصارى بالمسلمين، لا أقول في الحروب الصليبية، ولا في محاكم التفتيش في الأندلس، ولكن في العهد القريب في مسلمي البوسنة والهرسك وكيف سفكت دماؤهم وانتهكت أعراضهم بطريقة وحشية وقذرة وحاقدة بكل المقاييس على

يدي النصارى على مرأى ومسمع من العالم ،وكذلك في الفلبين وفي غيرهما.

وكذلك في العراق، وفي فلسطين الذي مكن لليهود فيها لذبح الشعب الفلسطيني وتشريده وأخذ الأقصى، الذي مكن لهم هي دول النصارى، وكنائسهم وعلماؤهم راضون بذلك، ولم نسمع منهم إنكارًا علنيًا صريحًا لذلك.

وفي سفر إشيعا ٦٦:١٦: (لأن الرب بالنار يعاقب وبسيفه على كل بشر ويكثر قتلى الرب).

وفي العصر الحاضر وفي شدة غضب بوش الابن نسى نفسه ولوح بالحقيقة وبأنها حرب صليبية.

ولهذا هل سأل أحد نفسه لماذا لا تجد اليوم بقعة مشتعلة في الأرض إلا في المسلمين، إن عجزوا عن إشعال نار الفتنة بين المسلمين اخترعوا واصطنعوا أسبابا لقتل المسلمين وتدميرهم، فهم دول سلام فقط في بلادهم وعلى رعاياهم، ودول حرب على عدوهم الأول، وهم المسلمون وقد قال الشاعر:

قتل امرئ في غابة جريمة لا تغتفر وقتل شعب مسلم مسألة فيها نظر والغرب اليوم أتقن اللعبة ولكن أكثر الناس لا يعقلون.

ولا شك أنهم وصلوا إلى قناعة -وهذا كان بعد الحرب العالمية الثانية- أن الحروب تهدم ولا تبني وتؤخر ولا تقدم.

وبالنسبة للحقوق الدينية التي تعطى للأقليات المسلمة في الغرب، والله إن الحقوق الدينية التي تعطى للأقليات النصرانية في الدول الإسلامية كمصر وغيرها

أكثر بكثير من الحقوق الدينية التي تعطى للأقليات المسلمة في الغرب.

وهناك من يستدل بقوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانًا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ [سورة المائدة:٨٢] وهذه الآية في أناس هذه صفاتهم مثل النجاشي وسلمان الفارسي وليس في كل النصارى والواقع أكبر شاهد.

وهناك من يمدحهم لتقدمهم في العلوم المادية.

والجواب: هذه سنن كونية في الأرض لا تحابي أحدا من أخذ بها وصل إلى نتائج محمودة وقد قال رسول الله ﷺ: «إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها» وهذا الحديث غني عن التعليق.

فتأخر المسلمين اليوم ليس بسبب تمسكهم بالإسلام بل ذلك يرجع إلى أسباب كثيرة أهما ثلاثة أسباب:

- تفرقهم.
- مؤامرة غيرهم عليهم.
- عدم أخذ الكثير منهم بالأسباب.

وعندما ترى الغرب وتفوقه في العلم الحديث، ثم ترى ما عند الكثير منهم من الخرافات، فهذا يعظم الصليب وهذا يعظم بوذا وهذا يقدس البقرة، حينها تدرك أن الهداية لعبادة خالق الكون بيد الله يمنحها من يستحقها، ويسلبها ويمنعها من

يعرض عنها ومن لا يستحقها.

القسم الثالث: مرجعية النصارى وفرقهم وعقائدهم وعباداتهم.

وقد كان حذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يقول: كان الناس يسألون النبي ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، واليوم وبعد أن صار العالم كالقرية الواحدة في عالم الاتصالات والمواصلات، حاجتنا أشد إلى معرفة الشر لنحذره ونحذر دعاته ونعرف خطره وخطر شبهات دعاته، ولنميز بين الحق والباطل، ومن عرف ما عند القوم سيحمد الله على نعمة الإسلام.

وفي البداية إن الدين الذي جاء به عيسى عليه السلام، هو دين الله الذي أنزله على جميع رسله، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، والإيمان بجميع رسله، ثم تحول بعد ذلك إلى شركيات وخرافات وعقائد باطلة وطرائق مختلفة، وتركوا ما جاء في العهد القديم من أنه لا خالق إلا الله ولا إله إلا الله، وقد اعترف بذلك المؤرخون المنصفون منهم فقد قال مايكل هارت صاحب الكتاب الشهير العظماء مائة: (مما يؤسف له حقا أن الأناجيل يناقض بعضها بعضاً).

ولا يستبعد وجود أصابع لليهود المجرمين في تحريف الإنجيل، فإن التحريف في الأناجيل أكثر بكثير من التحريف في التوراة، والشرك الذي وقع فيه النصارى، أشد من الشرك الذي وقع فيه اليهود.

قال الدكتور الهلالي في البراهين الإنجيلية:(وإذا قرأت في التوراة أو الإنجيل لا تجد الإعجاز والعصمة الذي تجدهما في القرآن، وقصة نوح في التوراة محكية بأسلوب تفصيلي وصفت فيها السفينة طولها وعرضها وارتفاعها، وقد اتخذ

الملاحدة ذلك ذريعة إلى الطعن في التوراة، وقالوا إن سفينة بتلك الصورة لا يمكن أن تستقر في البحر دقيقة واحدة، وحكاية القرآن للقصة لم يستطيعوا أن يوردوا عليها شيئاً من ذلك.

وهكذا اتخذوا ما في التوراة من وصف أجزاء الأرض وجغرافيتها ذريعة إلى الطعن في صحتها.

ولم يجدوا في القرآن شيئًا يجعلونه هدفًا لتعنتهم، ثم إنك تقرأ القصة في القرآن وتقرأ مثيلتها في التوراة فتجد البون بينهما شاسعًا، تجد أسلوب القصة في القرآن أسلوبًا ربانيًّا جذَّابًا تتخللها المواعظ والإنذار والبشارة، بعيدًا عن أساليب كلام البشر، وتجدها في التوراة بخلاف ذلك).

ووالله ما بعث الله خاتم أنبيائه ورسله إلا وقد حرف العرب دين إسماعيل وعبدوا الأصنام والأوثان وغير اليهود دين موسى وغير النصارى دين عيسى ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [سورة آل عمران:٨٥].

ومما أوقفني وتعجبت منه قول بابا الفاتيكان الحالي ؛فرنسيس؛ حيث قال: أن الله -تعالى الله عن ذلك- مجرد فكرة جميلة في قلوب المؤمنين، وأن كثيرًا من العقائد النصرانية هي مجرد أساطير، وأترك التعليق للقارئ.

مرجعية النصارى:

- العهد القديم التوراة وملحقاتها.

- العهد الجديد الإنجيل وهو سبعة وعشرون سفرًا، أشهرها أربعة: متى ومرقص ولوقا ويوحنا.

وهذه الأناجيل تنسب إلى هؤلاء الأشخاص أما الإنجيل الذي نزل على عيسى عليه السلام فلا وجود له.

وهذه الأناجيل أشبه بكتب السيرة فيها سيرة عيسى وفيها مواعظ ومجادلات عيسى مع اليهود ومعجزات لعيسى إلى آخره، وفيها أشياء كما تقدم لا تشك في كذبها أو تحريفها وفيها أن عيسى كان يخاطب قومه بقوله: أيها الأفاعي! أيها الحمقى! أيها المنافقون! أيها الجيل الشرير الفاسق! وهذا لا يمكن ولا يليق بنبي أن يخاطب قومه على سبيل العموم بهذه الألفاظ.

عقيدة النصارى:

لهم ثلاث عقائد رئيسية:

الأولى: التثليث وأن الله ثلاثة، وأن الثلاثة واحد، كيف؟ لا تدري.

الثانية: الاتحاد، وأن الله حل بصورة إنسان هو المسيح.

الثالثة: الصلب وبعض ما يذكرونه في قصة الصلب قد يكون صحيحًا إلا أن

القرآن الذي ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾[سورة فصلت:٤٢] قد فصل في قصة الصلب وأن الذي صلب هو الشبه وأن الله حفظ نبيه ورفعه وبقيت له مهمة أخرى يؤديها في آخر الزمان ثم يموت كما يموت غيره عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

وتعظيم الصليب وخرافة الصليب لا وجود له عند المتقدمين ولا يُدرى متى أُحدث وابتدع بالضبط.

كما أن عقيدة التثليث الباطلة لم تكن موجودة عند المتقدمين البتة وأول من أحدثها الملك الروماني الفاجر قسطنطين بموافقة القساوسة الضالين الذي حضروا مجمع نيقيا وخرجوا بشر عقيدة وهي عقيدة التثليث الباطلة في عام ٣٢٥ ميلادية.

ولهم عقائد وخرافات أخرى، مثل: صك الغفران، وصدق الله إذ يقول: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [سورة التوبة:٣١]، وهو خاص بالأتباع وأما القسيسون والرهبان الذين ينشر عنهم أشياء يُستحيا من ذكرها –ومعلوم أنهم لا يتزوجون، فقد حرموا الزواج على أنفسهم ولم يحرمه شرع سماوي- وبعضهم يقع في الموبقات، وهذا غير قضايا الاحتيال على الأموال بالباطل، وصدق الله إذ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[سورة التوبة:٣٤].

ومن عقائدهم: التعميد أو التطهير وهو الغمس في الماء في الكنيسة.

ولهم العشاء الرباني في الكنيسة ولهم فيه عقائد وخرافات.

أما عباداتهم فالصلاة عندهم وهي أذكار، أكثرها مخترعة ومبتدعة والصلاة تكون باسم المسيح ويتقدمها عقيدة التثليث وهما شرطا الصلاة، وصيامهم عجيب وغريب حتى أن منهم من يصوم فقط عن الطعام الذي ليس فيه دسم وقد رأيت هذا في قبْرص اليونانية.

فرق النصارى:

النصارى فرق كثيرة لكن رؤوسها ثلاث:

الأولى: الكاثوليك: وهم أكبر الكنائس النصرانية في العالم، وتدعي أنها أم الكنائس ومعلمتهن، يزعم أن مؤسسها بطرس الرسول.

وأهم ما يتميزون به هو:

١ – قولهم بأن الروح القدس انبثق من الأب والابن معا.

٢ – يبيحون أكل الدم والمخنوق.

٣– أن بابا الفاتيكان هو الرئيس العام لجميع الكاثوليك.

٤ – تحريم الطلاق بتاتا حتى في حالة الزنا.

والكاثوليك هم أكثر الأوربيين الغربيين وشعوب أمريكا الجنوبية، وتسمى

كنيستهم الكنيسة الغربية.

الأفكار والمعتقدات عند الكاثوليك:

-الألوهية: تؤمن الكنيسة الكاثوليكية مثل باقي الكنائس الأخرى بإله واحد مثلث الأقانيم: الآب، الابن، الروح القدس، على حسب ما ورد في قانون الإيمان النيقاوي لعام (٣٢٥)م، كما تؤمن بأن للمسيح طبيعتين بعد الاتحاد: إحداهما: لاهوتيه، والأخرى: ناسوتية.

- يؤمن الكاثوليك بما أقر في مجمع القسطنطينية الرابع عام (٨٦٩)م، من أن الروح القدس منبثق من الأب والابن معًا.

- الأقانيم: يعتقد الكاثوليك أن أقنوم الابن أقل من أقنوم الأب في الدرجة، وأن الأقانيم ما هي إلا مراحل انقلب فيها الله إلى الإنسان، ولذا فهي ذوات متميزة يساوي فيها المسيح الأب حسب لاهوته، وهو دونه حسب ناسوته، كما ينص على ذلك قانون الإيمان الأثناسيوسي.

-التجسد والفداء: الإيمان بتجسد الله- تعالى عن قولهم - في السيد المسيح من أجل خلاص البشرية من إثم خطيئة آدم وذريته من بعده، فيعتقدون أنه ولد من مريم وصلب ومات فداء لخطاياهم، ثم قام بعد ثلاثة أيام ليجلس على يمين الرب؛ ليحاسب الخلائق يوم الحشر.

-السيدة مريم والأيقونات: يقدسون السيدة مريم والقديسين والقديسات، والأيقونات المجسمة والمصورة مع الإشادة بالمعجزات.

-الإلهام: تؤمن الكنيسة الكاثوليكية بالإلهام كأحد مصادر المعرفة والوحي المستمرة.

- ا الصليب: يقدسون الصليب ويتخذونه شعاراً.

- أسرار الكنيسة: يؤمن الكاثوليك بممارسة سر الاعتراف مرة واحدة في السنة، وكذلك سر التناول في عيد الفصح، كما يستعملون الفطير في العشاء الرباني بدلا من الخبز المختمر، والمعمودية لا تتم إلا بالرش لا بالتغطيس ثلاثا، وتكون من الكاهن أو بالصبغة بدم الشهيد في سبيل الإيمان فقط، والمسح بالميرون المقدس يجوز تأخيره عن التعميد للقاصر حتَ يبلغ سن الرشد، ولا يمسح بالزيت المقدس إلا لمن شارف على الموت، ويحرم الطلاق في جميع الأحوال حتى في حالات الزنا، وقد انفردت الكنيسة الكاثوليكية بسر ثامن عن الكنائس الأخرى، ألا وهو عصمة البابا عن ارتكاب المعاصي والآثام.

-الحياة الأخرى: يعتقد الكاثوليك أنه يوجد بعد الموت مكان ثالث يسمى المطهر تعتقل فيه النفوس التي لم تصل إلى درجة النقاوة الكاملة، وتظل تعذب حتى تطهر بما بقي عليها من الدين للعدل الإلهي، وعندئذ يسمح لها بدخول الملكوت.

- تبيح أكل الدم والمنخنقة على خلاف قرارات مجمع الرسل الأول في أورشليم (٥١-٥٥)م، ويجوز للرهبان أكل دهن الخنزير، ولبس الأساقفة الخواتم في أصابعهم، كما يجوز للكهنة حلق لحاهم على عكس الأرثوذكس.

-القداس: القداس محور العبادة والحياة الروحية على أنه يقام يوميا.

- الصلاة والصيام: الصلاة الفردية أساسية في الدين على أن للصلاة طرقا عديدة، وينبغي أن تقترن بشيء من التقشف، والصيام المفروض هو الصوم الكبير

السابق لعيد الفصح، وجعل صوم الجمعة والسبت فقط عبارة عن الانقطاع عن أكل اللحوم. كما فرض أيضا صوم الأزمنة الأربعة فيما يعرف بصوم البارامون (أي: الاستعداد للاحتفالات) وهي السابقة لأعياد الميلاد، والعنصرة وانتقال العذراء وجميع القديسين، ويوجد خلاف بين الكنيسة اللاتينية وطوائف الكنيسة الكاثوليكية الشرقية في قواعد الصوم.

-الطقوس: تتميز باستعمال اللغة اللاتينية، والبخور، والصور، والتقويم الخاص بها.

-للكنيسة الكاثوليكية عدة طقوس إلى جانب الطقوس الرومانية، هناك من يستعمل الطقوس الشرقية مثل الروم الكاثوليك، جنوب إيطاليا، والموارنة والسريان الذين يتبعون الطقس الأنطاكي، وهناك كاثوليك أقباط وأحباش يستمسكون بالطقس القبطي.

-التنظيم الكهنوت (الإكليروس): يدير البابا الكنيسة بواسطة كرادلة في روما ومطارنة في جميع أنحاء العالم. تنقسم الكنيسة عند الكاثوليك إلى أبروشيات على رأس كل أبروشية مطران يعينه البابا، وفي كل أبروشية عدة كنائس يديرها كهنة رعاة لخدمة أبناء الكنيسة.

- البابا: كما تعتقد أن السيد المسيح أقام بطرس نائبا على الأرض، ورئيسا على الرسل، ورأسا للكنيسة، وعلى ذلك فالبابا في روما هو خليفة بطرس، ورأس الكنيسة من بعده، ومرشدها الأعلى لجميع الكاثوليك في العالم.

ونظرا لاعتقادهم بعصمة البابا فإن المغفرة حق من حقوق الكنيسة تعطيها لمن تشاء.

- الجماعات الدينية المكونة من الرهبان والراهبات تَخضع لبابا روما عن طريق رؤسائها الموجودين في روما.

- يدرس الكهنة قبل اضطلاعهم بمهمتهم العلوم الدينية خمس أو ست سنوات، ويدربون في معاهد دينية خاصة، ولا يتزوج رجال الدين إلا القليل منهم.

الفرقة الثانية: الأرثوذكس وقد انفصلت عن الكنيسة الكاثوليكية الغربية بشكل نهائي عام (١٠٥٤)م، وتمثلت في عدة كنائس مستقلة لا تعترف بسيادة روما عليها، ويجمعهم الإيمان بأن الروح القدس منبثقة عن الأب وحده، وعلى خلاف بينهم في طبيعة المسيح، والأرثوذكس هم نصارى الشرق الذين تبعوا الكنيسة الشرقية في القسطنطينية وأهم ما يتميزون به هو:

١- أن الروح القدس انبثق عندهم من الأب فقط.

٢- تحريم الطلاق إلا في حالة الزنا، فإنه يجوز عندهم.

٣- لا يجتمعون تحت لواء رئيس واحد، بل كل كنيسة مستقلة بنفسها. وهذا المذهب منتشر في أوربا الشرقية وروسيا ومصر.

أهم الأفكار والمعتقدات:

-تؤمن الكنيسة الأرثوذكسية مثل باقي الكنائس الأخرى بإله واحد مثلث الأقانيم:

الآب، الابن، الروح القدس على حسب ما ورد في قانون الإيمان النيقاوي (٣٢٥) م.

-كما تؤمن بربوبية وألوهية الرب والمسيح في آن واحد، على أنهما من جوهر واحد ومشيئة واحدة، ومتساويين في الأزلية، لكن كنيسة أورشليم الأرثوذكسية اليونانية ومن يتبعها تؤمن بأن المسيح له طبيعتان ومشيئتان موافقة لمجمع كليدونية (٤٥١) م.

-يؤمن الأرثوذكس بالزيادة التي أضيفت على قانون الإيمان النيقاوي في مجمع القسطنطينية عام (٣٨١)م، التي تتضمن الإيمان بالروح القدس الرب المحيي والمنبثق من الأب وحده، فله طبيعته وجوهره، وهو روح الله وحياة الكون، ومصدر الحكمة والبركة فيه.

-يعتقد الأرثوذكس الأقباط أن الأقانيم الثلاثة ما هي إلا خصائص للذات الإلهية الواحدة، ومتساوية معه في الجوهر والأزلية، ومنزهة عن التأليف والتركيب، لكن الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية، ومن تبعها تعتبر أقنوم الابن أقل من أقنوم الأب في الدرجة، ولذلك فهي عند اليونان مراحل انقلب فيها الله إلى الإنسان.

-الإيمان بتجسد الإله في السيد المسيح من أجل خلاص البشرية من إثم خطيئة آدم، وذريته من بعده، فيعتقدون أنه ولد من مريم وصلب ومات فداء لخطاياهم، ثم قام بعد ثلاثة أيام ليجلس على يمين الرب؛ ليحاسب الخلائق يوم الحشر.

-الإيمان بأن السيدة مريم العذراء والدة الإله، ولذا يوجبون تقديسها كما يقدسون القديسين، والأيقونات غير المجسمة، وذخائر القديسين، ويقدسون الصليب، ويتخذونه رمزًا وشعارًا.

الفرقة الثالثة: البروتستانت: ويسمون الإنجيليين: وهم أتباع مارتن لوثر الذي ظهر في أوائل القرن السادس عشر الميلادي في ألمانيا، وكان ينادي بإصلاح الكنيسة وتخليصها من الفساد الذي صار صبغة لها.

وأهم ما يتميز به أتباع هذه النحلة هو:

١- أن صكوك الغفران دجل وكذب، وأن الخطايا والذنوب لا تغفر إلا بالندم والتوبة.

٢- أن لكل أحد الحق في فهم الإنجيل وقراءته، وليس وقفا على الكنيسة.

٣ -تحريم الصور والتماثيل في الكنائس؛ لأنها مظهر من مظاهر الوثنية.

٤- منع الرهبنة.

٥- -أن العشاء الرباني تذكار لما حل بالمسيح من الصلب في زعمهم، وأنكروا أن يتحول الخبز والخمر إلى لحم ودم المسيح عليه السلام.

٦- ليس لكنائسهم رئيس عام يتبعون قوله.

وهذه النحلة تنتشر في ألمانيا وبريطانيا وكثير من بلاد أوربا.

الأفكار والمعتقدات:

تؤمن الكنائس البروتستانتية بنفس أصول المعتقدات التي تؤمن بها الكنيسة الكاثوليكية، ولكنها تخالفها في بعض الأمور، ومنها ما يلي:

-الخضوع لنصوص الكتاب المقدس وحده، حيث إن الكتاب المقدس بعهديه هو دستور الإيمان، وعليه تقاس قرارات المجامع السابقة وأوامر الكنيسة؛ فيقبل ما يوافقه فقط، يقول لوثر: (يجب أن يكون الكتاب المقدس مرجعنا الأخير للعقيدة أو أداء الشعائر).

-وتهاجم بيع صكوك الغفران حيث ترى أن الخلاص والفوز في الآخرة لا يكون إلا برحمة الله وكرمه، وفي الدنيا في الالتزام بالفرائض والكرازة: التبشير بالإنجيل.

-لا تؤمن بالصوم كفريضة، بل هو سنة حسنة، ولا يطلق إلا على الإمساك عن الطعام مطلقا فقط.

-كما لا تؤمن بالأعياد التي تقيمها الكنائس الأخرى.

-تؤمن بعض الكنائس الإنجيلية -الصهيونية- أن شرط المجيء الثاني للمسيح هو إقامة دولة إسرائيل في فلسطين.

المصادر:

- البراهين الإنجيلية للشيخ الهلالي.

- الموسوعة الميسرة للندوة العالمية للشباب الإسلامي.

- دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية لسعود بن عبد العزيز الخلف.

هذا ما يسر الله كتابته وأسأل الله أن ينفع به وأن يجعله خالصًا لوجهه، والحمد لله أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا.

الدعوة إلى الإبراهيمية ظاهرها السلام وحقيقتها المؤامرة على عقيدة الإسلام.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد

وقبل الشروع في الموضوع هذه مقدمة وكلمة في غاية الأهمية، إن المعركة اليوم بين أعداء العقيدة والموحدين والمصلحين على أشدها وقد حددوا نهايتها وهي أن يكون العالم كله بعد خمسين سنة كحد أقصى على طريقة واحدة أي (القضاء على عقيدة الإسلام وأخلاقه) هكذا زعموا وخططوا، ويعملون لذلك في الليل والنهار وبكل الوسائل وبالترغيب والترهيب، وقد ذكر هذا الخبير وزير الأوقاف السابق في السعودية معالي الشيخ صالح آل الشيخ وغيره من الباحثين، إلا أن أكثر المسلمين ليسوا حتى الساعة على درجة من الوعي والعلم بحقيقة وخطورة تلك المعركة، تلك المعركة التي تديرها اليوم القوى العالمية، والتي لا عصمة ولا مخرج منها إلا بثلاثة أمور:

الاعتصام بالله ونصرة دينه.

توعية المسلمين خاصة الشباب والمثقفين بحقيقة المعركة.

قيام كل مسلم بما يجب عليه مما يحسنه وبالطريقة الصحيحة والمنضبطة بقواعد الشرع.

وإن من المحزن والمؤسف أن أكثر المسلمين اليوم منشغل بمصالحه الخاصة وهذا حال وواقع الغالبية العظمى من المسلمين، وأما من يحمل هم الأمة من العلماء وطلاب العلم والدعاة والمصلحين والناصحين فهم على قسمين:

قسم على درجة كبيرة من الفقه والحكمة، ومن الوعي بحقيقة المعركة، فهم قائمون بما يجب عليهم بالحجة والعلم والحكمة والعقل من نشر العقيدة الصحيحة والهدي النبوي ومنهج السلف الصالح والرد على أهل الباطل وفضح مخططاتهم ودحض شبهاتهم، بل لا يسكتون عن خطأ صغير أو كبير عملا بقوله صلى الله عليه وسلم (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ، ثم ذكر مراتب التغيير الثلاثة، لكن يتكلمون بعلم وعدل وفقه وحكمة وتقديم الأهم فالأهم والنظر في المصالح والمفاسد.

وقسم غير مدرك حقيقة المعركة، مع أن كثيرا من مخططاتهم قد بدأوا في تنفيذها على أرض الواقع، ثم هذا الصنف منشغل بما يزيد الأمة ضعفا وخلافا فهو لا يفرق بين ما الذي ينكر وما الذي لا يُنكر وما الذي يخالف الكتاب والسنة الصحيحة ومنهج السلف وما الذي لا يخالف، وما الذي يسوغ فيه الاجتهاد وما الذي لا يسوغ فيه الاجتهاد، ثم مع هذا هو لا يراعي المصالح والمفاسد وتقديم الأهم فالأهم ولا يسعى لجمع كلمة الأمة على الحق والهدى، وهذا ناتج عن قلة فقه وبصيرة وبسبب البيئة التي عاش فيها، ويقابل هؤلاء المميعة والمفرطين، والحق وسط بينهما وهو الطريق الذي سلكه القسم الأول، ولنشرع الآن في الموضوع:

إن الدعوة إلى ما أطلقوا عليه في الوقت الحاضر الإبراهيمية أو الدين الإبراهيمي وهو (توحيد الأديان أو الجمع بين الإسلام واليهودية والنصرانية) دعوة باطلة وفاشلة بإذن الله ثم بحماة العقيدة والأخلاق، ومما لا شك فيه أن دين إبراهيم عليه السلام هو عبادة الله وحده لا شريك له، وهو دين كل الرسل، ومن قال غير هذا فقد أعظم الفرية، وخالف النقل والعقل والواقع والفطرة السليمة، قال تعالى : ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ [سورة البقرة:١٣٥].وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَـٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [سورة آل عمران:٦٧].

وكذلك موسى والله ما كان يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين، وكذلك عيسى ونوح وجميع الأنبياء.

فإبراهيم عليه السلام هو إمام الحنيفية والتوحيد والموحدين والمؤمنين، وليس إمام اليهود والنصارى المشركين، الذين غيروا وبدلوا وأشركوا وكفرت اليهود بنبيين عيسى ومحمد عليهما السلام وكفرت النصارى بمحمد صلى الله عليه وسلم، وقد قال الله عنهم ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ

إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ [سورة التوبة: ٣٠-٣١].

ولهذا هذه الدعوة وراءها أعداء العقيدة والتوحيد والعفة من اليهود والنصارى والغرب والتغريبيين والعلمانيين واللبراليين، وهي دعوة قديمة قد حذر منها علماء الأمة كالشيخ ابن باز والشيخ ابن عثيمين والشيخ الألباني والشيخ مقبل الوادعي رحمهم الله والشيخ صالح الفوزان والشيخ عبد المحسن العباد وغيرهم من علماء المسلمين، وللشيخ صالح الفوزان كلام مهم على الإبراهيمية وقد نُشِر قريبا، وسواء سموها توحيد الأديان أو الإبراهيمية لزيادة التلبيس، فإن المسمى واحد، وهناك دعم وترويج كبير لهذه الدعوة في مواقع التواصل وقد سمعنا قبل أشهر بما أطلقوا عليه الصلاة الإبراهيمية لرفع جائحة كورونا، ومن يدعوا إلى هذه الدعوة وهو يدعي الانتساب إلى الإسلام، لا أدري من أي منطلق ينطلق في هذه الدعوة، والله عز وجل قال ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ [سورة المائدة: ٥١]، وقال ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾ [سورة الكافرون: ٦].

وقد أنصف النبي صلى الله عليه وسلم اليهود والنصارى أعظم إنصاف عندما كان يكتب لهم هذه الآية في كتبه إليهم ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ [سورة آل عمران: ٦٤].

فأتباع الرسول يدعون اليهود والنصارى وغيرهم إلى ما دعاهم إليه الرسول

صلى الله عليه وسلم وهو عبادة الله وحده لا شريك له والإيمان بجميع الرسل واتباع خاتمهم صلى الله عليه وسلم، وهذا هو الحق والهدى والرحمة والعدل والعقل، لا أن يدعوا الناس إلى الجمع بين المتناقضين أعظم التناقض، وهو الدعوة إلى الجمع بين الحق والباطل والتوحيد والشرك، وما أحسن ما قاله ابن عقيل ونقله عنه ابن مفلح في الآداب الشرعية قال رحمه الله «إذا أردت أن تعلم محل الإسلام من أهل الزمان، فلا تنظر إلى زحامهم في أبواب الجوامع، ولا ضجيجهم في الموقف بلبيك، وإنما انظر إلى مواطأتهم أعداء الشريعة، وقد نقل غير واحد الإجماع على كفر من لم يكفر اليهود والنصارى، نقل الإجماع أبو بكر الباقلاني والقاضي عياض وابن تيمية وغيرهم، لأنه مكذب بالقرآن قال تعالى ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾ [سورة المائدة:٧٣]. وغيرها من الآيات، والناس إما مؤمن وإما كافر كما قال تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٢﴾ [سورة التغابن:٢].

وبعد مبعث الرسول لا يقبل الله من الناس سوى الإسلام ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٨٥﴾ [سورة آل عمران:٨٥]. والإسلام هو دين جميع الأنبياء دين إبراهيم وموسى وعيسى ويعقوب، كل الأنبياء أرسلهم الله لدعوة الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له.

وليس كل من ادعى دعوى قبلت منه، بل لا تقبل إلا ببرهان قال الشاعر:

والدَّعاوى ما لم تُقيموا عليها بيناتٍ أبناؤها أدعياءُ

فليس كل من ادعى الانتساب إلى إبراهيم أو موسى أو يعقوب الملقب بإسرائيل أو عيسى أو محمد عليهم السلام، قبلت منه تلك الدعوى حتى يقيم البينة على ذلك، أو تقام البينة على كذبه، وهناك صنف من الناس يأخذ من القرآن والسنة ما وافق هواه ويدع ما خالف هواه وربما أخذ طرفا من الدليل، فيقول مثلا الله قال ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ يقال له أكمل الآية ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [سورة الأعراف:١٥٦-١٥٧].

ومن الظلم التسويه بين المحسن والمسيء قال تعالى﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [سورة غافر:٥٨].

والإسلام جاء بالعدل، والإسلام دين الرحمة دين المحبة دين السلام صفه بما شئت من أوصافه الحسنة، لكن بالمفهوم الصحيح الذي بينه القرآن والسنة، ومن كان صادقا في الدعوة إلى السلام من الأمريكان وغيرهم الذين تبنوا الدعوة إلى الإبراهيمية، فليتركوا الشعب الفلسطيني المنكوب ليقيم دولته ويعيش حياة كريمة

بأمان وسلام، وغيره من الشعوب الإسلامية، ويتركوا الدين حتى يحكم رب العالمين بين العباد فيما كانُوا فيه يختلفون، وما أحسن قول الشاعر:

إذا نطـــــق الغراب فقال خيراً ... فـأين الخير مـن وجـه الغرابِ
ومن جعـل الغراب لـه دليلاً ... يمر به على جيَفِ الكـــــلابِ

وقد قال الله ومن أصدق من الله قيلا:

﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ١٢٠﴾ [سورة البقرة: ١٢٠].

فأخبر العليم الخبير أننا مهما تنازلنا عن ديننا ومهما داهناهم فلن يرضوا عنا حتى نتبع ملتهم وطريقتهم وحتى نكون مثلهم، ثم ختم الآية بكلام ترتعد منه فرائص المؤمنين، وهو قوله تعالى ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ﴾ والذين يحاربون الإسلام لن يضروا إلا أنفسهم قال تعالى ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٣٢ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٣٣﴾ [سورة التوبة: ٣٢-٣٣].

وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين.

العلمانية وأخواتها أخطر فتن العصر

اقرأ فنور العلم ذا نور به تُجلى الظُلَم
اقرأ بفهم واستزد كي نرتقي فوق الأمم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمة للعالمين وحجة على الخلق أجمعين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

* فإن من فتن آخر الزمان التي أخبر عنها النبي ﷺ بقوله: «بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافرا أو يمسي مؤمناً ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا» رواه مسلم.

وبقوله ﷺ: «لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه» أخرجه البخاري.

من هذه الفتن العظيمة السعي الحثيث اليوم لأبعاد الناس عن دينهم سواء ما يتعلق بالاعتقاد أو العبادة أو المعاملات أو الأخلاق وهذه هي العلمانية التي تسعى اليوم على قدم وساق لفصل دين الله عن حياة الناس وهي دعوة للإباحية و الانحلال دعوة لإباحة الزنى والخمور والمجون والتعري والتمرد على شرع الله وأمره وأن يكون الدين فقط داخل جدران المسجد كما هو الحال عند النصارى أما حياة الناس فتسيّر بالأنظمة والقوانين التي وضعها البشر ولا تسيّر بشرع رب العالمين وقد قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [سورة الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

وقال تعالى: ﴿۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٥١ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ٥٢﴾ [سورة النحل:٥١-٥٢].

وليس بغريب أن يصدر هذا من الكفار لكن المحزن والمؤسف أن يصدر هذا من أناس يدعون الانتساب للإسلام، وصدق النبي ﷺ إذ قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم قالوا يا رسول اليهود والنصارى قال فمن» أخرجه البخاري ومسلم .

ولا شك أن الناس بحاجة إلى من ينظم حياتهم وقد جاء شرع الله بتنظيم حياة الناس بطريقة عادلة ومتكاملة ونافعة ومتوازنة سواء في العبادات أو المعاملات كيف لا وهو شرع الله الكامل في علمه وقدرته وحكمته ورحمته الخالق لكل الخلق العالم بما يُصلِح خلقَه في دينهم ودنياهم لكن العلمانية تريد صرف الناس من تنظيم حياتهم بشرع الله إلى تنظيم حياتهم بقوانين البشر التي لا تسلم من خلل وخطل ونقص وباطل وجور وفساد في كثير من أحكامها وقد قال تعالى: ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [سورة المائدة:٥٠].

والله ما عرف أولئك قدر شرع الله وسُموه وعظمته وعدله ورحمته وطهارته وشموله وأخلاقه وآدابه، قال تعالى: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗا﴾ [سورة الأنعام:١١٥]، وقال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [سورة المائدة:٣].

ومن الدعاوى الباطلة أن الإسلام هو السبب في تأخر المسلمين اليوم في الصناعات والعلوم العصرية ولا أدري من أين جاء هذا المفهوم الخاطئ مع أن الإسلام يأمر بالعمل بالأسباب ويأمر بالجد والعمل وينهى عن العجز والكسل وأن اليد العليا خير من اليد السفلى واليد العليا اليد الذي تعطي وتمنح والسفلى التي تأخذ حتى قال صلى الله عليه وسلم "إذا قامت على أحدكم القيامة وفي يده فسيلة فليغرسها "وهذا الحديث غني عن التعليق، والفسيلة هي النخلة الصغيرة، أخرجه أحمد في المسند وحسنه الألباني رحمه الله.

وإنما أعطى الإسلام الدنيا حقها بالعدل وأعطى الدين والآخرة حقهما بالعدل كما تقول الحكمة التي ذكرها العلامة صالح الفوزان في كلمة له عن العلمانية اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا "إن لربك عليك حقا ولنفسك عليك حقا ولأهلك عليك حقا فأعطي كل ذي حق حقه" كما قال النبي صلى الله عليه وسلم والحديث في البخاري.

والدنيا لها ولأهلها أجل وتزول، قال الله تعالى عن مؤمن آل فرعون: ﴿إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾ [سورة غافر:٣٩]، مع الأخذ بنصيبنا من الدنيا، وعمارة الأرض بما ينفع الناس في دينهم ودنياهم، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾[سورة القصص:٧٧]، وإنما نهى الإسلام فقط عن الشيء الذي يضر الناس في عقيدتهم أو عبادتهم أو أخلاقهم أو معاملاتهم أو عقولهم أو صحتهم فكل المحرمات لا تخرج عن هذه الأمور ومن الإفتراء على

علماء الشريعة أنهم يحرمون كل شئ وهذا من الكذب الواضح فعلماء الشريعة وأئمة الدين الذين يفتون الناس بشرع الله لا يحرمون إلا ما حرمه الله ورسوله وهو ما يضر الناس في دينهم أو أخلاقهم أو عقولهم أو أبدانهم وهي محرمات محصورة ينفر منها كل عقل سليم وما عداها فهو الحلال وهو الأصل قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [سورة الأعراف:٣٢] .

وهناك فرية كبرى وهي أن الإسلام انتشر بالسيف وأنه دين القتل، وما أحقهم بالمثل السائر، رمتني بداءها وانسلت، فالغرب هو الذي استعمر الناس بقوة السلاح، وما زال حتى اليوم يستعمرهم بقوة السلاح، ولكن بطريقة متحضرة، ولن أذكر ما فعله النصارى بالمسلمين في محاكم التفتيش في الأندلس ولن أتحدث عن الحروب الصليبية ولن أتحدث عن الحرب العالمية الأولى والثانية ضد الإنسانية، لن أتحدث إلا عن دماء الفلسطينيين والعراقيين والبوسنيين.... ونقول لهم، إذا لم تستحي فاصنع ما شئت؟

أما الإسلام فهذا مبدأه الذي أعلنه، قال الله تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [سورة المائدة:٣٢]، وقد انتشر الإسلام بالعدل، عدا من أراد أن يحول بين الناس وبين توحيد الله والإيمان بجميع رسله، فكان المسلمون يوقفونه عند حده.

ومن الافتراء على الإسلام، زعمهم أن الإسلام ظلم المرأة، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول "إنما النساء شقائق الرجال" وقد أعطى الإسلام كلا من الرجل

والمرأة حقه بالعدل.

والبعض يزعم أن الإسلام يحرم التعامل مع غير المسلمين في الصناعة والتجارة وغيرهما وهذا كله محض افتراء، وقد تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع اليهود في المدينة في البيع والشراء، ومات ودرعه مرهونة عند يهودي في معاملة مالية، والإفتراءت على الإسلام كثيرة منذُ بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم لغرض تشويهه، ﴿وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [سورة التوبة:٣٢] .

وحتى تظهر الحقيقة وأن الهدف هو محاربة شرع الله عدد المسلمين اليوم مليار وثمانمائة مليون، لكن كم عدد المتمسكين بالدين والعاملين به، نسبة قليلة جدا كما قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سورة سبأ:١٣]، فهل عندما ابتعد الأكثر عن العمل بشرع الله تقدمت دولنا في العلوم العصرية.

والحقيقة أن السبب في تأخرنا ثلاثة أمور هي:

١. تفرقنا.

٢. محاربة الغرب لنا.

٣. عدم العمل بالأسباب.

وهذه شهادات من غير المسلمين على أن الإسلام دين العلم والمعرفة والعمل والتقدم:

١. يقول المفكر الفرنسي " جوستاف لوبون " في كتابه المعروف " حضارة العرب "– ترجمة " عادل زعيتر "

- " لو أن العرب استولوا على فرنسا: إذن لصارت باريس مثل قرطبة في إسبانيا، مركزاً للحضارة والعلم؛ حيث كان رجل الشارع فيها يكتب ويقرأ بل ويقرض الشعر أحياناً، في الوقت الذي كان فيه ملوك أوروبا لا يعرفون كتابة أسمائهم "!.

٢. وقالت المستشرقة الألمانية " زيغريد هونكة " - في كتابها المعروف " شمس الله تشرق على الغرب" - انتشار المكتبات في العالم العربي والإسلامي:

" نمت دور الكتب في كل مكان نمو العشب في الأرض الطيبة، ففي عام٨٩١م يحصي مسافر عدد دور الكتب العامة في بغداد بأكثر من مئة، وبدأت كل مدينة تبني لها داراً للكتب يستطيع عمرو وزيد من الناس استعارة ما يشاء منها، وأن يجلس في قاعات المطالعة ليقرأ ما يريد، كما يجتمع فيها المترجمون والمؤلفون في قاعات خصصت لهم، يتجادلون ويتناقشون كما يحدث اليوم في أرقى الأندية العلمية ".

وكتاب " شمس الله تشرق على الغرب " في النص الألماني معناه: نور الإسلام يضيء الحضارة الغربية، والكتاب مليء بأسماء مبدعين مسلمين عرب وغير عرب.

٣. واقرأ هذا الكلام لحكيم روسي وهو يبين أن هذا الدين فيه ما خدم الإنسانية، وقاد إلى الرقي والمدنية .

وقال تولستوي الحكيم الروسي:

" ومما لا ريب فيه أن النبي محمداً كان من عظماء الرجال المصلحين الذين خدموا المجتمع الإنساني خدمة جليلة، ويكفيه فخرًا أنه هدى أمة برمتها إلى نور

الحق، وجعلها تجنح للسكينة والسلام وتؤثر عيشة الزهد، ومنعها من سفك الدماء وتقديم الضحايا البشرية، وفتح لها طريق الرقي والمدنية، وهو عمل عظيم لا يقوم به إلا شخص أوتي قوة، ورجل مثل هذا جدير بالاحترام والإكرام".

٤. وقال الدكتور النمساوي شبرك: " إنّ البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد إليها، إذ إنّه رغم أُمِّيته استطاع قبل بضعة عشر قرنًا أنْ يأتي بتشريع، سنكونُ نحنُ الأوروبيون أسعد ما نكون إذا توصلنا إلى قمّته ".

٥. وفي باب الطب والجراحة كان للمسلمين دورٌ لا يُنكر.

يقول الكاتب البريطاني هـ.ج. ويلز في كتابه " معالم تاريخ الإنسانية ": " وتقدموا في الطب أشواطا بعيدة على الإغريق، ودرسوا علم وظائف الأعضاء، وعلم تدبير الصحة، ... ولا يبرح كثير من طرق العلاج عندهم مستعملا بين ظهرانينا إلى اليوم، وكان لجراحيهم دراية باستعمال التخدير، وكانوا يجرون طائفة من أصعب الجراحات المعروفة، وفي ذات الوقت التي كانت الكنيسة تحرم فيه ممارسة الطب انتظاراً منها لتمام الشفاء بموجب المناسك الدينية التي يتولاها القساوسة: كان لدى العرب علم طبي حق " انتهى .

بل ويقول - أيضاً -:

"كل دين لا يسير مع المدنية فاضرب به عرض الحائط، ولم أجد ديناً يسير مع المدنية في جميع نواحيها سوا الإسلام، وثمة أسماء لامعة لعلماء مسلمين لا ينكر علمهم وتقدمهم إلا جاهل أو معاند مثل ابن النفيس والزهراوي في الطب وابن

الهيثم في الرؤية والضوء والخوارزمي في الرياضيات وهذه الشهادات نقلتها لكتاب ومفكرين غير مسلمين ومن دول شتى حتى لا يقال تواطؤا على الكذب نقلت هذه الشهادات من موقع الإسلام سؤال وجواب إذن لماذا يسعى العلمانيون لطمس الهوية الإسلامية وللقضاء على الأخلاق والآداب الإسلامية هل الإسلام حرم صناعة الطائرات والسفن والصواريخ والسيارات والتقدم في الطب والهندسة؟

نعم هناك مفاهيم خاطئة أُلِصقت بالإسلام، والإسلام منها بريء هذه يجب أن تحارب مثل ولاية الفقيه عند الشيعة ومثل الخرافات التي عند الشيعة والصوفية ومثل الجماعات المتطرفة التي تسفك دماء الأبرياء وتنشر الفوضى وتشوه جمال الإسلام والله يقول: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء:١٠٧]، ويقول تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ [سورة البقرة:١٤٣] .

ومن الحقائق أن الغرب نجح في الصناعات والعلوم المادية عندما تخلى عن الكنيسة التي كانت ضد العلم والصناعة والاختراع، والبقاء على الخرافات والمفاهيم الخاطئة والعقائد الفاسدة والإنزواء في زوايا الكنيسة حتى حرموا الزواج على الرهبان والله يقول عن الرسل: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَذُرِّيَّةٗ﴾ [سورة الرعد:٣٨] .

بينما فشل المسلمون عندما تركوا العمل بدينهم ومن أسباب صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان، أن الله أرسل الرسل عليهم السلام قبل محمد صلى الله عليه وسلم إلى قوم مخصوصين في ذاك الزمان مع ما دخل على تلك الديانات بعد ذلك

من التحريف والتغيير والنسخ، بينما أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة وإلى قيام الساعة، ولهذا أطول آية في القرآن آية الدين والمعاملات المالية، التي تحدثت عن البيوع والديون والرهن والمكاتبة والتجارة، وهذه المعاملات اليوم صارت من أوسع المعاملات خاصة البيوع ثم هذه سنن كونية لا تحابي أحدا فمن عمل بالأسباب حصل على النتائج، ولا يظلم ربك أحدا، فالغرب عملوا واجتهدوا في العلم والصناعة والاختراع، فتقدموا على المسلمين في ذلك، وكان على المسلمين أن يقوموا بذلك ويدعوا الكسل وضياع الأوقات والأموال فيما لا يعود عليهم بالنفع في دينهم ودنياهم. والعجب أن العلمانيين لا يدعون الناس إلى الإستفادة من الغرب في العلوم النافعة فما زال الناس يستفيد بعضهم من بعض في ذلك ولكن يريدون أن نأخذ كل ما عند الغرب الذين وصلوا في الإنحطاط إلى سن قوانين لأعمال تترفع عنها أكثر الحيوانات، كالزواج المثلي" اللواط" وقبله الزنى بحيث صار كثير من الفتيان والفتيات لا يعرف من أسرته بل من أبوه وأمه والحمد لله على نعمة الإسلام.

فالمؤامرة الكبرى اليوم على الدول الإسلامية هي السعي المتواصل لفصل الدين عن حياة الناس والمتتبع للأحداث يرى أن كثيرا من الدول الإسلامية بدأت تعدل وتحذف في المواد والقوانين الخاصة بالشريعة الإسلامية، والذي لا يُعلن أعظم من الذي يُعلن عنه.

وهناك توجه غربي وافق هذا التوجه الغربي هوى كثير من الساسة في الدول

الإسلامية وهو أن تسلم زمام الأوقاف والشؤون الإسلامية للصوفية لأن الغرب يرى أن الصوفية أقرب شيء إلى وضع الكنيسة اليوم في الغرب وهو الإنزواء في المساجد أو ما يسمونه بالرباط وإقامة الموالد والرقص الصوفي والطبل والغلو في الأولياء وما عدا ذلك فهم عنه في معزل وقد صرح بعض قادة الصوفية في اجتماع لهم في السودان حضره كثير من كبار شخصياتهم قال بأنهم اجتمعوا مع كبار المسؤولين في الولايات المتحدة الأمريكية وذكروا لهم أنهم لا يثقون بأحد من الجماعات الإسلامية سواهم وهذا هو الذي فعلته بعض الدول الإسلامية في انتسابها العلمانية في نظامها سلمت إدارة الشؤون الإسلامية والأوقاف للصوفية وأرجو أن ننتبه للحقيقة التي ذكرناها سابقاً وهي من الفروق الجوهرية بين المسلم وبين غيره، ألا وهي إقامة شرع الله في الأرض وعمارة الأرض في آن واحد وهذا هو الكمال والخير والسداد والهدى والسعادة والرحمة للبشرية كلها في الدنيا والآخرة وإلا وقع الخلل والفساد بحسب التفريط في ذلك.

ولا شك أن هدف العلمانية الأول هو تغييب شرع الله وتغييب الإسلام من حياة الناس لينتهي الأمر إلى إباحة الخمر والزنى والتعري وإلى الزواج المثلي (اللواط) بل وإلى الحكم بغير ما أنزل الله وإلى سب الدين والرسول ولا يُسمح لأحد بالاعتراض، بحجة الحرية الشخصية وحرية التعبير وإلى آخره.

مع أن الإسلام لا يتعارض أبدا مع التقدم والصناعات والعلوم النافعة ويستطيع المسلمون أن يقيموا دينهم ودنياهم قال معالي الشيخ صالح آل الشيخ

وزير الأوقاف والدعوة والإرشاد سابقاً في المملكة العربية السعودية في كلمة له عن خطر العلمانية العالم الإسلامي يُجَرد من هويته يجرد من مرجعيته ومصادر تشريعه ويفصل فيه دينه عن دولته ويفصل أخلاقه وقيمه عن دينه .

وقال الشيخ صالح العصيمي عضو هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية في محاضرة له وهو يتحدث عن خطر العلمانية وأنها تعمل على قدم وساق في مسخ هوية الأمة ومحو خيريتها وتسييرها وراء مبادىء صُنِعت خارج مصادرها وأُعِدت لغير أهلها فالعلمانية التي ناسبت بلادا يحتدم فيها الصراع بين الكنيسة والدولة والرب والإنسان لا تناسب أمة شرفها الله بالإسلام وأكرمها ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم ووهبها أكمل دين ونظام وكذلك تسعى العلمانية إلى تنحية الشريعة بدعاوى مجحفة في سبيل تعطيلها، كدعوى جمود الشريعة وعدم مواكبتها الحضارة وأنها تدعوا إلى العزلة والإنحياز الذاتي واضطهاد حرية الفكر وتحول دون الإبداع والرقي. وذكر من مفاسدها النظرة الإقصائية للغة العربية وتهميشها بزعم عدم صلاحيتها كلغة اتصال وتغيير النظام الاجتماعي بتفكيك الأسرة وزحزحة سلطان الوالد والزوج وإشاعة الفواحش بفتح فوضى العلاقات والاحتكاك البشري والدعوة إلى تحرير المرأة نحو النمط الغربي.

وختاما ما الذي يجب علينا؟

يجب علينا أن نقوم ببيان الحقيقة وبيان خطورة هذه المؤامرة التي هي أخطر مؤامرة اليوم على الإسلام والمسلمين، ، وتحذير الناس من ذلك وكل بحسب مكانه

وموقعه، فالعلماء في موقعهم والإعلاميون في موقعهم والمسؤولون في موقعهم وغير هؤلاء كل بحسبه وبما عنده من الإمكانيات والقدرات والفرص قبل أن تغرق السفينة.

وقد قال الشاعر:

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

صحيح الله حافظ دينه قال تعالى :﴿يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [سورة الصف:٨]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك" أخرجه البخاري ومسلم لكن يجب علينا أن نقوم بما يجب علينا وأن نعمل بأسباب حفظه في دولنا، والصحابة رضي الله عنهم ذبوا عن دين الله وحافظوا عليه وحفظوه لنا وبذلوا لأجل حفظه النفس والنفيس ولم يقل أحدهم كما قال عبد المطلب في الجاهلية إن صح عنه أنا رب إبلي وللبيت رب يحميه لأننا مأمورون بنصرة دين الله والدفاع عنه والمحافظة عليه بل إن عزتنا في الدنيا والآخرة مرتبطة بالدفاع عنه والعمل به، وهو منصور بنا أو بغيرنا، وإن تخاذلنا عن نصرته، ذهب الله بنا وجاء بقوم يشرفهم بنصرة دينه: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم﴾ [سورة محمد:٣٨] .

كذلك يجب علينا في هذه الأيام بالذات أن نحرص على جمع كلمتنا على الحق الهدى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [سورة آل عمران:١٠٣]، وأن نكون

كما قال الله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[سورة الحجرات:١٠] .

وكما قال الرسول صلى الله عليه وسلم "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى " أخرجه مسلم.

وقوله صلى الله عليه وسلم "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" أخرجه البخاري ومسلم. ونترك ما يفرقنا ويضعفنا من الظلم والباطل وإلا حققنا للأعداء ما يريدونه فقاعدتهم الخبيثة تقول (فرّق تسُد) أي تكون لك السيادة عليهم والله قد حذرنا فقال: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[سورة الأنفال:٤٦] .

ولا شك أن من الأمور المهمة التي نفتقدها اليوم المرجعية الواحدة التي يرجع المسلمون كلهم إليها، سواء في الأمور الشرعية وفهم الدين الفهم الصحيح، أو الأمور السياسية، وهذه ستتحقق إذا سعينا لوحدة الصف على الهدى والحق والرحمة، وليس بالضروري أن نحقق كل هذا في وقت واحد فأنت تنتمي إلى أمة كبيرة في زمنها وعددها فلئن مت قبل أن يتحقق كل الذي أردت فغيرك سيتم جهودك، فالمهم أن نعمل بالأسباب وبما يجب علينا وأن نكون ناصحين لديننا ولأمتنا.

والله الهادي إلى سواء السبيل

القسم الثاني: شبهات حول المرأة في الإسلام وكتبت فيه ستة ردود:

١ -لماذا أثار أهل الباطل في هذا الزمن موضوع زواج الرسول من عائشة.

٢- وضع اللجام على أفواه المعترضين على ميراث المرأة في الإسلام.

٣- الحجاب وانقلاب الموازين وانتكاس الفطرة.

٤- هل القرآن أمر بضرب المرأة.

٥- وقفات مع حديث لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة.

٦- وقفات مع حديث فإني رأيتكن أكثر أهل النار.

١-لماذا أثار أهل الباطل في هذا الزمن موضوع زواج الرسول من عائشة.

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، و من يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [سورة الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

لماذا أثار أهل الباطل في هذا الزمن موضوع زواج الرسول من عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؟

وقبل الرد على هذه الشبهة أنبه على أمرين هامين:

الأمر الأول: من الأخطاء الكبيرة التي وقع فيها البعض: التسليم بوجود خطأ في ذلك ثم بدأوا يبررون بزعمهم لهذا الخطأ حتى سارع بعضهم إلى تخطئة الرواة

والطعن في كتب السنة.

وهنا كلمة لابد منها:

وهي أن صحيح البخاري وصحيح مسلم ليسا للإمامين البخاري ومسلم فقط بل الطعن فيهما طعن في علماء الإسلام كافة الذين شهدوا لهما بالصحة بعد فحصهما حرفا حرفا وهو طعن في اتفاق الأمة على صحتهما.

الأمر الثاني: ليس القصد من إثارة قضية زواج النبي بعائشة في هذا العصر هو مجرد الكلام على زواج النبي بعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهي صغيرة السن فهو أمر ليس فيه ما يستنكر أبدا ولو كان فيه ما يستنكر لطار به قبلهم المنافقون وكفار قريش واليهود وغيرهم من أعداء الإسلام الذين كانوا يبحثون عن أي ثغرة للطعن في الرسول ﷺ وقد كان العرف عند كل الناس مسلمهم وكافرهم وإلى زمن قريب لا يرو ن غضاضة أبدا في الزواج بالبنت الناضجة وسنذكر وندلل على أن النبي تزوج بعائشة وهي ناضجة جسميا وعقليا وتزوجها بوحي من الله وكان لله حكم عظيمة في ذلك ولما ترتب على ذلك من مصالح عامة وخاصة وسنذكر بعضا من ذلك.

إذن ما وراء هذه المزايدة على زواج النبي من عائشة - وكيف استطاع أهل الباطل في هذا الزمن أن يجعلوها شبهة بينما لم يفعل ذلك أسلافهم على مر العصور.

الجواب -في كلمتين-:

وراء ذلك (الطعن في الرسول ﷺ) فإنهم بعد أن رأوا أن الإسلام بلغ شرق الأرض وغربها وأينما ذهبوا وتوجهوا تفاجأوا بوجود الإسلام في كل مكان، ورأوا

ما أذهلهم، ورأوا في أرياف أوروبا وأدغال إفريقيا أصواتا تدعوا الناس إلى لا إله إلا الله وإلى عبادة الله وحده لا شريك له وإلى اتباع خاتم أنبيائه ورسله ﷺ.

مع أنهم لا يعلم بهم إلا الله يقرأون القرآن بمشقة ويدعون إلى الله ولا يرجون الأجر والثوا ب إلا من الله .فأزعجهم ذلك وأقض مضاجعهم ورأوا أن جهودهم تذهب سدى فأوحى بعضهم إلى بعض بأن الحل هو السعي إلى إسقاط القدوة بالطعن فيه وجهلوا أو تجاهلوا أن الله قال: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [سورة الصف:٨].

فقاموا وبكل ما يقدرون عليه حتى ما لا مستنكر فيه ولم يسبقهم إليه أحد من أسلافهم وساعدهم على ذلك في هذا الزما ن:

- القنوات الفضائية.
- ومواقع التواصل الاجتماعي.

التي تنشر لكل من هب ودب وتبحث عن كل شاذ ولو كان تافها وساذجا وحقيرا، وساعدهم في قضيتنا هذه وهو زواج النبي ﷺ بعائشة من لا يدرك ما وراء ذلك، فقاسوا زمان عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بزماننا وبنات ذاك الزمان بهذا الزمان، وقاسوا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بنساء وبنات زماننا الذي تصل فيه الفتاة إلى العشرين وهي لا تحسن سوى الألعاب الإلكترونية.

ولا تظنوا أن هذا الأمر وهو الطعن في الرسول ﷺ ليس مخططا له ولا مدعوما ولا مدارا، بل هو مخطط له ومدعوم ويدار من قبل جهات كبيرة هي التي خططت

ودعمت دخول اليهود إلى فلسطين والقائمة تطول، والمحزن في هذا: هو تطاول السفهاء على الرسول بكلام ساقط لا يليق إلا بأمثالهم آهٍ من أهل هذا الزمان! الذي يتطاول فيه عابد الصليب مثل زكريا بطرس بكلمات ساقطة وفي دولة مسلمة على مقام الرسول ﷺ بذريعة أنه تزوج بعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهي صغيرة السن:

فإما حياة نظم الوحي سيرها وإما ممات لا يسر الأعاديا

ومما يؤثر عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

رُبَّ يومٍ بكيتُ منهُ فلما صرت في غيره بكيتُ عليه

فاللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد

يعز فيه أهل التوحيد والاتباع

ويذل فيه أهل الشرك والابتداع

ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر

ومن المؤسف أيضًا:

أن يظهر اليوم شخص في وسائل الإعلام و كله أخطاء ثم ينتقد من؟ ينتقد أكمل البشر وأطهرهم رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ: « إن مما أدرك

الناس من كلام النبوة الأولى، إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت»[(١)].

خمسة أمور مهمة:

وحتى يكون شبابنا على علم وبصيرة أكتفي بذكر خمسة أمور تبين الحقيقة وأن زواج النبي ﷺ بعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لم يكن فيه أبدا أدنى ما يستنكر.

ولا يغرنكم تهويل أهل الباطل أنه ﷺ تزوج بها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهي بنت تسع سنين؛ فإنها كانت ناضجة جسميا وبدنيا وعقليا، وتزوجها لحكم عظيمة لا يفهمها من نفوسه م تطوف حول الفرش لا حول العرش والواقع أكبر شاهد على ذلك وهو ما أ ثْرَتْ به عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا علوم الشريعة من المعارف والعلوم التي تلقتها من الرسول خلال تسع سنوات من زواجها بالنبي ﷺ من نهاية السنة الثانية من الهجرة إلى بداية السنة الحادية عشرة من الهجرة، وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لم تتلق العلم إلا عن الرسول ﷺ بخلاف ابن عباس ☹ مثلا وغيره الذين لم يدركوا إلا السنة والسنتين والثلاث من زمن الرسول وكانوا صغارا فتلقوا أكثر علومهم عن النبي ﷺ بواسطة كبار أصحابه كأبي وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وزيد بن ثابت وغيرهم ﷺ.

(١) صحيح البخاري (٣٤٨٤، ٦١٢٠) من حديث أبي مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الأمر الأول

أن زواج النبي ﷺ بعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كان بوحي من الله وبأمر منه وفي البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال لها: أريتك في المنام مرتين، أرى أنك في سرقةٍ من حرير، ويقول: هذه امرأتك فاكشف عنها، فإذا هي أنتِ، فأقول: إن يكُ هذا من عند الله يمضه»[(١)].

وقال الحافظ في "الفتح": وعند الآجري من وجه آخر عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «لقد نزل جبريل بصورتي في راحته حين أُمِرَ رسول الله ﷺ أن يتزوجني»[(٢)] ا.هـ[(٣)]

فلم يكن النبي ﷺ يفكر فى ذلك ولا حرص عليه ولا سعى فيه ولا رغب فيه إلا بعد أن رأى الذي رأى و«رؤيا الأنبياء حق ووحي»[(٤)]، ولهذا قال: «إن يكُ

---

(١) صحيح البخاري (٣٨٩٥، ٥٠٧٨، ٧٠١١) صحيح مسلم (٢٤٣٨) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) رواه الآجري في الشريعة (١٨٤٧، ١٩٠١) وهو أيضًا في مسند أبي يعلى الموصلي (٤٦٢٦، ٤٨٢٢) من طريقين ضعيفين عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ورواه أيضًا الطبراني في "المعجم الكبير (٢٣/٣٠) رقم: (٧٦) والحاكم في "المستدرك على الصحيحين" (٤/١٠) رقم: (٦٧٢٧) وتقدم في الصحيحين.

(٣) "فتح الباري" لابن حجر (٩/١٨١).

(٤) ورد في البخاري (١٣٨) من قول عُبيد بن عُمير أحد كبار التابعين وعلق عليه العلامة

هذا من عند الله يمضه».

* وكان لله حكمة بالغة في ذلك .فلم يكن في نساء زمانها من يماثلها في – الحفظ والفهم والنباهة والعقل والذكاء والزكاء.

وقد نافست ستة من الرجال في حفظ أحاديث الرسول ﷺ كما قال السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الألفية(١):

والمكثرون في رواية الأثر ... أبو هريرة يليه ابن عمر
وأنسٌ والبحرُ كالخدريِّ ... وجابِرٌ وزوجةُ النبيِّ

ولم يكن عندها ما يشغلها من أولاد وغيرهم في صحبتها للرسول ﷺ وبعد موت الرسول ﷺ: كان يرجع إليها كبار الصحابة ﷺ ويسألونها خاصة عن هدي الرسول ﷺ في بيته.

وقد عاشت بعد موت الرسول ﷺ سبعة وأربعين سنة تنشر علمه وهديه ﷺ فقد كانت معلمة في كل العلوم والفنون، وتخرج من مدرستها الكبار، مثل: ابن أختها عروة بن الزبير وابن أخيها القاسم بن محمد بن أبي بكر، وهما من الفقهاء السبعة.

الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ –في مختصر صحيح الإمام البخاري (١/٦٩)– فقال: رواه موقوفًا على ابن عباس ☹ ابن أبي عاصم في "السنة" (برقم: ٤٦٣ – تحقيقي) بسند حسن على شرط مسلم ا.هـ

(١) "ألفية السيوطي في علم الحديث" ت ماهر الفحل (ص: ١٠٨).

الأمر الثاني

أن النبي ﷺ تزوجها وهي ناضجة في عقلها وجسمها ومما يدل على نضجها في جسمها أنها كانت أسعد امرأة وكلامها في هذا كثير.

وفي صحيح مسلم عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: تزوجني رسول الله ﷺ في شوال، وبنى بي في شوال، فأي نساء رسول الله ﷺ كان أحظى عنده مني(١).

بل كانت شديدة الغيرة على النبي حتى إنها كانت تقوم في الليل فلا تجده بجوارها فتقوم تبحث عنه في غرفتها تخشى لشدة غيرتها ولشدة حبها لرسول الله أن يكون قد ذهب عند إحدى زوجاته فتجده قائما يصلي لله فتعود مطمئنة لإكمال نومها(٢).

وكم كانت شاكرة لسودة أم المؤمنين عندما تنازلت بيومها عندما كبرت لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لمحبت سودة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لإسعاد الرسول ﷺ(٣)(٤).

وما كنا بحاجة لذكر مثل هذه التفاصيل لكن حتى يعرف شبابنا كذب هؤلاء

---

(١) صحيح مسلم (١٤٢٣/٧٣).

(٢) انظر: صحيح مسلم (٤٨٦/٢٢٢).

(٣) انظر: صحيح البخاري (٢٥٩٣، ٥٢١٢)، وصحيح مسلم (١٤٦٣/٤٧).

(٤) وعندما نزلت آية التخيير في سورة الأحزاب قالت عائشة فإني أختار الله ورسوله والدار الأخرة.

ودجلهم .

ومن المعلوم أن سن بلوغ المرأة يختلف حسب العرق وحسب المناخ – ، ففي المناطق الحارة تبلغ الجارية مبكرا، بينما في المناطق القطبية الباردة قد يتأخر البلوغ حتى سن ٢١ سنة.

قال الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قالت عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا: إذا بلغت الجارية تسع سنين فهي امرأة[(١)].

وروى البيهقي عن الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال: (أعْجَلُ من سمعتُ به من النساء يَحِضْنَ نِساءٌ بتهامة يحضن لتسع سنين)[(٢)].

وقال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا: (رأيت بصنعاء جَدَّةً بنت إحدى وعشرين سنة، حاضت ابنة تسعٍ وولدتْ ابنةَ عشرٍ، وحاضت البنت ابنة تسعٍ وولدت ابنة عشرٍ)[(٣)].

---

(١) انظر: سنن الترمذي (٢/٤٠٩).

(٢) انظر: "السنن الكبرى" للبيهقي ت التركي (٢/٤٣٢) رقم: (١٥٤٧).

(٣) المرجع السابق: رقم: (١٥٤٨).

فعلى هذا، فقد دخل الرسول ﷺ بعائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا وهي بالغة أو قد قاربت البلوغ، وقد قال الداودي عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا: (وقد شبت شبابًا حسنًا)[١][٢].

---

(١) انظر: "إكمال المعلم بفوائد مسلم" (٤/٥٧٣) للقاضي عياض، و"المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم" للقرطبي (٤/١٢١) وشرح النووي على مسلم (٩/٢٠٦).

(٢) وبينما أنا أراجع الكتاب قبل الطبع أعلنت بريطانيا في يوم الأحد ٢٠٢١/٦/٢٧م أن فتاه حملت في العاشرة من عمرها وولدت طفلاً وهي في الحادية عشر وهي وطفلها بصحة جيدة ولم تذكر وزارة الصحة في الخبر متى بلغت وهل هو في العاشرة أو قبلها.

رجاحة عقل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

وأما ما يدل على نضجها في عقلها: فأكتفي بهذا المثال الذي كان بعد زواجها بسنتين تقريبا؛ وهو موقفها من حادثة الإفك.

ومع شدة الموقف وقساوته وصعوبته عليها إلا أنها تكلمت بكلام يعجز عنه اليوم كثير من أهل العلم والمعرفة ممن هم في الثلاثينات والأربعينات.

ففي البخاري ومسلم -وهي تذكر البلاء الذي ابتليت به في حادثة الإفك قالت رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: فَوَعَظَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَالْتَفَتُّ إِلَى أَبِي، فَقُلْتُ لَهُ: أَجِبْهُ، قَالَ: فَمَاذَا أَقُولُ؟ فَالْتَفَتُّ إِلَى أُمِّي، فَقُلْتُ: أَجِيبِيهِ، فَقَالَتْ: أَقُولُ مَاذَا؟ فَلَمَّا لَمْ يُجِيبَاهُ تَشَهَّدْتُ فَحَمِدْتُ اللَّهَ وَأَثْنَيْتُ عَلَيْهِ، بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قُلْتُ: أَمَّا بَعْدُ فَوَاللَّهِ لَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي لَمْ أَفْعَلْ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَشْهَدُ إِنِّي لَصَادِقَةٌ، مَا ذَاكَ بِنَافِعِي عِنْدَكُمْ، لَقَدْ تَكَلَّمْتُمْ بِهِ وَأُشْرِبَتْهُ قُلُوبُكُمْ، وَإِنْ قُلْتُ إِنِّي قَدْ فَعَلْتُ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَفْعَلْ لَتَقُولُنَّ قَدْ بَاءَتْ بِهِ عَلَى نَفْسِهَا، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا، وَالْتَمَسْتُ اسْمَ يَعْقُوبَ فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَيْهِ إِلَّا أَبَا يُوسُفَ حِينَ قَالَ: {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ} [يوسف: ١٨]، وَأُنْزِلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ سَاعَتِهِ فَسَكَتْنَا فَرُفِعَ عَنْهُ، وَإِنِّي لَأَتَبَيَّنُ السُّرُورَ فِي وَجْهِهِ، وَهُوَ يَمْسَحُ جَبِينَهُ، وَيَقُولُ: «أَبْشِرِي يَا عَائِشَةُ، فَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ بَرَاءَتَكِ» هذا لفظ البخاري(١).

---

(١) انظر: صحيح البخاري (٤٧٥٧، ٢٦٦١، ٤١٤١) وصحيح مسلم (٢٧٧٠/٥٦).

الأمر الثالث

أن زواج النبي ﷺ بعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في هذا السن الذي قد نضجت فيه لم يكن مستنكرا قط في عرف ذاك الزمان.

وقد ثبت في السنة الصحيحة أن المطعم بن عدي كان قد خطبها لابنه جبير[(١)] وهذا قبل نزول قوله تعالى في النهي عن زواج المشركين ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ [سورة الممتحنة:١٠] وعرفهم في ذاك الزمان هو المعيار لهذا الزواج وقد استمر هذا العرف إلى قبل مائة سنة تقريبًا.

وفي أسبانيا إلى عام ١٩٩٥ ميلادي وللفتى والفتاة ممارسة الجنس من السنة الثانية عشرة، وبعد عام ١٩٩٥ زاد القانون سنة واحدة فقط أي: السنة الثالثة عشرة، ولا أريد أن أذكر أمثلة للزواج في السن المبكر لمن كانت ناضجة فهي لا تحصى فهو أمر معلوم للعام والخاص.

وقد تزوج النبي ﷺ صفية بنت حيي بن أخطب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وعمرها ستة عشر عاما وكانت قد تزوجت قبله برجلين ولا يخفاكم أن أباها سيد يهود بني النضير[(٢)].

---

(١) انظر: مسند أحمد ط: الرسالة (٥٠١/٤٢) رقم: (٢٥٧٦٩) وطبقات ابن سعد ط: دار صادر (٥٩/٨).

(٢) انظر: "الطبقات الكبرى، ط: دار صادر (١٢٠/٨).

وقد ذكر التاريخ أسماء ملوك من ملوك بريطانيا وفرنسا ممن زوجوا بناتهم في السادسة والسابعة من عمرها .

الأمر الرابع

أن من يتكلم على زواج عائشة بالنبي ﷺ وعمره في الرابعة والخمسين يقيس النبي ﷺ بغيره مع وجود فوارق كبيرة جدا في الخَلْق والخُلُق والفضل والمكانة.

وقد ذكره مايكل هارت صاحب الكتاب الشهير "العظماء مائة" ذكره أول واحد قبل موسى وعيسى عليهما السلام وقبل كل العظماء الذين ذكرهم في كتابه وزعم أن هؤلاء هم عظماء الأمم الماضية والحاضرة.

ولسنا نفتخر بذلك فثناء الله على نبيه ﷺ أصدق الثناء وأكمله وإنما ذكرنا كتاب مايكل هارت لأنهم يعظمونهم ويقدسون كلامهم فعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تزوجت بأكمل الرجال وأجملهم وأكرمهم خَلقا و خُلقا ونسبا ومكانة ﷺ.

وقد كان النبي ﷺ يراعي صغر سنها فيتركها مع اللهو واللعب المباح والشاب وكذلك الشابة يظل يميل ولو في بعض الأحيان إلى اللهو واللعب وكان يسابقها، وكان يتركها تتكئ على ظهره وكتفه وتنظر إلى الأحباش وهم يلعبون بالحراب في يوم العيد(١).

وتكسر صحفة لزوجة أخرى من زوجاته وفيها الطعام فيقوم بإعطاء الأخرى صحفة من بيت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بدون أن يقول لها شيئا بل قال للحاضرين:

---

(١) انظر: مبحث "وجوب إحسان عشرة الزوجة" من آداب الزفاف في السنة المطهرة" للعلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ (ص: ٢٦٩).

«غارت أمكم»[(١)].

وهؤلاء المزايدون والله لو طلب منهم أحد الملوك والمشاهير زواجا لزوجوه بمن يختار من بناتهم بدون النظر إلى خَلْقه أو خُلُقه أو لِسِنِّها ولافتخروا بذلك في وسائل الإعلام ومواقع التواصل وعدوه شرفا لهم.

وأقبح من هذا وذاك:

من يحتج علينا بأنظمة الغرب مع أن الكثير من بناتهم تذهب عفتها وبكارتها بسن مبكرة جدا بطريقة أو بأخرى فهنيئا لها ولأبيها الصديق هذا الشرف والله لو كنت أنا صاحبه لكان أحب إلي من الدنيا وما فيها وعلى مر العصور والناس يعدون هذا منقبة وكرامة ورفعة وشرفا لها ولأبيها وخيرا لها وللأمة حتى جاء زمن العجائب والغرائب والمتناقضات.

(١) صحيح البخاري (٥٢٢٥) من حديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

من حكم زواجه ﷺ

والملاحظ في زواج النبي ﷺ أنه كان لحكم بالغة:

✓ فهذه يتزوجها الرسول ﷺ بوحي من الله.

✓ وثانية يتألف قومها على الإسلام.

✓ وأخرى تقديرا لقدمها في الإسلام وهجرتها وصبرها.

✓ ورابعة يخلف زوجها في أهله لما له من السبق والصبر والبلاء في الإسلام مثل أبي سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

❋ ولهذا أباح الله له أكثر من أربع.

ثم أنتم تتحدثون عن من...؟ عن «الرحمة المهداة»(١).

والذي يتمنى كل مؤمن أن يراه ولو مرة(٢).

---

(١) روى الحاكم في "المستدرك" (١٠٠) عن أبي صالح، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة»، وانظر: تخريجه والكلام عليه في السلسلة الصحيحة (٤٩٠).

(٢) في صحيح مسلم (١٤٢/٢٣٦٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ، قال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ فِي يَدِهِ لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أَحَدِكُمْ يَوْمٌ وَلَا يَرَانِي، ثُمَّ لَأَنْ يَرَانِي أَحَبُّ إِلَيْهِ مَنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ مَعَهُمْ»، وفي صحيح مسلم أيضا (١٢/٢٨٣٢) عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ، قال: «مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لِي حُبًّا، نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي، يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَآنِي بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ».

مكانة عائشة بعد زواجها من رسول الله ﷺ

* إن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بزواجها من رسول الله ﷺ صارت أعلم امرأة وأشهر امرأة في هذه الأمة وأفضل امرأة في هذه الأمة إلا ما كان من فاطمة بنت محمد ﷺ وأمها خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فمحل خلاف بين العلماء من هي أفضل؟

وقد قال رسول الله ﷺ: «... وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»[١].

وصارت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أماً للمؤمنين بزواجها من رسول الله ﷺ وأنزل الله في الدفاع عنها وفي فضلها آيات تتلى إلى قيام الساعة، وهي زوجته في الدنيا والآخرة وقد كانت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

✓ تقية.

✓ نقية.

✓ عالمة.

✓ فقيهة.

✓ حافظة.

✓ عالمة بالتاريخ و أنساب العرب.

---

(١) صحيح البخاري (٣٧٦٩) وصحيح مسلم (٢٤٣١/٧٠) من حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

✓ كريمة.

✓ حليمة.

✓ عاقلة.

✓ رزينة.

✓ صاحبة فراسة.

✓ رابطة الجأش.

✓ مع أدب وحياء(١)

حتى إنها بعد دفن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بجوار صاحبيه في غرفتها كانت لا تدخل غرفتها إلا وهي ساترة لبدنها حياء من عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو ميت وكانت قبل ذلك إذا دخلت لبست ما تيسر من الثياب وتقول إنما هو زوجي وأبي(٢).

وقد شهد لها ابن عبا س ☹ بأنها أعلم أهل الأرض بوتر رسول الله ﷺ -وفي هذا الحديث ما كانت عليه من العلم بأنساب العرب -.

---

(١) انظر: "الصحيح من سيرة الصديقة بنت الصديق عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا" للشيخ أحمد البديوي.

(٢) في مسند أحمد (٤٢/ ٤٤٠) رقم: (٢٥٦٦٠) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: كنت أدخل بيتي الذي دُفِنَ فيه رسول الله ﷺ، وأبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأضع ثوبي، وأقول: إنما هو زوجي وأبي، فلما دُفِنَ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ معهم فوالله ما دخلتُهُ إلا وأنا مشدودة عليَّ ثيابي، حياءً من عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ففي صحيح مسلم أن سعد بن هشام أتى ابن عباس ☹ فَسَأَلَهُ عنْ وِتْرِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ بِوِتْرِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: مَنْ؟ قَالَ: عَائِشَةُ، فَأْتِهَا، فَاسْأَلْهَا، ثُمَّ ائْتِنِي فَأَخْبِرْنِي بِرَدِّهَا عَلَيْكَ، فَانْطَلَقْتُ إِلَيْهَا، فَأَتَيْتُ عَلَى حَكِيمِ بْنِ أَفْلَحَ، فَاسْتَلْحَقْتُهُ إِلَيْهَا، فَقَالَ: مَا أَنَا بِقَارِبِهَا، لِأَنِّي نَهَيْتُهَا أَنْ تَقُولَ فِي هَاتَيْنِ الشِّيعَتَيْنِ شَيْئًا، فَأَبَتْ فِيهِمَا إِلَّا مُضِيًّا، قَالَ: فَأَقْسَمْتُ عَلَيْهِ، فَجَاءَ فَانْطَلَقْنَا إِلَى عَائِشَةَ، فَاسْتَأْذَنَّا عَلَيْهَا، فَأَذِنَتْ لَنَا، فَدَخَلْنَا عَلَيْهَا، فَقَالَتْ: «أَحَكِيمٌ؟» فَعَرَفَتْهُ، فَقَالَ: نَعَمْ، فَقَالَتْ: «مَنْ مَعَكَ؟» قَالَ: سَعْدُ بْنُ هِشَامٍ، قَالَتْ: «مَنْ هِشَامٌ؟» قَالَ: ابْنُ عَامِرٍ، فَتَرَحَّمَتْ عَلَيْهِ، وَقَالَتْ خَيْرًا - قَالَ قَتَادَةُ: وَكَانَ أُصِيبَ يَوْمَ أُحُدٍ - فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْبِئِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: «أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَتْ: «فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ الْقُرْآنَ» قَالَ: فَهَمَمْتُ أَنْ أَقُومَ وَلَا أَسْأَلَ أَحَدًا عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أَمُوتَ، ثُمَّ بَدَا لِي، فَقُلْتُ: أَنْبِئِينِي عَنْ قِيَامِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: «أَلَسْتَ تَقْرَأُ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَتْ: «فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ افْتَرَضَ قِيَامَ اللَّيْلِ فِي أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ، فَقَامَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ حَوْلًا، وَأَمْسَكَ اللهُ خَاتِمَتَهَا اثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا فِي السَّمَاءِ، حَتَّى أَنْزَلَ اللهُ فِي آخِرِ هَذِهِ السُّورَةِ التَّخْفِيفَ، فَصَارَ قِيَامُ اللَّيْلِ تَطَوُّعًا بَعْدَ فَرِيضَةٍ».

قَالَ: قُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْبِئِينِي عَنْ وِتْرِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: "كُنَّا نُعِدُّ لَهُ سِوَاكَهُ وَطَهُورَهُ، فَيَبْعَثُهُ اللهُ مَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَهُ مِنَ اللَّيْلِ، فَيَتَسَوَّكُ،

وَيَتَوَضَّأُ، وَيُصَلِّي تِسْعَ رَكَعَاتٍ لَا يَجْلِسُ فِيهَا إِلَّا فِي الثَّامِنَةِ، فَيَذْكُرُ اللهَ وَيَحْمَدُهُ وَيَدْعُوهُ، ثُمَّ يَنْهَضُ وَلَا يُسَلِّمُ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّ التَّاسِعَةَ، ثُمَّ يَقْعُدُ فَيَذْكُرُ اللهَ وَيَحْمَدُهُ وَيَدْعُوهُ، ثُمَّ يُسَلِّمُ تَسْلِيمًا يُسْمِعُنَا، ثُمَّ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ بَعْدَ مَا يُسَلِّمُ وَهُوَ قَاعِدٌ، فَتِلْكَ إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً[(١)]، وهذه أحد الكيفيات في صلاة الوتر.

❋ ومما يدل على كمال دينها وتعظيمها لشرع الله:

ما جاء في البخاري أن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بلغها كلا م آلمها من ابن أختها عبد الله بن الزبير ☹ فقد كانت كريمة كثيرة الإنفاق والصدقة لا تترك شيئا من المال الذي يأتيها فقال لئن لم تنته عائشة لأحجرن عليها فآلمها الكلام وقالت أو قد قال؟ ثم قالت: لله علي ألا أكلم ابن الزبير وبعد محاولات كثيرة كلمته ولم تكفر عن نذرها بإطعام عشرة مساكين بل أعتقت أربعين رقبة ومع هذا كانت إذا ذكرت نذرها تبكي حتى تبل دموعها خمارها[(٢)].

ومن هي عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قبل ذلك وهل نالت ما نالت إلا بزواجها بمحمد ﷺ.

وقد كان هناك حرص متبادل بين الرسول ﷺ وأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على أن يكون بينهما صلة وقرابة لما كان بين الرسول ﷺ وأبي بكر من المحبة والصحبة

---

(١) صحيح مسلم (١٣٩/٧٤٦).

(٢) صحيح البخاري (٦٠٧٣).

التامة.

الأمر الخامس

سلمنا لكم أن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا لم تكن قد بلغت عند زواجها بالرسول ﷺ ولم تتزوج بوحي من الله ولم تتزوج لمصالح عظيمة خاصة وعامة أرادها الله إلا أن الزواج تام الأركان ولم يخالف القرآن ولا خالف أعراف الناس وقوانينهم المستقيمة.

أما موضوع السن وفارق السن:

فهي قضية شخصية وعائلية لا تعنيكم ولا تعني أحدا وإنما تعني أصحاب القضية وقناعتهم بذلك والنبي ﷺ لم يحدد سننا معينا للزواج وإنما الأمر يرجع إلى أهلية البنت ورضاها وموافقتها ووليها على ذلك وعلى هذا كان الناس منذ خلق الله آدم وإلى أزمنة قريبة والذين يحددون السن اليوم نظروا إليه من منظار ضبط الفوضى مع أن الكثير من الشباب والشابات لا ينتظرون ولا يصبرون إلى هذا السن بل يقومون بربط علاقات غير شرعية إلا من رحم الله تعالى.

ولا شك أن ارتباط الفتيات اليوم بالدراسة من أسبا ب تأخر الزواج وهذا بخلاف الماضي، فلهذا كانت الفتاة تتزوج بسن مبكرة.

ومن العجائب:

أن في موسوعة الكاثوليك في الجزء الخاص بالقديس يوسف النجار أنه تزو ج مريم بعد ولادتها عيسى وكان عمر مريم اثنتي عشرة سنة عندما تزوجها يوسف النجار وكان عمره تسعين سنة وأترك التعليق للقارئ .

وبهذا نرد أيضا على من حاولوا تخطئة الرواة أو تخطئة كتب السنة - كالبخاري وغيره وأنهم أخطأوا في التاريخ.

فنقول لهم:

لسنا بحاجة لهذا أصلا ولسنا بحاجة للبحث معكم في هذا الأمر وزواج الرسول ليس فيه ما يستنكر لا من الناحية الشرعية ولا العقلية و لا العرفية ولا القانونية ولا الصحية.

ونقول لكم:

إذا عجزتم عن رد شبه أهل الباطل لأمر ولآخر فاتركوا الميدان لغيركم ولمن هم أقدر على رد شبه أهل الباطل منكم واتركوا هذه المسالك وهو الطعن في كتب السنة وتشكيك الشباب في كتب السنة ولا تظنوا أن هذا سيسكت أهل الباطل ولو أننا كلما تكلم أهل الباطل في حكم من الأحكام الشرعية أو في قضية من القضايا سارعنا إلى الطعن في كتب السنة الصحيحة فسنطعن في كل كتب السنة لأنهم غير راضين عن أحكام الله وشرعه قال تعالى: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [سورة البقرة:١٢٠].

وقد أطلت في الرد على هذه الشبهة وذلك لما رأيت ورأى غيري من المزايدة الإعلامية الكبيرة على هذه القضية.

وقد كتبت ردود كثيرة -بل ليست كثيرة- في الدفاع عن رسول الله ﷺ الذي

لولا أن الله أرسله إلينا لكنا في ظلمات الجهل والضلال والغواية.

وليست كثيرة في مقابل الهجمة الكبيرة والخبيثة والشرسة والمسعورة اليوم من أهل الباطل على اختلاف نحلهم وعقائدهم على أهل الإسلام وفي مواقع التواصل ووسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة ﴿وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ [سورة إبراهيم:٤٦].

وضع اللجام على أفواه المعترضين على ميراث المرأة في الإسلام

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمة للعالمين وحجة على الخلق أجمعين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد...

يقول الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[سورة النساء:٦٥].

إن من القضايا التي زايد عليها أهل الباطل، ميراث المرأة في الإسلام وشهادة المرأة في الإسلام ودية المرأة في الإسلام، وقبل نفخ هذه الفقاعات أو وخزها، أدعوا شبابنا إلى الاهتمام بالعلم عموما، وإلى الاهتمام بعلم الكتاب والسنة خصوصا، وهذه الشبه إنما تأثر بها بعض الشباب لثلاثة أمور:

الأول: جهلهم بدينهم المبني على العلم والعدل والحكمة.

الأمر الثاني: مساواة المرأة في الإسلام بالمرأة في قوانين الغرب، فالرجل في الإسلام هو الذي يقوم بتوفير كل ما تحتاجه المرأة، سواء كانت زوجة أو أما أو بنتا أو أختا، وهذا بخلاف المرأة في الغرب.

الأمر الثالث: مكابرة الواقع، قبل مكابرة الشرع، في وجود الفوارق بين الرجال والنساء حتى في الخلقة، وهذا لا يعني ازدراء المرأة، بل لتوزيع الأدوار حتى تستقيم الحياة.

وكون الاعتراض يصدر من كافر لا يُستغرب، لكن أن يصدر الاعتراض على حكم الله أو حكم رسوله صلى الله عليه وسلم من شخص يدعي الإسلام، هذا من العجائب والغرائب والمصائب، ولا شك لا يعترض على حكم الله أو حكم رسوله صلى الله عليه وسلم، إلا أحد رجلين إما كافر، وإما شخص لم يبق له من الإسلام إلا اسمه، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [سورة الأحزاب:٣٦]، وقال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [سورة البقرة:٢٨٥]، وقال تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [سورة الأنبياء:٢٣].

فعندما نجد من يعترض على حكم الله، في أي قضية من القضايا، فإن المسألة جد خطيرة، لماذا للأنثى نصف ما للذكر في الميراث؟

لماذا جعلت الشريعة شهادة امرأتين بشهادة رجل؟

لماذا دية المرأة على النصف من دية الرجل؟

سنرد على كل هذه الإشكالات بما لا يدع مجالا للشك في كمال عدل الله، إلا أن المسألة خطيرة جدا عندما يصدر الاعتراض بهذا الشكل ممن يدعي الإسلام، قال الله: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [سورة

النساء:١١].

انتهينا، سلمنا، استسلمنا، فهمنا، عقلنا، وبناءً على هذا، مضينا، وعملنا، ونفذنا. بعد ذلك يدرك العقل الحكمة، وراء ذلك وأن الرجل هو الذي ينفق، وهو الذي يعطي المرأة المهر أولاً، والنفقة والسكنى ثانيًا، إلى أن يفرق الله بينهما، وهو الذي يعطي وينفق، فإذا أخذ ضعفها في الميراث، إذًا هذا شيء طبيعي.

وبالمناسبة الرجل يأخذ أكثر من الأنثى، في علم المواريث في أربعة مواضع فقط، بينما تأخذ مثله، أو أكثر أحيانًا في أكثر من عشرين موضعًا لكن كثيرًا منها غير مشهورة عند عامة الناس، مثلاً: الأب والأم عند وجود الفرع الوارث، ابن أو ابن ابن، ذكر أو أنثى، يأخذ كل واحد منهما السدس، الإخوة لأم، هؤلاء يأخذ ذكرهم وأنثاهم سواء، بل أم الأم ترث، بينما أب الأم لا يرث، لماذا حكم رب العالمين؟ بناءً على ماذا؟ هذا شرع الله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [سورة المائدة:٥٠].

إن الإسلام كان حريصا كل الحرص على مساواة الرجل بالمرأة في أكثر الحقوق والواجبات، وقد بينت الشريعة الغراء ان التمايز في أنصبة الوارثين والوارثات راجع لحكم إلهية ومقاصد ربانية قد خفيت عن هؤلاء الذين جعلوا التفاوت بين الذكور والإناث في بعض مسائل الميراث وحالاته شبهة للطعن في الإسلام.

والحقيقة أن الذي ظلم المرأة في الميراث هو الكتاب المقدس "المحرف" ففي الكتاب المقدس لا ترث البنت مع وجود إخوتها، وهذا ما جعل النصارى اليوم

يعملون بالقانون الوضعي، ويتركون أحكام الكتاب المقدس في الميراث وفي غيره.

لماذا جعلت الشريعة شهادة امرأتين بشهادة رجل؟

عندما تقول الشريعة: ﴿فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾ [سورة البقرة:٢٨٢]، لماذا عدلت الشريعة شهادة امرأتين بشهادة رجل؟ هذا حكم الله، الله الذي خلق الرجل وخلق المرأة، فلا مجال للاعتراض إطلاقًا، أنت تعلم أكثر منه؟ هو الذي خلقه وخلقها؟ وقال لنا: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [سورة البقرة:٢٨٢] تكوين المرأة غير تكوين الرجل، وعقل المرأة غير عقل الرجل، وعاطفة المرأة جياشة قوية، تطغى على عقلها في كثير من الأحيان، وهذا ضروري للأمومة، ورعاية الأطفال، إلى آخره.

وهذا هو معنى الحديث الذي زايد عليه أهل الباطل، وهو قوله ﷺ: «مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ». قُلْنَ: وَمَا نقصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ: «أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ؟». قُلْنَ: بَلَى. قَالَ: «فَذَلِكِ مِنْ نقصَانِ عَقْلِهَا، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ، وَلَمْ تَصُمْ ؟» قُلْنَ: بَلَى. قَالَ: «فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا».

فقد بين النبي صلى الله عليه وسلم معنى نقصان عقلها، والحكمة واضحة وهو حرص الإسلام على حفظ حقوق الناس، فإن النساء في الأصل وفي الغالب لا يحضرن الأسواق المالية والمبايعات وإن حضرن ذلك، فليس حضورهن كحضور الرجال، والمخاطب بهذه الأحكام هي المرأة المسلمة الممتثلة لأحكام الإسلام

وآدابه، وليس المرأة غير المسلمة، وحتى عند غير المسلمين، فالغالب هو استشهاد الرجال، إضافة إلى أن الغالب على النساء العاطفة والضعف، إضافة إلى أن الإسلام له اعتبارات في الشهادة لا يفقهها هؤلاء، وقد أبطل النبي صلى الله عليه وسلم نكاح رجل وامرأة لأن أمة سوداء ذكرت أنها أرضعتهما، بينما في شهادة الزنى اشترط أربعة شهود، وفيمن ادعى الإفلاس ثلاثة شهود، وفي بعضها طلب شاهدين وفي بعضها شاهد واحد. ومعنى قوله " أن تضل إحداهما " قال ابن كثير: " يعني: المرأتين إذا نسيت الشهادة، فتذكر إحداهما الأُخرى أي يحصل لها ذكرى بما وقع به الإشهاد "تفسير ابن كثير" ج١ ص٧٢٤.

وليس معنى هذا أن المرأة لا تفهم أو لا تستطيع أن تحفظ، ولكنها أضعف من الرجل في هذا الجانب - غالباً - وقد أثبتت الدراسات العملية والتخصصية أن عقول الرجال أكمل من عقول النساء والواقع والحس والتجربة يشهد بذلك، وكتب العلم خير شاهدٍ على ذلك فالعلم الذي نقله الرجال والأحاديث التي حفظوها أكثر من تلك التي جاءت عن طريق النساء.

هذا من حيث الجنس أي أن جنس الرجال أكمل من جنس النساء قال الله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ [سورة النساء:٣٤] ومع ذلك فمن النساء من تفوق كثيراً من الرجال في العقل وحسن التدبير، ولكنهن قليل، والحكم للأعم الأغلب.

والمرأة قد تعوّض باجتهادها، وتتفوق عند إهمال الرجل فلذلك نجد بعض

الطالبات في بعض الكليات يتفوقن على الطلاب لاجتهادهن أكثر من الطلاب وحرصهن على التحصيل في الوقت الذي يهمل فيه كثير من أولئك الطلاب ولا يحرصون على التعلّم، كما أن الرجل يمكن أن يتفوق على المرأة في بعض ما هو من مجالاتها أصلاً فنجد أن أمهر المتخصصين في الطبخ وتصميم الملابس والتجميل وتخصص النساء والولادة على المستوى العالمي هم من الرجال.

فالعبرة إذن بالأعم الأغلب ولا يُنازع عاقل اليوم بأن أكثر المبدعين في علوم الدين كالفقه والحديث والتفسير والعقيدة والوعظ ... ألخ.

والعلوم الدنيوية كالطب والفلك والهندسة والفيزياء والكيماء وغيرها هم من الرجال. فإن الله قد أعطى النساء وفضلهن على الرجال في جوانب أُخرى كالعناية بالأطفال، والصبر والحنان والعطف عليهم، وتدبير المنزل؛ ولذلك جعلت الشريعة الحضانة إليها فالأم هي المدرسة الأولى، التي تُخرج رجال المستقبل وقادة العالم، وعلماء الأمة، فهل بعد هذا الفضل من فضل؟

هذا وقد حث الإسلام على الأم وأولاها عنايةً خاصة، وأوجب على أبنائها برها والإحسان إليها وقدمها في البر على الأب، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحسْنِ الصُّحْبَةِ، قَالَ: «أُمُّكَ ثُمَّ أُمُّكَ ثُمَّ أُمُّكَ ثُمَّ أَبُوكَ ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ» رواه مسلم (٢٥٤٨) فالنبي ﷺ أعطى الأم ثلاثة أضعاف الأب فهل يقال لماذا؟ بل يقال هذا من تمام العدل.

والعمل بين الرجال والنساء تخصص لا تنقص.

لماذا دية الرجل ضعف دية الأنثى؟

دية الرجل ضعف دية الأنثى، لماذا؟ هذا حكم الله، هكذا شرع الله، ولا يقال: الدين عنصري! الدين ذكوري! هذا ليس بكلام المؤمنين أبدًا إطلاقًا، هذا كلام الزنادقة.

وهذه الأحكام فيها كمال العدل، والبشر وإن تبنوا المساواة المطلقة، فكم في قوانينهم من الخلل الكبير والكثير، ولهذا جاء الإسلام بمصطلح العدل، وهذه الفقاعات إنما يلبسون بها على الجهال، وإلا فمن المعلوم في الأحكام الإسلامية، أن الرجل إذا قتل امرأة عمدا، فإنه يُقتل بها عند عامة أهل العلم، هذه هي قيمة المرأة، أما الدية فهي للورثة ولها اعتبارات أخرى، منها كون الرجل إذا فُقِد أكثر خسارة من جهة المورد المالي؛ لأنه هو الذي ينفق، فإذا انقطع هذا الباب، فيكون تعويضه أصعب، فالخسارة المادية به أكثر، هذا شيء يشهد به الكفار، بل عندهم في كبار شركاتهم لا زال على المستوى العام رواتب النساء أقل من رواتب الرجال، ورواتب الرجال أعلى، وما استطاع حتى الذين يتشدقون بالمساواة الكاملة أن يتخلصوا من هذه النقطة، فالرجل أقوى، وبالتالي إنتاجه سيكون أكثر، والحاجة إليه أكبر، وفي المواقع القيادية، وغير ذلك، والخسارة به أكبر؛ لأنه في العادة هو رب الأسرة، وهو المعيل، وهو المنفق، فإذا مات هو، وماتت هي، فطبيعي أن تكون الدية أكثر.

المسألة ليس كلامًا الآن على الإيمان، نحن نتكلم الآن عن الدنيا، الخسارة

الدنيوية في موته وموتها، هذا حكم رب العالمين، أدركنا الحكمة أم لا، استسلمنا، انتهينا، المسألة مفروغ منها. ولو فكر أولئك المعترضون على دية المرأة في الإسلام في حقيقة الأمر، لما اعترضوا، لأن المرأة إذا قُتِلت وهي مثلا متزوجة، من الذي يستحق الدية، ورثتها، الزوج وبقية الورثة، وإذا قُتِل الرجل من الذي يستحق الدية، الزوجة وبقية الورثة، إذن إذا قُتِل الزوج فالزوجة هي التي تأخذ الدية كاملة، وإذا قُتِلت الزوجة فالزوج الذي هو الرجل يأخذ نصف الدية، ذكرت هذا فقط من باب التنزل مع المعترض، وإلا فالإسلام قد أعطى كلا من الرجل والمرأة حقه بالعدل.

هذا ديننا وهذه حجتنا وهذه أدلتنا وهذا ردنا وهذه أحكام ديننا المبنية على العلم والحكمة والعدل، فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنا تصرفون.

الحجاب وانقلاب الموازين وانتكاس الفطرة

الحمد لله القائل: ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [سورة المائدة:٥٠] أما بعد...

فمما اتفقت عليه الكتب السماوية مشروعية الحجاب للمرأة، ولسنا بحاجة إلى ذكر الحكمة في ذلك وأن المرأة فتنة، وأن حاجة الرجال في النساء، لأن من العبث أن نقول السماء فوقنا والأرض تحتنا، وقد كانت النساء سواء المسلمة أو غير المسلمة، تلبس الحجاب، وتفتخر به وتعتبره سترا ومكرمة، ورمزا للحياء والأدب، حتى ترك اليهود والنصارى ما كان باقيا من دينهم المحرف، وما زال النصارى إلى اليوم يصورون مريم عليها السلام وهي محجبة عدا الوجه والكفين وفي سورة القصص قوله تعالى عن موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ﴾ [سورة القصص:٢٣]، ثم قال تعالى: ﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ﴾[سورة القصص:٢٥].

حجاب المرأة في التوراة:

ففي سفر التكوين عن (رفقة): أنها رفعت عينيها فرأت إسحاق، فنزلت عن الجمل وقالت للعبد: من هذا الرجل الماشي في الحقل للقائي، فقال العبد: هو سيدي، فأخذت البرقع وتغطت.

وفى هذه الآية يقول القس (وليم مارش): "كانت العروس في الشرق تُزف على زوجها محجبة الجسد كله وكان برقعها حينئذ أحمر والبرقع العادي أي في غير أيام الزفاف أزرق أو أبيض".

وفي سفر أشعياء نجد أن الله سيعاقب بنات صهيون على تبرجهن والمباهاة برنين خلاخيلهن. بأن ينزع عنهن: زينة الخلاخيل والضفائر والأهلة والحلق والأساور والبراقع والعصائب.

حجاب المرأة في الإنجيل:

جاء في رسالة بولس إلى أهل كورنثوس: وأما كل امرأة تصلي أو تتنبا ورأسها غير مغطى فتشين رأسها لأنها والمحلوقة شيء واحد بعينه... إذ المرأة إن كانت لا تتغطى فليقص شعرها وإن كان قبيحا بالمرأة أن تقص أو تحلق (فلتغط) يقول الآب (أنطونيوس فكرى): "عدم تغطية المرأة لرأسها متشبهة بالرجال إعلان عن عدم اعتزازها بجنسها كامرأة"، ويقول في حلق شعر المرأة: "إنه شيء غير مقبول... وإن

كان هذا قبيحًا للمرأة (فالشعر الطويل هو جمال المرأة) فلتغط شعرها" ويقول: "شعر المرأة قد أعطى لها كغطاء طبيعي تغطى به رأسها، شعر المرأة هو جمالها لذلك يجب تغطيته حين تقف أمام الله" وفى رسالة بولس إلى أهل تيموثاس. جاء: إن النساء يزين ذواتهن بلباس الحشمة مع ورع وتعقل لا بضفائر أو ذهب أو لآلئ أو ملابس كثيرة الثمن... بل كما يليق بنساء متعاهدات بتقوى الله بأعمال صالحة.

ثم جاء هذا الزمان الذي انقلبت فيه الموازين وانتكست الفطر عند الكثير إلا من رحم الله، حتى صار الانتقاد ليس للعارية ولكن للمحجبة وهذا من العجائب والغرائب والمصائب، وزواج الرجل بالرجل صار مستساغا عند من انتكست فطرهم، وصداقة الرجل بالمرأة أو المرأتين هذا مقبول عند أولئك، لكن أن يتزوج الرجل امرأتين زواجا شرعيا ويوفر لكل زوجة احتياجاتها، ويفتح بيتين ويعدل بين الزوجتين، ويكون له أولاد منهما، هذا لا يجوز وقد يسجن ويعاقب، والملحد اليوم متحضر والموحد متخلف، تالله هذا هو الزمان الذي قال عنه النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلِ بِقَبْرِ الرَّجُلِ، فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ» رواه البخاري ومسلم.

لا شك يجب على أهل الحق والتوحيد والعفاف أن يكونوا أقوى من أهل الباطل والانحراف، قال الله تعالى ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [سورة البقرة:٢٥١] والمصيبة الكبرى اليوم، أن تأتي المرأة من الغرب إلى البلاد الإسلامية عارية رافعة رأسها، وفي الوقت نفسه تخلع بعض

المسلمات الحجاب أول ما تصعد الطائرة، أثناء سفرها إلى الغرب، ويظهر الملحد أمام الشاشة بكل وقاحة ليفتخر بإلحاده، بينما ترى بعض ضعاف النفوس يكتم إيمانه، لماذا هذه الهزيمة النفسية عند البعض؟

ولأجل من؟

وأمام من؟

إذا وصل البعض إلى هذه الدرجة، هنا فعلا نجح العدو في قلب الحقائق وقلب الموازين.

أيها الموحد أيها العفيف أيتها المحجبة أيتها العفيفة أنتم النبلاء أنتم الكرماء أنتم النجباء، فلا تنحنوا إلا لله ولا تركعوا إلا لله ولا تخضعوا إلا لله ولا تخشوا إلا الله. ولم يكن المال والملك والغنى هو المعيار في يوم ما إلا عند ضعاف النفوس، ولو دامت لغيرك ما وصلت إليك، قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾[سورة آل عمران:١٤٠] لقد ظل اليهود ما يقارب من ألفي سنة، وهم مشردون بدون دولة، في الوقت الذي كان المسلمون يسيطرون على مشرقها ومغربها، واليوم صار لليهود دولة، بينما أمة ملياري مسلم تمر اليوم بجهد وشدة، (وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ) والعاقبة للمتقين، آمنا بذلك وصدقنا. فيا أيتها الغالية لا تلتفتي إلى قول غربي أو تغريبي، ولا إلى قول فاجر أو ساقط أو منحرف، لا تقدمي زبالة أذهان البشر على كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، واجعلي رضا الله نصب عينيك، قال الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ

مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[سورة المنافقون:٨].

ورددي مخاطبة ربك:

فليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضى والأنامُ غضابُ
وليت الذي بيني وبينك عامرٌ ... وبيني وبينَ العالمينَ خرابُ
إذا صح منكَ الودُّ فالكلُّ هيِّنٌ ... وكلُّ الذّي فوقَ الترابِ ترابُ

قال الدميري في كتابه الفذ "حياة الحيوان" إنما يصيد الكلب الغزالة لأنها تهتم به وتكرر التفاتها إليه، ولو استمرت في سيرها بدون التفات إلى الكلب ما أدركها ولا قدر على صيدها.

عن عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَباحٍ، قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عبَّاسٍ: أَلَا أريك امْرَ-أَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ، أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ، وَ-إِنِّي أَتكشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي. قَالَ: «إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ». فَقَالَتْ: أَ-صبِرُ. فَقَالَتْ: إِنِّي أَتكشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ لَا أتكشَّفَ. فَدَعَا لَهَا. رواه البخاري ومسلم.

سمعت مقطعا لشخص حضر حادث سير، قال فوقفت على امرأة لا يُرى منها شيء، كانت تتنفس بصعوبة حاولت أن أكشف عن وجهها مرارا، وهي ترفض، ثم قالت لي أتركني ألقى الله على هذا الحجاب. وأخرى أمريكية مسلمة تدرس الرياضيات في إحدى الجامعات الأمريكية عليها حجاب يستر جميع بدنها، لفتت انتباه طالب ملحد يضرب به المثل في الجامعة في الذكاء، يدرس في قسم

الرياضيات، عندما رآها بهذا الحجاب وبهذا الذكاء وفي الصيف وفي أمريكا، قرر دراسة الإسلام، ثم أصبح بعد ذلك من كبار الدعاة إلى الإسلام.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [سورة الأحزاب:٥٩]، وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [سورة الأحزاب:٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [سورة النور:٣١].

عن صفية بنت شيبة أن عائشة رضي الله عنها كانت تقول: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ أخذن أُزُرَهن (نوع من الثياب) فشققنها من قبل الحواشي فاختمرن بها . رواه البخاري، وأبو داود بلفظ: «يرحم الله نساء المهاجرات الأول لما أنزل الله وليضربن بخمرهن على جيوبهن شققن أكثف مروطهن (نوع من الثياب) فاختمرن بها».

العالم اليوم يتوجه لإفساد المرأة، ولم يبق أمامهم إلا المرأة المسلمة، وستبقى صامدة بإذن الله قوية ثابتة بعون الله. حجب الإسلام المرأة عن الرجال كي تبقى درةً غالية، وجوهرة مصونة، لا تعبث بها يد ماكرة، ولا تطولها عين خائنة ...

حجب الإسلام المرأة لتبقى عزيزةً نظيفة، عفيفةً شريفة، يتمناها التقي، ويخشاها الشقي!

ومن شرط الحجاب الشرعي أن يكون اللّباس فضفاضاً لا يصفّ، أي لا يكون

ضيقاً يصف جسد المرأة بل يكون واسعاً ساترا، وكذلك أن لا يكون شفافاً يُرى من خلاله جسد المرأة ومفاتنها، وأن لا يكون لباس زينة أو شهرة.

يَا دُرةً حفِظَتْ بالأَمْسِ غَالِيَةً ... وَالْيَوْمَ يبغُونَهَا لِلَّهْوِ وَاللَّعِبِ
يَا حُرةً قَدْ أَرَادُوا جَعْلَهَا أَمَةً ... غَربِيَّةَ العَقْلِ لَكِنَّ اسْمَهَا عَرِبِي
عَهْدُ السُّجُودِ لفِكْرِ الْغَرْبِ قَدْ ذَهَبَتْ ... أَيامُهُ فَاسْجُدِي لِلَّهِ وَاْقتَرِبِي
فَلتَحْذَرِي مِنْ دُعَاةٍ لا ضَمِيرَ لَهُم ... مِن كُلِّ مُستَغْرِبٍ فِي فِكْرِهِ خَرِبِ
وَلاُ تبَالِي بِمَا يُلْقُون مِنْ شُبَهٍ ... وعِنْدَكِ العقْلُ إِنْ تَدْعِيهِ يْستَجِبِ
صُونِي جَمَالَكِ صُونِي الْعِرْضَ لا تهِني ... وَصَابِرِي وَاْصبِرِي لِلَّهِ وَاْحَتِسِبِي
إِنَّ الحيَاء مِنَ الْإِيمَانِ فَاتَّخِذِي ... منْهُ حُليَّكِ يَا أُختَاهُ وَاْحتجِبِي
تَذَكَّرِي الْوَرْدَةَ الْبَيْضَاءَ يَانِعَةً ... يفُوحِ منْهَا الشَّذَا يْشتَمُّ عَنْ كَثَبِ
حَتى إِذا اْبتُذِلَتْ مَاتَتْ نَضَارَتُهَا ... وَأُلِقيَتْ كَالْقَذَى مَا فِيهِ مِنْ رَغبِ

ومما قيل في المرأة التي من أعظم صفاتها الحياء والحجاب والعفاف والأدب:

❋ تزدادُ المرأةُ جمالاً عندما يزداد رأسها انخفاضاً، تزداد المرأة جمالاً كلما ازدادت حياءً وأدبا.

❋ إن الحياء في المرأة، هو الذي يشد الكثيرين من الرجال الأسوياء.

❋ إن انجذاب الرجل للمرأة تحكمه علاقةٌ طرديةٌ بحيائها، فكلما زاد حياءُ المرأةِ وعفتها زاد انجذاب الرجل وإعجابه بها.

❋ الرجولة أخلاق قبل أن تكون ألقاب، والأنوثة حياء قبل أن تكون أزياء.

❋ المرأة مخلوق عظيم وكريم إذا عرفت قدر دينها وقدر نفسها. المرأة كالبحر مطيعة لمن يقوى عليها، جبارة على من يخشاها.

❋ قلب المرأة لؤلؤة تحتاج إلى صياد ماهر.

❋ المرأة كالعشب الناعم لا تنكسر أمام العواصف، بل تنثني أمام النسيم.

❋ يكاد حياء المرأة وأدبها وحجابها أن يكون أشد جاذبية من جمالها. إنما الفخر لعقل امرأة ثابت.. وحياء، وعفاف، وأدب.

❋ الحياءُ حسَنٌ وفي النّسَاءِ أَحْسَنُ.

❋ مَا عَاقَبَ اللهُ قَلب أنثى بأَشدَّ من أَن يَسلُب منها الحيَاء والحجاب والأدب.

❋ الوردة التي يشمها الكثيرون تفقد عبيرها.

❋ جمال بلا حياء وردة بلا عطر.

❋ الحياء يضبط سلوك الفتاة التي تحب أن تكون لها مكانه مميزة.

❋ العفة والحياء والحجاب أساس واحترام كل مرأة.

❋ جمال حياة المرأة هو الحياء.

❋ ينظر الناس إلى حياء المرأة قبل جمالها.

❋ بالحياء تكونين كالكنز الثمين.

❋ المرأة زينتها الحياء، ومن صفات الله الحياء.

وقد أخبر الله عز وجل أن من صفات المجرمين في الدنيا السخرية بالمؤمنين، وأخبر أن المؤمنين سيسخرون منهم في الآخرة، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ۝٢٩ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ۝٣٠ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ

ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة المطففين:٢٩-٣٦].

وقال الله تعالى عن أهل النار: ﴿قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾ [سورة المؤمنون:١٠٨-١١١]، وقال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [سورة البقرة:٢١٢] رضينا بما رضي الله لنا، رضينا بقسمة الله، رضينا أن تكون لنا الحياة الأبدية، ولغيرنا الحياة المنغصة بالمكدرات، والزائلة.

وقد ذم الله من جعل فتنة الناس وأذاهم كعذاب الله، فيترك طاعة الله لذلك، كما يترك المؤمن المعصية خوفا من عذاب الله، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [سورة العنكبوت:١٠].

وقد أخبر الله تعالى أنه لا بد من الابتلاء بأهل الباطل في الدنيا، قال الله تعالى: ﴿۞لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [سورة آل عمران:١٨٦]، وقال تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا

ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ۝٤﴾ [سورة العنكبوت:١-٤].

عَنْ خَبَّابِ بْنِ الْأَرَتِّ قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا ؟ قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ، فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ».

صرنا نتقدم خطوات في الدنيا بينما نتأخر مراحل في الدين حتى نكاد أن نتجاوز عصر أبي جهل، والله عز وجل إنما خلقنا لأجل الدين وجعل عمارة الأرض تبعا لذلك.

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بتشبه بعض هذه الأمة باليهود والنصارى، حتى لو دخلو جحر ضب لدخلوه، مع أن جحر الضب من أضيق الجحور وأنتنها، قال النَّبِيِّ ﷺ: «لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا شِبْرًا، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى ؟ قَالَ: «فَمَنْ» رواه البخاري ومسلم.

هذا ما يسر الله كتابته والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا وصلى الله وسلم

وبارك على من أرسله الله رحمة للعالمين وحجة على الخلق أجمعين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

هل القرآن أمر بضرب المرأة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمة للعالمين وحجة على الخلق أجمعين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد...

فإن من شبه أعداء الإسلام التي ملأوا بها الأرض ضجيجاً وزايدوا عليها قولهم هناك آية في القرآن تأمر بضرب المرأة وهي الآية رقم (٣٤) في سورة النساء: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [سورة النساء:٣٤].

والجواب عن هذه الشبهة: ليس الضرب في الآية كما تفهمون ولو كان المراد الضرب بالعصا أو بغيرها كما تفهمون لقال كما في الآية الأخرى في حد القذف: ﴿فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً﴾ [سورة النور:٤]، وكما في الحديث "لا يُجلَد أحد فوق عشرة أسواط إلا في حد من حدود الله " هذا هو الجلد ولو كان المراد أن يضم أصابعه لوكزها بقوته بيده لقال كما في قصة موسى: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [سورة القصص:١٥]، وما كان في الوجه يسمى اللطم واللطم في الوجه قد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم أن يُضرَبَ أحد على وجهه فكل هذا غير مراد وإنما هذه الآية كقوله تعالى عن أيوب عليه السلام: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾ [سورة ص:٤٤]، وكان قد غضب منها في حال مرضه وتوعد أن يضربها مائة ضربة، وكانت امرأة

صالحة، والمرأة ضعيفة فأفتاه الله إبرارا بيمينه أن يأخذ عثكالا من النخل فيه مائة شمراخ ويضعه عليها، وفي سورة النور: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [سورة النور:٣١]، اي: يضعن الحجاب، والرجل في الإسلام هو المسؤول عن أولاده وأهله ولا يذهب إلى القضاء للشكوى بهم إلا عند عجزه ولهذا يجب عليه أن ينفق عليهم حتى بعد البلوغ ويزوجهم طالما هو ميسور وهم معسرون، وإذا تجاوز الزوج الحدود فالقضاء يقوم بتأديبه، ولهذا قال بعض العلماء يضربها بالسواك وكم والله أوقفني هذا الحديث وسنده جيد كما في مجمع الزوائد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لولا خشية القَوَد لأوجعتكِ بهذا السواك" والقود هو القصاص وهذا الأمر الذي ذكره الله لا يسلم منه من ابتلوا بهذا النوع من النساء التي لا تنفع معها الحلول السابقة المذكورة في الآية، فيحتاج إلى زجرها وهذا لا يسلم منه أحد لا في الشرق ولا في الغرب فهناك من النساء من فيها شر عظيم.

وقد سمعنا وسمع غيرنا أن بعض النساء قتلت زوجها وهو نائم، ومن النساء من أدخلت الرجال إلى فراش زوجها، ومن النساء من تخون زوجها في ماله. وفي هذه الأيام وقعت قصة عجيبة في سوريا امرأة تآمرت مع عشيقها على قتل زوجها بإعطائه السم على جرعات وكان يعاني من مرض في الرئة فمات ولم تعرف الداخلية ولا الطب السبب الحقيقي لوفاته وبناء على قرار الداخلية والفريق الطبي تم دفنه إلا أن الله كان لهما بالمرصاد، فإن أخا الميت كانت عنده بعض الخيوط فبحث ووقف على بعض المراسلات بينها وبين عشيقها، فبلغ الداخلية، وفعلا وبعد إلقاء

القبض عليهما اعترفا بالجريمة.

لا شك غالب النساء ليس كذلك، بل يغلب على المرأة العاطفة والرقة والضعف والرحمة والمرأة هي الأم والبنت والزوجة والأخت.

والمرأة سريعة الكسر والمرأة ضعيفة (والنساء شقائق الرجال) كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم.

وقد شبه الرسول صلى الله عليه وسلم النساء بالقوارير وأمر الرجال بالرفق بهن قال صلى الله عليه وسلم (رفقاً بالقوارير) وإنما أردت أن أذكر كل ما يتعلق بالموضوع حتى تتضح الصورة كاملة، بل الجميع متفق على أن هناك صنف كبير من الرجال والنساء يحتاج إلى تأديب، وهناك مقطع في اليوتيوب للشرطة الأمريكية وهي تطارد امرأة وعندما أوقفتها وجه أحد أفراد الشرطة لها السلاح ثم أنزلوها بالقوة وألقوها على الأرض وقاموا بوضع القيد في يديها ولا يعني هذا الإقرار لهم بتعاملهم مع المرأة بهذه الطريقة بل كان يكفي إلقاء القبض عليها ثم محاكمتها، وإنما الشاهد أن هناك صنف من الرجال والنساء إن تُرِكوا فسدوا وأفسدوا، وإنما أولئك يقولون يفارقها أو يرفع أمرها للقضاء، والإسلام يقول له زجرها وإصلاحها في بيت الزوجية بدون تعد وتجاوز، فإذا قالوا إذا أبحتم هذا للزوج فأبيحوه للمرأة والجواب أن هذا غير ممكن في الواقع، وإنما لها مفارقته أو رفع أمرها للقضاء، وقد ذكر الله نشوز الزوج فقال: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ

وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [سورة النساء:١٢٨]، ولا تستقيم الحياة إلا بوجود إدارة حكيمة للرجل في بيته وإدارة حكيمة للمدير في مؤسسته وإدارة حكيمة لنظام الدولة، وإلا فسدت الأمور ثم قوله تعالى (فاضربوهن) إنما هو آخر الحلول ولهذا ذكر قبله الوعظ تعظها بالحسنى وهذا هو العلاج الذي بدأ الله به فلا تعاقب قبل البيان والنصح والوعظ وإذا أحسنه فلن يحتاج إلى الذي بعده، والمرأة عاطفية وإذا لم ينفع فالهجر في الفراش، أساليب رفيعة ولعل من الحِكم والله أعلم لا تجعل الأمر يخرج خارج غرفة النوم، في الفراش، وهذا أشد من الأول وهو جدير بترك ترفعها عن زوجها لأن النشوز هو الترفع كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ﴾ [سورة المجادلة:١١]، أي ارتفعوا فهو لمن تستحق الزجر ولم تنفع معها الحلول السابقة، وهذا نادر ثم هو كما يقولون اليوم أمر رمزي القصد منه المحافظة على تماسك الأسرة وليس القصد منه إيلامها به، ولهذا عقلا هل الحل الأمثل طلاقها وتدمير الأسرة أم استعمال مثل هذه الأساليب عند الحاجة إليها وبقصد العلاج، والإسلام حريص على تماسك الأسرة، ولهذا انظروا إلى هذا الكلام الحكيم: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ [سورة النساء:٣٤]، أي: لا تترك الأمر حتى يستفحل بل إذا شعرت بالخلل داخل بيتك فسارع إلى معالجته، والرسول صلى الله عليه وسلم قال": «لا تضربوا إماء الله» وقال في الذين يضربون نساءهم "ليسوا أولئك بخياركم "وبما أن الغالب على الكثير من الرجال في الماضي والحاضر في الشرق والغرب هو التعدي على النساء

بالضرب.

آخر إحصائية للجمعية البرلمانية للمجلس الأوروبي، وال بي بي سي، تقول في بريطانيا ٧٧٪ من الفتيات يتعرضن للضرب لأسباب غير واضحة، وفي أمريكا ٧٠٪ من الفتيات يتعرضن للضرب المبرح، وليس المراد أن نسبة ٧٠٪ يضربن في أمريكا وإنما المراد أن من يضرب من النساء النسبة الكبيرة تضرب بهذه الطريقة، غير إحصائيات القتل للفتيات من زوجها أو صديقها التي وصلت في امريكا سنويا إلى أربعة آلاف. فالآية جاءت تقول للأزواج لا تضربوا النساء حتى ولو ترفعن عليكم وإنما عليكم بوعظهن ونصحهن وهجرهن في المضاجع وهما كفيلان بإصلاحها فإذا لم ينفع وهذا نادر واستمر نشوزها فلكم حينئذ استعمال السواك ونحوه والنبي صلى الله عليه وسلم قد قال: «أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خيْرًا؛ فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٍ عِنْدَكُمْ، لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غيْرَ ذَلِكَ، إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بَفِاحِشَةٍ مبينَةٍ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضاجِعِ، وَاضْرِبُوهُنَّ ضَربًا غيْرَ مبَرِّحٍ، فَإِنْ أَطَعنكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سبيلًا، أَلَا إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حقًّا، وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حقًّا، فَأَمَّا حقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ: فَلَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ، وَلَا يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ، أَلَا وَحقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحسنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوتِهِنَّ، وَطَعامِهِنَّ».

فالأدلة جاءت تعالج مشكلة الضرب الموجودة والواقعة والمتأصلة في الرجال وهو ضرب المرأة لأدنى سبب ومن أول وهلة أو لأنها لم تصنع له طعاما أو لم تغسل

له ثيابا، بل أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالإحسان إليها حتى ذكر أن في إطعامها الطعام إلى فمها أجرا، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي» والله عز وجل يقول: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [سورة البقرة:٢٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [سورة النساء:١٩]، وقال ﷺ: «لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضي آخر» أي لا يبغض زوج زوجته إن كره منها عيبا سيجد فيها حسنا آخر، هكذا يغرس صلى الله عليه وسلم في الزوجين المحبة والرحمة والأمر لا يحتاج إلى كل هذا التوضيح لوضوحه لولا وجود من يزايد على مثل هذه الألفاظ والمعاني، ومع هذا البيان والوضوح سيظل البعض مصرا على رأيه أن القرآن يأمر بضرب المرأة، وهؤلاء لا يلتفت إليهم وإنما القصد الرد على شبههم وليعرف من لم يعرف حقيقة الأمر وهؤلاء لا يذكرون تتمة الآية وهو قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [سورة النساء:٣٤] فإن أطعنكم أي في المعروف فلا تظلموهن فإن الله العلي الكبير هو وليهن وهو منتقم ممن ظلمهن وبغى عليهن ولهذا ختم الآية مهددا ومتوعدا من يظلمهن بذكر هذين الاسمين (إن الله كان عليا كبيرا) قاتلكم الله أأنتم أرحم بهن وأحرص عليهن، أم الله؟

ولهذا الذي أُنزِل عليه القرآن لم يضرب امرأة قط بل أتمنى أن يتعلم الجميع من هذا الحديث كيف نتعامل مع أخطاء الزوجات: عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ، فَضَرَبَتِ الَّتِي النَّبِيُّ ﷺ فِي بَيْتِهَا يَدَ الْخَادِمِ، فَسَقَطَتِ الصَّحْفَةُ فَانْفَلَقَتْ، فَجَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ فِلَقَ الصَّحْفَةِ، ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ

الَّذِي كَانَ فِي الصَّحفَةِ، وَيقُولُ: «غارَتْ أُمُّكُمْ». ثُمَّ حبَسَ الْخادِمَ حَتَّى أُتِيَ بِصَحفَةٍ مِنْ عِنْدِ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا، فَدَفَعَ الصَّحفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى الَّتِي كُسِرَتْ صَحفَتُهَا، وَأَمسَكَ الْمَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ الَّتِي كَسَرَتْ.

وقد أوقفتني هذه القصة لبعض الأزواج الذين رزقهم الله صبرا واحتسابا أنه اكتشف بعد الزواج أن زوجته حامل يعني تزوجها وهي حامل من غيره ورأى من زوجته ندما وتوبة فكتم الأمر وعندما ولدت أخذه ولم يكلمها وكان هذا قبل صلاة الفجر وترك الناس حتى دخلوا في الصلاة ثم جاء ووضعه خلف الباب ودخل في الصلاة سمع الناس بكاءه وتركهم حتى تجمعوا حوله ثم جاء وقال مالكم قالوا لقيط قال أنا أكفله ورده إلى أمه لكن بهذه الطريقة بحيث لا يطعن أحد بعد ذلك في عرضها فرأى الرسول صلى الله عليه وسلم في المنام يبشره بأنه رفيقه في الجنة الله أكبر لأن هذا جزاء من كفل يتيما وقد قال صلى الله عليه وسلم من ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة. ولا عبرة بما يفعله المتجاوزون مع زوجاتهم هؤلاء ما وقفوا عند حدود الله وهولاء موجودون في الشرق والغرب.

مع أن بعض المعاصرين قال الضرب هنا هو المباعدة والهجر لها بحيث لا تراه في هذه المدة، واستدل ببعض الآيات كقوله تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ﴾ [سورة الحديد:١٣]* وكقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [سورة البقرة:٢٧٣]، أي: للتجارة.

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [سورة النساء:١٠١]، والضرب هنا السفر والمباعدة وقوله تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ

فِي ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدٗا﴾ [سورة الكهف:١١]، ﴿وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ﴾ [سورة إبراهيم:٢٥].

لكن هذا التفسير بعيد والذي دلت عليه النصوص الشرعية هو ما سبق بيانه، وعليه عامة المفسرين، وهذا رد مختصر على هذه الشبهة التي يزايد عليها أعداء الإسلام.

ثم أين هؤلاء المتباكين على المرأة، من ظلم المرأة المسلمة وانتهاك كرامتها في أكثر من دولة في العالم في فلسطين وفي بورما وفي غيرهما على مرأى ومسمع من العالم، الذي صار كالقرية الواحدة في عالم الاتصالات والمواصلات.

الحقيقة هم ليسوا حول ظلم المرأة وإنما قصدهم الطعن في الإسلام ونقول لهم كما قال الله: ﴿قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۚ﴾ [سورة آل عمران:١١٩]، وكما قال الله: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [سورة الصف:٨].

وقفات مع حديث لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة

* الحمد لله والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمة للعالمين وحجة على الخلق أجمعين وعلى آله وصحبه ومن تبعه محسنا إلى يوم الدين.

أما بعد:

* فإن الحق والباطل في صراع - ولن ينتهي هذا الصراع في سنة ولا في قرن ولن ينتهي بكتابة رد ولا مقال ولا كتاب بل هو إلى قيام الساعة قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ [سورة الفرقان:٢٠].

* ومن الأحاديث التي زايد عليها أهل الباطل: حديث: «لن يُفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة»(١) وقد بين كثير من أهل العلم:

- المعنى الصحيح لهذا الحديث.

- وردوا شبه أهل الباطل.

* إلا أن الوضع اليوم:

- ومع وجود وسائل التواصل الحديثة.

- التي استغلها أهل الباطل للطعن في الإسلام بأساليب وطرق وجهود ومكر لم يسبق له مثيل.

* يتطلب من المسلمين:

---

(١) صحيح البخاري (٤٤٢٥) عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أن يكون هناك خط دفاع أول من ذوي الكفاءات لا شغل لهم إلا الرد على أهل الباطل.

فحال أهل الباطل اليوم كما قال الله: ﴿بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سورة سبأ:٣٣].

* وقد كتبت هذه الوقفات، وهي خمس وقفات:

- لتكون مثالا لغيرها.

- وأن الباطل مثل البالونة تراها منتفخة إلا أن الذي نفخها هو الهواء وإلا هي فارغة.

- ولهذا أدنى ضربة أو خرق ولو بشوكة ينتهي أمرها ويزول انتفاخها قال تعالى: ﴿بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞ﴾ [سورة الأنبياء:١٨] .

تنبيهان

* وقبل ذكر الوقفات أنبه على أمرين هامين:

- الأمر الأول:

يقول تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [سورة الكهف:٢٩].

إن من الأخطاء التي يقع فيها بعض من يرد على أهل الباطل: عرض القضية التي يريد الدفاع عنها وكأنه وقضيته في قفص الاتهام لا أنه يدافع عن الحق ويبين الحق الذي إذا بينه بالعلم والحجة عرف الناس أن هذا هو الحق.

- الأمر الثاني:

يقول تعالى: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [سورة يونس:١٠٩].

البعض يريد منا اليوم أن نكون تبعا للغرب في كل صغير وكبير وكأنه ليس عندنا شرع الله الذي فيه كل خير، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [سورة المائدة:٥٠].

* ووالله لو تمسكنا به حقا: لعشنا في عزة وكرامة ورفعة وقوة وملك وسعادة في الدنيا والآخرة كما عاش أسلافنا في عزة وكرامة ورفعة وقوة وملك بلغ شرقها وغربها عندما اعتمدوا على الله وتمسكوا بشرعه.

* ولا مانع من أن يستفيد الناس من خبرات بعضهم البعض ومن معرفتهم وصناعاتهم فما زال الناس يستفيد بعضهم من بعض فيما ينفعهم، لكن البعض اليوم لم يبق إلا أن يقول لنا:

- أبيحوا اللواط كما أباحه الغرب.

-واعبدوا الأبقار والفئران.

- وتبركوا بالأصنام والصلبان.

- واتركوا بناتكم بعد الثامنة عشرة تذهب حيث تريد وتنام مع من تريد ...

وقد نادى بمثل هذا الكلام بعضهم، و«إنَّ مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى، إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت» صحيح البخاري (٣٤٨٤، ٦١٢٠) من حديث أبي مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنهُ.

الوقفة الأولى

❊ حديث: «لن يفلح قومٌ ولَّوا أمرهم امرأة» حديث صحيح، أخرجه البخاري، وهو أصح كتاب بعد كتاب الله(١).

❊ ونقول للذين يطعنون في صحيح البخاري لوجود هذا الحديث وأمثاله: مما لم يفهموا معناه أو فهموا معناه لكنه خالف أهواءهم، ستتبخر طعوناتكم كما تبخرت طعونات أسلافكم وسيبقى البخاري هو البخاري كالجبل تتكسر رؤوس التيوس على صخره: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [سورة الرعد:١٧].

---

(١) تقدم تخريجه.

الوقفة الثانية

* الحديث له سبب:

قال أبو بكرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: لما بلغ رسول الله ﷺ أنَّ أهلَ فارس قد ملَّكوا عليهم بنت كِسرى، قال: «لن يُفلحَ قومٌ، ولَّوا أمرهم امرأةً»(١).

قال الحافظ في فتح الباري شرح صحيح البخاري:

ومناسبة هذا الحديث للترجمة من جهة أنَّهُ تتمةُ قِصَّةِ كسرى الذي مزَّق كتاب النبي ﷺ فسلَّطَ الله عليه ابنهُ فقتله ثم قتل إخوته حتى أفضى الأمر بهم إلى تأمير المرأة فجرَّ ذلك إلى ذهاب ملكهم ومُزِّقوا كما دعا به النبي ﷺ ا.هـ(٢).

* ومع أن بعض العلماء قال: (هو خاص بقوم كسرى) وهذا من حيث المعنى صحيح -وهو أن يراد بالقوم قوم معينون-، بل في لغة العرب الواسعة قد يراد بالناس الواحد أو العدد القليل قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [سورة آل عمران:١٧٣]، فـ(الذي قال): هو شخص واحد و (الذين جمعوا الكيد -في الآية-): ليس كل الناس بل قريش ومن معها.

* لكني مع هذا سأتجاوز هذا القول إلى القول المشهور وهو: أن الحديث عام

---

(١) صحيح البخاري (٤٤٢٥).

(٢) "فتح الباري" لابن حجر (١٢٨/٨).

وهي الوقفة الثالثة حتى لا نترك لهم ثغرة.

الوقفة الثالثة

* هذا الحديث مثله مثل القواعد العامة وليس من العموم المطلق والفرق بينهما كبير فما من قاعدة إلا ولها شذوذ ومسائل تخرج عنها لكن النادر: لا حكم له ولا يقاس عليه أما العموم المطلق فهو: الذي لا يخرج عنه شيء، كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ قَدِيرٌ﴾(١).

وبسبب جهل من يتكلم في مثل هذه الأمور لا يعرفون الفرق بينهما.

(١) في تسع مواضع من القرآن: في [سورة البقرة: ٢٨٤]، [سورة آل عمران: ٢٩، ١٨٩]، [سورة المائدة: ١٧، ١٩، ٤٠]، [سورة الأنفال: ٤١]، [سورة التوبة: ٣٩]، [سورة الحشر: ٦].

الوقفة الرابعة

* الواقع يشهد لما دل عليه هذا الحديث.

* وأن فلاح الشعوب والأمم اليوم في الجانب:

- العسكري .
- والسياسي .
- والاقتصادي .

هو بسبب تولي الرجال لعامة مناصبها الهامة والحساسة ومشاركة النساء في ذلك تعد بالأصابع وهذا لا يخرم القاعدة والحديث كما مر وكل من يعارض الحديث يذكر عددا من النساء بنسبة هي أقل من (١٪).

مقارنة بنسبة الذكور خلال عشرات بل مئات بل آلاف السنين حتى مايكل هارت صاحب الكتاب الشهير العظماء مائة الذي ذكر فيه على حسب رأيه العظماء في تاريخ الأمم الماضية والحاضرة لم يذكر فيه إلا امرأتين من مائة شخصية يعني (٢٪).

شبهة والرد عليها

* ومن الأمثلة التي يعارض بها المعاصرون الحديث: استشهادهم بالمستشارة الألمانية، وهناك صورة للمستشارة الألمانية منتشرة في مواقع التواصل الاجتماعي وتحتها ثلاث جمل تبين تفنن أهل الباطل في عرض باطلهم وتفننهم في الطعن في حديث الرسول ﷺ هكذا كُتِبَ تحت الصورة:

- إما أن تكذب البخاري.
- وإما أن تقول ألمانيا دولة فاشلة.
- وإما أن تحلف على المصحف أن ميركل رجل ولعل الذي كتب هذا التعليق علماني عربي.

* ثم هؤلاء يقصرون معنى الفلاح على: الفلاح في الأمور المادية والفلاح في الدنيا.

الفلاح الحقيقي

❋ مع أن الفلاح هو: الفوز بالمطلوب والنجاة من المرهوب في الدنيا والآخرة وأعظم الفوز وأعظم الفلاح الفوز والفلاح في دين الله، قال الله تعالى فيمن ليس لهم هم إلا الدنيا: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [سورة الأعراف:١٧٩] .

وقد أعجبني هذا الوصف لواقع الحكم اليوم في الغرب: الواقع المشاهد:

✓ أن المسؤولية جماعية.

✓ والولاية مشتركة.

❋ تقوم بأعبائها مجموعة من المؤسسات والأجهزة.

✓ والمرأة إنما تحمل جزءا من المسؤولية مع من يحملها.

❋ لهذا نعلم أن حكم:

✓ المستشارة الألمانية ميركل.

✓ أو رئيسة الوزراء البريطانية تيريزا ماي أو غيرهن من النساء في العالم:

عند التحقيق والتأمل:

ليس حكم امرأة في شعب بل حكم مؤسسات دولة وتنظيم محكم وإن كانت في رأس الهرم امرأة.

❋ ونقول لمن يعارض الحديث بذكر هذا النادر:

قد سبقكم القرآن والرسول ﷺ إلى ذكر هذا النادر الذي لا يقاس عليه غيره

ولا يخرم الحديث والقاعدة:

✓ فقد ذكر القرآن قصة بلقيس ملكة سبأ.

✓ وسبقكم النبي ﷺ فقال: «كمل من الرجل كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»(١).

* إذن معنى الحديث هو إرشاد الرجال إذا أرادوا الفلاح والنجاح أن يقوموا هم بالأعمال الهامة والحساسة والشاقة.

---

(١) صحيح البخاري (٣٤١١، ٣٤٣٣، ٣٧٦٩، ٥٤١٨)، صحيح مسلم (٢٤٣١) من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الوقفة الخامسة

إن حث الإسلام الرجال على تولي الأعمال الهامة والحساسة ليس هضما للمرأة كما يزعمون ويفترون وقد قال رسول الله ﷺ: «النساء شقائق الرجال»[(١)].

وقد استشار الرسول ﷺ أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا في قضية كانت من أهم القضايا وأعضلها في تاريخ الإسلام وعمل برأيها وذلك في صلح الحديبية.

ومن أراد التفاصيل فليرجع إلى صحيح البخاري في قصة الحديبية[(٢)] لأني حريص على الاختصار في هذه المقدمات ما استطعت.

❋ وإنما حث الإسلام الرجال على تولي الأعمال الهامة:

لما يترتب على تولي النساء للمناصب العامة ولعامة المناصب من المفاسد العامة والخاصة.

❋ وقد شهدت ورأيت في دولة أوروبية عجز النساء في حل إشكال في قسم الولادة بل استدعي الطبيب على الفور للتدخل لإنقاذ الأم وطفلها.

❋ وكون المرأة عاطفية -وهذه الصفة أيضا غالبية وإلا يوجد من النساء من ليست عاطفية-، فكونها تغلب عليها العاطفة ذلك لتتكامل الحياة مع قوة الرجل

---

(١) سنن أبي داوُد (٢٣٦) سنن الترمذي (١١٣) من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وهو في سلسلة الأحاديث الصحيحة للعلامة الألباني (٢٨٦٣).

(٢) صحيح البخاري (٢٧٣١).

وصلابته وعلاقة المرأة بالرجل تكاملية لا عددية ونسبية إضافة إلى ما يعتري غالب النساء من حمل وولادة ورضاعة وحضانة.

❋ وصفة العاطفة في المرأة صفة مهمة لرعاية أطفالها وهو أمر يعجز عنه الرجال ولهذا عند الطلاق يحكم للمرأة بالحضانة على أطفالها على تفاصيل في ذلك موجودة في كتب الفقه.

وقفات مع حديث" فإني أريتكن أكثر أهل النار"

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمة للعالمين وحجة على الخلق أجمعين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

أما بعد...

كعادة أهل الباطل يأخذون جزءًا من النص أو يأخذون بعض النصوص من القرآن والسنة ثم يزايدون عليها لتشويه صورة الإسلام، ومن الأحاديث التي زايد عليها أهل الباطل هذا الحديث، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَضْحى أَوْ فِطْرٍ إِلَى المصلى، فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ، فقَالَ: «يا مَعشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ؛ فإني أريتُكُنَّ أَكثَرَ أَهْلِ النَّارِ فقُلْنَ: وبِمَ يا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «تُكثِرْنَ اللَّعْنَ، وتَكفُرْنَ الْعشِيرَ».

قالوا كيف تكون النساء أكثر من الرجال في النار، أين المجرمون أين الظلمة، أليس هؤلاء أولى بدخول النار من المرأة المسكينة إلى آخر تلك الشنشنة، ولي في الرد على هذه الاعتراضات، وقفات، وقبل الشروع في الوقفات، أنبه على نقطة مهمة، بها يُفهم الجزء الكبير من الحديث، ألا وهي أن ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث من أن النساء أكثر أهل النار، والمراد النار التي يُعذب فيها عصاة الموحدين، لأن هذه معاصي كما هو معلوم، ذكر النبي صلى الله عليه وسلم السبب، وهو إطلاق اللسان في اللعن وغيره، وقد تكاثرت النصوص في أن اللسان من أعظم الأسباب وأكثرها لدخول الناس النار، قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم لمعاذ بعد وصايا عدة: «أَلَا أُخبرك بِمَلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟» قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ. فَأَخَذ بِلِسَانِهِ قَالَ: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذا». فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فقَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ -أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ- إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ» رواه الترمذي وغيره وهو حديث صحيح. وقال ﷺ: «وَلَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ» رواه البخاري ومسلم. لأن اللعن دعاء بالطرد من رحمة الله.

وقال ﷺ: «إِنَّ الْعبْدَ لَيتكَلَّم بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يلقي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّه بِها دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعبْدَ لَيتكَلَّم بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلقي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهنَّمَ».

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: مَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: «التَّقْوَى وَحُسْنُ الْخُلُقِ»، وسئل: مَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّارَ؟ قَالَ: «الْأَجْوَفَانِ: الْفَمُ وَالْفَرْجُ».

الوقفة الأولى:

عندما تقرأ كلام هؤلاء تظن لأول وهلة أنهم أرحم الناس بالمرأة، لكن الحقيقة أنهم ليسوا حول المرأة وإنما الهدف الحقيقي هو الطعن في الإسلام، وإلا فأين هم من ظلم المرأة بغير حق في السجون اليهودية وفي السجون العراقية (الأمريكية) أين هم من ظلم المرأة في ميانمار (بورما) والقائمة تطول، فما أكثر النساء المظلومات اليوم في الأرض بغير حق، ولم يجدن من ينصفهن وينصرهن وينقذهن، فهؤلاء

يريدون فقط أن تترك المرأة حياءها وأدبها ودينها وعفتها ليستمتع بها من هب ودب، وليس هناك أحد أرحم بالمرأة من ربها وخالقها الذي أمرها بكل خير ونهاها عن كل شر لتسعد في الدنيا والآخرة.

الوقفة الثانية:

النبي ﷺ لم يقل أكثر النساء في النار، وإنما قال رأيتكن أكثر أهل النار، وبينهما فرق كبير وكما توجد نار توجد جنة وهذه هي الوقفة الثالثة.

الوقفة الثالثة:

أهل الباطل لا يذكرون النصوص الأخرى التي تدل على أن النساء أيضا أكثر أهل الجنة عَنْ مُحَمَّد بن سيرين قَالَ: إِمَّا تفاخَرُوا، وَإِمَّا تَذَاكَرُوا: الرِّجَالُ فِي الْجَنَّةِ أَكْثَرُ أَمِ النسَاءُ؟ فَقَالَ أَبُو هُريرَةَ: أَوَلَمْ يقُلْ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرة تَدْخُلُ الْجَنةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَى أَضْوَأ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ في السَّمَاءِ، لِكُلِّ امْرِئٍ منْهُمْ زَوْجَتَانِ اثْنَتَانِ، يُرَى مُخ سُوقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ، وَمَا في الْجَنَّةِ أَعْزَبُ» رواه مسلم.

وانظروا إلى أهل العلم كيف يذكرون كل الأدلة في الموضوع، ثم يذكرون أنها متفقة وإن ظن البعض تعارضها في الظاهر، قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في الفتح واستدل أبو هريرة بهذا الحديث على أن النساء في الجنة أكثر من الرجال كما أخرجه مسلم من طريق ابن سيرين عنه، وهو واضح لكن يعارضه قوله صلى الله عليه وسلم في حديث الكسوف المتقدم «رأيتكن أكثر أهل النار» ويجاب بأنه لا

يلزم من أكثريتهن في النار نفي أكثريتهن في الجنة. وقد وفق القرطبي بين النصين بأن النساء يكن أكثر أهل النار قبل الشفاعة وخروج عصاة الموحدين من النار، فإذا خرجوا منها بشفاعة الشافعين ورحمة أرحم الراحمين كن أكثر أهل الجنة. وهذا وجه آخر من أوجه الجمع الصحيح، وعلى هذا الوجه يُحمل الحديث الذي فيه أن النساء أقل ساكني الجنة، ويكون هذا بعد الحساب، ودخول عصاة الموحدين النار، فإذا هُذِبوا ونقوا، دخلوا الجنة، فتكون النساء بعد ذلك أكثر أهل الجنة، وكون النساء أكثر من الرجال في الجنة هذا لا شك فيه للحديث «لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ» سواء كان المراد نساء الدنيا، أو الحور العين، وهما قولان لأهل العلم في معنى الحديث، والعلم عند الله.

الوقفة الرابعة:

أهل الباطل لا يذكرون أن النساء أكثر من الرجال في الدنيا وفي الجنة وفي النار، عَنْ أَنَس بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: أَلَا أُحدثُكُمْ حديثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لَا يُحدثُكُمْ أَحَدٌ بَعْدِي سَمِعَهُ مِنْهُ: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، ويَظْهَرَ الْجَهْلُ، وَيفشُوَ الزنى، ويُشْرَبَ الْخَمْرُ، وَيَذْهَبَ الرِّجَالُ، وَتبقى النسَاءُ، حتى يَكُونَ لِخَمسِينَ امْرَأَةً قيِّمٌ وَاحِدٌ». ففي آخر الزمان، يقل الرجال بحيث يكون في البيت الواحد رجل واحد، وخمسون امرأة.

الوقفة الخامسة:

أهل الباطل لا يذكرون الأدلة التي فيها مكانة المرأة في الإسلام وإكرام المرأة في

الإسلام، لأن قصدهم الأكبر هو تشويه صورة الإسلام، هدفهم هو الحيلولة بين المرأة وبين الإسلام، ولأنهم لا يسعون إلى الإصلاح والصلاح وإنما يسعون إلى الإفساد والفساد، قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [سورة البقرة:٢٢٨] .

وعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّه، مَنْ أَحَقُّ النَّاس بِحسْنِ الصَّحبَةِ؟ قَالَ: «أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أَبُوكَ، ثُمَّ أَدنَاكَ أَدنَاكَ»، وقال ﷺ: «إِنَّمَا النسَاءُ شقَائِقُ الرِّجَالِ».

الوقفة السادسة:

أهل الباطل لا يذكرون ولا يلتفتون إلى مقصد الشرع من هذا الوعيد، وهو حرص الإسلام على تماسك الأسرة وقيام كل من الزوج والزوجة بما يجب عليه من قول أو فعل، لتعيش اللبنة الأولى للمجتمع، في أجواء من المحبة والرحمة والسعادة والإحسان، وكما أن المرأة تقوم بعمل عظيم في البيت فالرجل يقوم بعمل أعظم فيخرج من بيته في أول النهار ويعود في آخره ليوفر لها ولأولاده ما يحتاجون إليه، فتراه في صراع مع الناس ومع العمل حتى يوفر لأهله حياة أفضل، وهو في جهاد إن استحضر النية، (مر على النبي صلى الله عليه وسلم رجلٌ فرأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلده ونشاطه فقالوا: يا رسول الله لو كان هذا في سبيل الله، فقال صلى الله عليه وسلم: «إن كان خرج يسعى على أولاده الصغار فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين، فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله" الطبراني. صحيح

الترغيب (١٦٩٢).

ثم يعود في آخر النهار ليجد السب والشتم بدون حق، أليس هذا من الظلم، وكما يوجد ظلم من بعض الرجال يوجد ظلم من بعض النساء، صحيح الإجرام في الرجال أكثر بكثير من النساء بل لا مقارنة، إلا أن النساء عندهن تساهل كثير في عمل المعاصي والمنكرات إلا من رحم الله، عَنْ أم عطية رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، قالت: أخذ علينا النبي ﷺ عند البيعة أن لا ننوح، فما وفَتْ منَّا امرأة غير خمس نسوة: أم سُليم، وأم العلاء، وابنة أبي سبرة (امرأة معاذ)، وامرأتين.

الوقفة السابعة:

المرأة المسلمة تزيدها هذه الأحاديث حرصا واستقامة وعملا بالإسلام، وتكون تلك الأحاديث لغيرها فتنة وخسارة وبعدا قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [سورة الإسراء:٨٢].

الوقفة الثامنة:

أهل الباطل لا يذكرون أن هذه معاصي لا تخلد في النار، فالمرأة التي دخلت النار بسبب السب والشتم واللعن والإساءة إلى الزوج، لن تخلد في النار، لا يخلد في النار إلا من مات كافرا بالله بعد قيام الحجة عليه، وفي حديث الشفاعة الطويل، قال فيه صلى الله عليه وسلم: فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَلَكِنِ ائْتُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَبْدًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، فَيَأْتُونِي، فَأَنْطَلِقُ، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ لَهُ سَاجِدًا،

فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يُقَالُ لِي: ارْفَعْ مُحَمَّدُ وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدَ عَلَّمَنِيهَا، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ، ثُمَّ أَرْجِعُ، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعْ مُحَمَّدُ وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدَ عَلَّمَنِيهَا رَبِّي، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ، ثُمَّ أَرْجِعُ، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعْ مُحَمَّدُ، قُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدَ عَلَّمَنِيهَا، ثُمَّ أَشْفَعُ، فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ، ثُمَّ أَرْجِعُ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ القُرْآنُ، وَوَجَبَ عَلَيْهِ الخُلُودُ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مَا يَزِنُ مِنَ الخَيْرِ ذَرَّةً » رواه البخاري ومسلم.

الوقفة التاسعة:

أهل الباطل لا يذكرون الأدلة التي فيها الوعيد الشديد للرجال الذين يقعون في الظلم والقتل بغير حق.

قال النبي ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ» رواه البخاري ومسلم وقال الله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[سورة النساء:٩٣].

وقال النَّبيِّ ﷺ: «مَنْ قتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا» رواه البخاري، والمعاهد الكافر الذي بيننا وبينه عهد.

الوقفة العاشرة:

أهل الباطل لا يذكرون أن النبي ﷺ مبلغ عن العليم الحكيم الرحيم سبحانه وتعالى، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [سورة النساء:٤٠].

واقرأوا هذه القصة وهي في البخاري، لتعلموا شدة حرصه صلى الله عليه وسلم على دخول الناس الجنة ولتعلموا أنه أرحم الخلق بالخلق، والقصة مع واحد من ألد أعدائه، إنه رأس النفاق إنه الذي آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى في عرضه:

عن ابن عباس ☹، عن عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، أنه قال: لما مات عبد الله بن أبي ابن سلول دُعي له رسول الله ﷺ ليصلي عليه، فلما قام رسول الله ﷺ وثبت إليه، فقلت: يا رسول الله! أتصلي على ابن أُبي وقد قال يوم كذا وكذا: كذا وكذا -أُعَدِّدُ عليه قوله- فتبسم رسول الله ﷺ، وقال: «أخِّرْ عني يا عمر» فلما أكثرت عليه، قال: «إني خُيِّرتُ فاخترتُ، ولو أعلم أني إن زدتُ على السبعين فغُفِرُ له لزدت عليها»، قال: فصلَّى عليه رسول الله ﷺ، ثم انصرف، فلم يمكث إلا يسيرًا حتى نزلت الآيتان من براءة: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ [سورة التوبة:٨٤] قال فعجبت بعد

من جرأتي على رسول الله ﷺ يومئذٍ، والله ورسوله أعلم.

بهذه الطريقة العادلة والمنصفة والَمحقَقة والعلمية، بالبحث العلمي، بجمع أطراف القضية، بالنظر في مقاصد الشرع، بالنظر في المصالح والمفاسد، بجمع النصوص، نفهم القضية بأصولها، ويزول الإشكال، وتُدرك الحكمة، وتبرز الحقيقة، ويُفضح المزايدون والمفسدون، والله الهادي إلى سواء السبيل.

القسم الثالث: شبهات حول مواضيع متعددة في الإسلام كالرق والجهاد وحد الردة وكتبت فيه أربعة ردود:

١- الوحشية في الجرائم الغربية والشرقية وليس في الحدود الشرعية.

٢- إعلام الجِنة والناس بمعنى حديث أمرت أن أقاتل الناس.

٣- حقيقة الرق في الإسلام.

٤- خلاصة الكلام عن حد الردة في الإسلام.

الوحشية في الجرائم الغربية والشرقية وليس في الحدود الشرعية

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمة للعالمين وحجة على الخلق أجمعين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

كعادة الحاقدين على الإسلام في الغرب وأذنابهم في الشرق يرمون الإسلام والمسلمين بكل قبيح ويدعون لأنفسهم الطهر والبراءة من كل شين، ومن ذلك وصفهم الحدود الشرعية بالوحشية واتهامهم الإسلام بالإرهاب وإذا قلبت صفحات التاريخ المعاصر لن تجد وجها للمقارنة بين جرائمهم وبين جرائم غيرهم، مع أن الإسلام حرم الظلم والفساد، وقد بين علماء الإسلام أن ما تقوم به بعض الجماعات من القتل والفساد في الأرض إنما تمثل بذلك نفسها وأن الإسلام بريء من ذلك، وكان ذلك البيان كافيا لمن كان يريد معرفة الحقيقة، ولن أتحدث عن الحروب الصليبية ولن أتحدث عن جرائم محاكم التفتيش في الأندلس ولن أتحدث عن الاستعمار لن أتحدث إلا عن جرائمهم في العصر الحاضر بدءا بمؤامرتهم على فلسطين بناء على عقائد باطلة وخرافية لليهود مثل الهيكل وأرض الميعاد ومراقد إبراهيم وإسحاق ويعقوب، والهدف الحقيقي هو المؤامرة على الإسلام والمسلمين، وغير خاف على أحد جرائم اليهود بحق الشعب الفلسطيني من القتل والتشريد والسجن والإهانة والذل وأخذ أراضيهم، تجاوزت معاناتهم

السبعين السنة، كل هذا بدعم من الغرب، وفلسطين دولة إسلامية عربية، شرعا وقانونا، والقدس كتبها الله شرعا للموحدين ولمن يعبدون الله وحده لا شريك له ويؤمنون بجميع رسله، في كل زمان، وليست لقتلة الأنبياء والرسل، وليست للمشركين، ثم جرائم أمريكا وحلفائها في العراق، وقد بلغ عدد القتلى فقط في العراق إلى مليوني قتيل، وفي أفغانستان، والقائمة تطول، وأختم بسبع جرائم هي من أعظم الجرائم في العصر الحاضر بحق المسلمين العزل، لكن بعد الرد على شبههم فيما يتعلق بالحدود الشرعية ووصفها بالقساوة والوحشية ووو وما أحقهم بالمثل السائر "رمتني بدائها وانسلت" .

إن الحدود التي شرعها الله هي أنفع وأحسن وأعدل وأحكم طريقة للقضاء على الفساد والظلم واجتثاثهما من جذورهما حتى يعيش الناس في أمن وأمان على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم. وهناك من يقول اليوم ها هي الدول الغربية قد نجحت في معالجة السرقة بدون الاحتياج إلى قطع يد السارق.

والجواب عن هذا الاعتراض الذي يقوله أصحاب النظرة السطحية للأمور، إن العقوبة التي شرعها العليم الحكيم هي الحل النافع والناجع والمناسب للقضاء على جريمة السرقة في كل زمان ومكان سواء وجدت كاميرا مراقبة أو لم توجد، وسواء كانت الشعوب غنية أو فقيرة، وسواء أثرت التوعية في الناس أو لم تؤثر، مع حرص الإسلام على تربية الأجيال على الخوف من الله والتخلق بالأخلاق والآداب الرفيعة، لأن انتشار الجرائم إنما يكون بسبب انعدام أو ضعف الأخلاق

والآداب، وأعلاها مراقبة الله في السر والعلن، ثم هؤلاء ينظرون إلى هذه العقوبة نظرة قاصرة وهي قطع يد إنسان لأجل سرقة سيارة أو ربع دينار، بينما ينظر إليها الإسلام نظرة واسعة وعميقة وبعيدة، ولكن الإنسان بطبيعة تكوينه قاصرٌ عن أن يُحِيط بكل الزوايا التي تفيد المجتمع والفرد، وخالقُ البشر هو وحده الذي يحيط بكل ذلك، وهو المَنزَّه عن كل نقص أو قصور. وليست قطع اليد لأجل السرطان أو السكري بأولى وأهم من قطعها لأجل السرقة، لأن الأولى قطعت لأجل مصلحة خاصة والثانية لأجل مصلحة عامة، ولا يعترض علينا معترض بأن الأولى ليس أمامنا خيار آخر، نقول له والثانية ليس لنا خيار نافع وناجح ومناسب لكل زمان ومكان ووضع، من تلك الطريقة، ثم هؤلاء يتصورون أن الإسلام سيقوم بتقطيع أيدي الناس فتتعطل مصالح الناس بذلك، مع أن عقوبة واحدة لسارق ربما كانت كفيلة بالقضاء على السرقة، وقد لا تُقطع يدٌ، إما لعدم توفر الشروط، أو عدم رفعه إلى القضاء، أو لترك الناس السرقة، ولا خلاف بوجود ضرر كبير عليه لكن يده هي التي جنت على نفسها، والحكمة من قطعها هي حماية الناس والحفاظ على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم، وقطع يد السارق ذكر له العلماء تسعة شروط لتعلم أن القصد هو الزجر والردع، ولا شك عقوبة واحدة تقضي على الفساد بالكلية خير من عقوبات متكررة لا تقضي على الفساد بالكلية، وإذا استحضرنا مثلًا فعل السارق وهو يسير في جنح الظلام متخفيًا، ينقب الجدار، ويكسر القفل، وربما كان معه سلاحا أو سكينا، ويروّع الآمنين، هاتكًا حرمة البيوت، وكثيرًا ما تقع جريمة

القتل مع السرقة كوسيلة يتذرع بها السارق إلى إتمام سرقته، أو الفرار من تبعاتها فيقتل من غير تمييز، ثم إن الاسلام لا يطبق الحدود أبدًا حتى يضمن أن الفرد الذي ارتكب الجريمة قد ارتكبها دون شبهة أو اضطرار، فوقوعه فيها من غير شبهة أو اضطرار دليل على فساده، واستحقاقه للعقوبات الرادعة.

ومثل الحدود كمثل الطبيب الذي يستأصل من جسم إنسان آخر جزءاً من أجزائه أو عضوًا من أعضائه، وهل يستطيع أن يمارس هذا العمل إلا صاحب قلب قوي؟! ولكن القسوة هنا هي عين الرحمة، خاصة إذا قيست هذه القسوة بما يترتب على تركها وبقاء العضو المريض، ونار الألم والضرر تتوهج وتستشري وتتزايد في جسم المريض.

إننا ندعو هؤلاء إلى النظر في حال المجتمعات الغربية والتأمل فيها بعين البصيرة والإنصاف، وكيف تجرعت تلك المجتمعات ولا زالت غصص الجرائم المنظمة والسطو المسلح والنهب العلني والخطف الذي تقوم به عصابات منظمة في غاية القسوة والبطش. وهذا بخلاف الدول الإسلامية التي طبقت شرع الله من دون غلو ولا جفا فنعمت وتنعمت بالأمن والأمان. والحدود الشرعية مبنية على العدل والحِكَم الرفيعة فلا يُقتل إلا من قتل عمداً وهذا هو عين العدل، ومع هذا رغب الإسلام في العفو، وفي التنازل من القصاص إلى الدية. وفي الزنا فرق الشرع بين الشاب الذي لم يتيسر له العفاف، وبين من تيسر له العفاف، فالشاب يجلد مئة جلدة بحيث تزجره ولا تضره، ومن أُحصِن يُرجم، وهذا الرَجم الذي يزايد عليه

اليوم أعداء الإسلام هو نوع من أنواع القتل لأنه قد يموت بأول رمية أو بالثانية أو بالثالثة. وعند التأمل في حد الزنا، نجد أن القصد منه هو الردع والزجر، فإن الإسلام لم يطلب بينة في أمر من الأمور كما طلب في بينة الزنا، أربعة شهود ذكور عدول يشهدون جميعاً بالزنا الصريح فلو شهد ثلاثة بالزنا الصريح وتلكأ الرابع يُجلد الثلاثة حد القذف ثمانين جلدة ولهذا لم يُقَم هذا الحد بالبينة قط لا في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ولا في الأزمنة التي بعده، حتى من جاء معترفاً بالزنا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ويلقنه أن يتوب وأن يستر على نفسه فإن أصر على تطهير نفسه ابتغاء ما عند الله أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بإقامة الحد عليه، وللعلم هذا الحد نفسه موجود في أعظم كتب اليهود والنصارى وهو التوراة، وشدد الإسلام في الزنا لأن ضرره على المجتمعات أشد من ضرر القتل أما من انتكست فطرهم وصارت بعض الحيوانات خير منهم في الغيرة على إناثها فلا يلتفت إلى قليل اعتراضهم وكثيره، فالزنا يؤدي إلى اختلاط الأنساب وانتشار الأمراض وخيانة الأهل والأزواج ونزول الناس إلى المستوى البهيمي بدلاً من الزواج الشرعي الذي فيه إكرام للمرأة في دفع المهر وتكاليف الزواج لها وتزف إلى زوجها بأجمل حالة ثم توفير احتياجات الحياة لها وبناء البيت والأسرة. وبالزنا التي أجمعت كل الكتب السماوية على تحريمه تصبح المرأة التي كرمها الله سلعة يستمتع بها كل من هب ودب، واللهُ ما خلق المرأة لهذا؟ مع ما في الزنا من قتل النخوة، والشهامة، وقطع الروابط الإنسانية من أبوة وأخوة وبنوة وأمومة. ومع ما يفرزه

الزنا من ضياع أنفس ومهج في المجتمع دون ذنب منها، فابن الزنا ضائع في المجتمع، يقاسي - بلذة لحظات بين أمه ورجل أجنبي صنوف الحرمان والمهانة، مما يولد أشخاصا يكرهون مجتمعاتهم ويحقدون على أهلها. ومع ما في الزنا من الخلط في الأنساب، وإلحاق الأبناء بغير آبائهم، وأخذهم حقوقا لا يستحقونها. والغريزة الجنسية مركبة في الإنسان، فإذا لم يجعل العقاب الرادع للزنا تحولت المجتمعات إلى بؤرة فساد وانحلال. والحكمة من فرض هذه العقوبات هو الردع والزجر عن هذه القاذورات وليس تعذيب الناس، وفي سنن ابن ماجه ومسند أحمد عَنْ سَعِيدِ بْنِ سَعدِ بْنِ عُبَادَةَ، قَالَ: كان بين أبياتنا رجلٌ مخدج ضعيف، فلم يُرَعْ إلا وهو على أمة من إماء الدار يخبث بها، فرفع شأنه سعد بن عبادة إلى رسول الله ﷺ، فقال: «اجلدوه ضرب مائة سوطٍ، قالوا: يا نبي الله، هو أضعف من ذلك، لو ضربناه مائة سوطٍ مات، قال: «فخذوا له عِثكَالًا فيه مائة شمراخ، فاضربوه ضربة واحدة» وهو حديث صحيح.

وفرض العقوبات من الأمور المتفق عليه بين الناس، وإن اختلفوا في نوع العقوبات، حتى يأمن الناس ويرتدع المجرمون، وفي المثل "من أمن العقوبة أساء الأدب "وما تزال الولايات المتحدة "الدولة الأكثر ديمقراطية في العالم" مستمرة في فرض عقوبة الإعدام في محاكم الدولة. وتحتل الولايات المتحدة المرتبة الخامسة بين الدول التي تسمح بهذه العقوبة في عدد أحكام الإعدام حول العالم.

وفيما يلي الجرائم التي يُعاَقب عليها المجرمون بالإعدام في أمريكا:

١- قتل رئيس الولايات المتحدة، عقوبة القاتل هي القتل.

٢- الخيانة العظمى.

٣- التجسس.

٤- بيع المخدرات.

٥- محاولة قتل المحلفين أو أحد الشهود.

٦- اختطاف الطائرات، فيه الإعدام، فقط في ولايتي جورجيا وميسوري.

٧- جريمة التعذيب حتى الموت.

٨- جريمة القتل المرتبطة بسرقة سيارة.

٩- وضع قنبلة بالقرب من محطة حافلات (يحكم بالإعدام ولو لم تنفجر القنبلة، فقط في ولاية ميسوري).

١٠- جريمة القتل من الدرجة الأولى.

وعقوبة القتل من الدرجة الثانية فيها السجن من خمس سنوات إلى أربعين سنة.

المصدر: fishki.net

وختاما حتى يعرف من لا يعرف أين الوحشية فعلا والقسوة والإجرام نختم بسبع جرائم هي من أبشع الجرائم بحق المسلمين، وأبطالها هم ما بين نصارى وهندوس وبوذيين وشيوعيين، جرائم تقطع كل قلب فيه حياة وفيه شيء من الرحمة وفيه إنسانية، وأكثر هذه الجرائم مشهورة ومعروفة لدى الخاص والعام، ولا توجد اليوم بقعة مشتعلة في الأرض إلا وفيها المسلمون، هل وقع هذا صدفة؟

الأولى: جرائم الجيش الصربي بحق مسلمي البوسنة والهرسك

بدأت أعمال القتل والعنف والترحيل ضد المسلمين في البوسنة والهرسك منذ عام ١٩٩٢م، وأسفرت عن قتل أكثر من ٣٨,٢٠٠مسلم باعتراف الأمم المتحدة ومحكمتين دوليتين. لكن أبشع تلك الجرائم كانت مجزرة "سربرنيتشا" التي ارتكبتها وحدات الجيش الصربي، تحت قيادة الجنرال راتكو ملاديتش، وبتحريض من الزعيم السياسي السابق لصرب البوسنة رادوفان كراديتش في يوليو/تموز١٩٩٥م ، تحت مرأى ومسمع قوات حفظ السلام الدولية الهولندية التي كانت مكلفة بحفظ الأمن في المنطقة. عمدت تلك القوات إلى فصل الرجال والأطفال الذين رُحّلوا ليتم قتلهم لاحقاً، عن النساء والمسنين. كما اغتصبوا العديد من النساء، وألقوا جثث القتلى في مقابر جماعية، أعادوا نبشها لاحقاً وتوزيع الرفات على مقابر أخرى صغيرة ومشتتة لإخفاء حجم المجزرة. وتعد مجزرة سربرنيتشا التي راح ضحيتها نحو ثمانية آلاف مسلم واحدة من أبشع المجازر في تاريخ البشرية. واعتبر القضاء الدولي أنها ترقى لمستوى "الإبادة" رغم الرفض الصربي. ووصفتها الأمم المتحدة بأنها أبشع عملية قتل جماعي في أوروبا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. وبحسب اللجنة الدولية للصليب الأحمر يقدر عدد ضحايا المجزرة بـ ٨٠٠٠ رجل وفتى مسلم تم قتلهم بشكل ممنهج. لكن محكمة الجزاء الدولية الخاصة السابقة في يوغوسلافيا، قدرت العدد بأكثر من ٧٠٠٠. وحكمت محكمة الجزاء الدولية في مارس/آذار ٢٠١٦ على رادوفان كراديتش الذي عرف بـ "سفاح

البوسنة" و"جزار البلقان" بالسجن ٤٠ عاماً بتهمة "الإبادة".

الثانية: جرائم ومذابح الروس في الشيشان.

الشيشان منطقة جبلية بالقوقاز يغلب على سكانها الإسلام، قام الدكتاتور السوفياتي جوزيف ستالين الذي خشي عدم ولاء الشيشانيين بترحيلهم جميعاً عام ١٩٤٤ إلى وسط آسيا حيث توفي الكثير منهم. ثم سمح لهم الزعيم السوفياتي نيكيتا خروشوف بالعودة عام ١٩٥٧. لكن الزعيم الشيشاني السابق جوهر دوداييف أعلن الاستقلال في نهاية الحكم السوفياتي، ما دفع الرئيس الروسي، آنذاك، بوريس يلتسن قوات في ديسمبر/كانون الأول ١٩٩٤. وخاضت روسيا حرباً دموية ضد محاولة دوداييف الانفصالية، إلا أن صمود الشيشانيين أجبرها على سحب قواتها والتوقيع على الهدنة عام ١٩٩٦. في عام ١٩٩٩، أرسلت روسيا قواتها إلى الشيشان مجددا، وبدأت حرب ثانية في الشيشان وارتكبت روسيا خلالها عمليات قتل وخطف واسعة. وأبقت روسيا على القيود الأمنية والقوات حتى أبريل/نيسان ٢٠٠٩.

الثالثة: جرائم ومذابح الصين ضد الأقليات المسلمة في الصين

تعيش في الصين عدة أقليات مسلمة هي الخوي والأويغور والكازاخ منذ أكثر من ١٠٠٠ عام، وفقاً للمركز الأمريكي "بيو"للأبحاث. وبرغم عددهم البالغ ١٣٠ مليوناً، لا يمثلون سوى ١,٧٪ من جملة السكان البالغ ١,٣ مليار. واحتلت الصين دولة تركستان الشرقية، معقل عرقية الأويغور المسلمة في

أكتوبر/تشرين الثاني ١٩٤٩. وقام الشيوعيون بمجازر واسعة لا توجد إحصاءات دقيقة لأعداد ضحاياها، يزعم البعض أن الصين قتلت قرابة ٦٠ مليوناً من مسلمي تركستان الشرقية منذ احتلالها. ومن بين أخطر المجازر التي ارتكبتها الصين بحق المسلمين مجزرة "غولجا" عام ١٩٩٧، ومجزرة "يلكيكي" عام ٢٠١٣، ومجزرتا "أقسو" و"خوتن ناحية" عام ٢٠١٤. لم تكتفِ الصين بأعمال القتل، والإبادة للمسلمين، فأنشأت "معسكرات التثقيف السياسي"، وهي عبارة عن معتقلات ضخمة، تقول منظمات حقوقية دولية إن المساجين بها يجبرون على اعتناق الشيوعية والتخلي عن معتقداتهم الدينية. أما الأهالي خارج المعتقلات، فتزرع في بيوتهم كاميرات مراقبة للتأكد من عدم ممارسة شعائرهم الدينية. وكشف تقرير حديث للأمم المتحدة عن احتجاز ما يقرب من ١٣ مليون مسلم في هذه المعتقلات. ويقيم حوالي ١٠ ملايين من الأويغور في منطقة تتمتع بحكم ذاتي في شمال غربي الصين، وتفرض عليهم السلطات تدابير مشددة، إذ يعتبرون مذنبين إذا قاموا "بنشاطات دينية غير قانونية"، ومنها الصلاة أو امتلاك كتب دينية، كالقرآن في المنزل.

الرابع مذابح: الروهينغا في ميانمار (بورما سابقا)

يعيش مسلمو الروهينغا في ميانمار (بورما سابقاً)، ويبلغ عددهم نحو مليون نسمة ويعيشون في ولاية "راخين" الساحلية الغربية. تحرم هذه الأقلية من الجنسية وملكية الأراضي والسفر ويجرى استعبادهم على يد الجيش، ما دفع مئات الآلاف

منهم للهروب إلى تايلاند وبنغلاديش، لكنهم يجبرون -عادة- على العودة. وسقط مئات القتلى وشرد مئات الآلاف من مسلمي الروهينغا منذ اندلاع العنف ضد المسلمين في إقليم "راخين" في يونيو ٢٠١٢. وأكدت مجموعات حقوقية عدة داخل البلاد أن "الاضطهاد المنهجي للأقلية المسلمة، يشهد تزايداً في كل أنحاء البلاد، وتسبب بفرار مزيد من الروهينغا المسلمين". وبلغ اضطهاد المسلمين في ميانمار ذروته سبتمبر/أيلول عام ٢٠١٧، إذ دفعت الحملة العسكرية العنيفة التي شنتها السلطات ضدهم، أكثر من ٧٢٠ ألفاً من الروهينغا إلى الفرار عبر الحدود إلى بنغلادش المجاورة. وروى هؤلاء "شهادات مروعة عن عمليات قتل واغتصاب وحرق". وشددت الأمم المتحدة على أن ما جرى ضد مسلمي الروهينغا ينطبق عليها وصف "الإبادة الجماعية والجرائم ضد الإنسانية وجرائم الحرب"، واعتبرت أنها "مثال نموذجي للتطهير العرقي". ورغم فشل بعثتها في دخول البلاد وإحصاء حجم الخسائر، أكدت الأمم المتحدة أن قتلى الروهينغا تخطوا عدة آلاف.

الخامسة: جرائم الهندوس بحق المسلمين في الهند

يشكل المسلمون في الهند ثاني تجمع إسلامي بعد مسلمي إندونيسيا، حيث يبلغ عدد المسلمين فيها قرابة (١٦٩) مليوناً. يقتصرون على ١٥٪ من إجمالي عدد السكان، البالغ عددهم نحو المليار. ويشكل هؤلاء الديانة الثانية في الهند بعد الديانة الهندوسية، و٨ ٪ من نسبة المسلمين في العالم تقريباً. لكنهم يتعرضون

لهجمات من الهندوس على فترات، وأدت الاضطرابات الطائفية التي ارتكبها هندوس ضد المسلمين في ولاية غوجارات الغربية عام ٢٠٠٢ إلى مقتل وتشريد عشرات الآلاف من المسلمين. وسجلت وقتها منظمة مراقبة حقوق الإنسان مقتل نحو ألفين من مسلمي الهند، فيما تم تشريد نحو مئة ألف منهم. واتهمت المنظمة زعماء في حزب الشعب الحاكم بالمسؤولية عن هذه الأحداث بـ"تسهيل أعمال القتل".

السادس: مذابح الخمير الحمر في كمبوديا

يعرف المسلمون في كمبوديا باسم "تشام" ويتحدثون لغة خاصة بهم، وقد تعرضوا لتطهير عرقي على مدى قرون، أكره كثيرٌ منهم على تغيير دينه. وقتل بين ١٠٠ ألف إلى نصف مليون مسلم خلال حكم زعيم الخمير الحمر (الحركة الشيوعية) بول بوت الممتد بين عامي ١٩٧٥ و ١٩٧٩ في كمبوديا (الجمهورية الديمقراطية لكمبوتشيا). وكانت أبشع المجازر بحق الـ"تشام"، المجزرة التي قتل فيها نحو خمسة آلاف مسلم مثلوا معظم أهالي قرية "قَهْ بُل" الواقعة على ضفة نهر ميكونغ على أيدي الخمير الحمر عام ١٩٧٧.

السابعة: مذابح مسلمي أفريقيا الوسطى

انفلت الوضع الأمني في أفريقيا الوسطى بعد إسقاط متمردين يعرفون باسم سيليكا الرئيس فرانسوا بوزيزي، في مارس/آذار ٢٠١٣ اتخذ طابعاً طائفياً بعد ذلك وتحول لكراهية وأعمال قتال بين المسلمين والنصارى. وفي ٢٠١٤، ارتفعت

حدة عنف ميليشيات نصرانية تدعى "أنتي بالاكا" ضد المسلمين، وتصاعدت بشكل مأساوي حينما هاجمت القوات النصرانية ضواحي المسلمين في العاصمة بانغي. وكشف تقرير للجنة الأمم المتحدة، في ديسمبر ٢٠١٤، عن ارتكاب أنتي بالاكا "تطهيراً عرقيا" في المناطق التي يعيش فيها المسلمون، إذ قتلت الجماعة عن عمد مسلمين بسبب هويتهم، وخيروا بين الموت ومغادرة البلاد.

وبعد سرد هذه الجرائم بحق المسلمين، ولم نذكر كل الجرائم بحق المسلمين في العصر الحاضر، يستطيع المنصف واللبيب أن يعرف أين مصدر الوحشية والإجرام والإرهاب؟

وإن كان الحكم اليوم للقوي، وكما قال الشاعر:

قتل امرئ في غابة قضية لا تغتفر   وقتل شعب كامل قضية فيها نظر

إن الوحشية والإجرام لا وجود لها في الإسلام دين الرحمة والعدل الذي أعلن مبدأه في المحافظة على الدماء والأنفس كما في سورة المائدة قال تعالى:﴿ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ ﴾ [سورة المائدة:٣٢].

إنما الوحشية والإجرام، عند الذين قتلوا المسلمين حرقاً بالأسلحة الجوية، في أكثر من دولة، ولم يفرقوا بين صغير وكبير ورجل وامرأة، ودفنوهم تحت الأنقاض لأجل أغراض سياسية خبيثة ومطامع دنيوية تافهة وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

إعلام الجِنَّةِ والنَّاسِ بمعنى حديث: «أُمِرْتُ أن أُقاتِلَ النَّاسَ»

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمة للعالمين وحجة على الخلق أجمعين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

أما بعد...

إن من الأحاديث التي زايد عليها أهل الباطل حديث: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ، حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ».

فقد زعموا وافتروا على الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى الإسلام أنه يأمر بقتل من لم يسلم، أو أنه يأمر بقتل كل الناس إلا من كان مسلما، ومع أن هذا لم يقل به أحد من أهل العلم ولم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم قط وهذا هو الرد الإجمالي، وقبل الرد التفصيلي نشرح الحديث كلمة كلمة وسيرى القارئ بأنه لا توجد كلمة واحدة تدل لما ادعوه.

قوله صلى الله عليه وسلم: (أُمِرْتُ)، أي أمرني الله أن أقاتل، أي من قاتلني لأن المقاتلة من المفاعلة ولا تكون إلا بين طرفين متقاتليْن ولهذا لا يقال قاتِل إلا لمن يقاتلك ويدافعك ويصدك بخلاف كلمة اقتله فهو يقال لمن يقاتل ولمن لم يقاتل، والرسول صلى الله عليه وسلم لم يقل أمرت أن أقتل وإنما قال أمرت أن أقاتل كما

قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [سورة البقرة:١٩٠].

وقال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗ﴾ [سورة التوبة:٣٦]، أي: اجتمعوا على قتالهم كما اجتمعوا على قتالكم، وهكذا قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ [سورة التوبة:٢٩].

قال الحافظ في الفتح: وقد أطنب ابن دقيق العيد في شرح العمدة في الإنكار على من استدل بهذا الحديث على ذلك، وقال: لا يلزم من إباحة المقاتلة إباحة القتل؛ لأن المقاتلة مفاعلة تستلزم وقوع القتال من الجانبين، ولا كذلك القتل. وحكى البيهقي عن الشافعي أنه قال: ليس القتال من القتل بسبيل، قد يحل قتال الرجل ولا يحل قتله.

وقوله أمرت أن أقاتل الناس، لفظة الناس من الألفاظ المشتركة التي تدل على معان كثيرة، والسياق وسبب النزول هو الذي يبين المعنى، وليس الأمر كما فهمه هؤلاء الذين جمعوا بين الجهل والكذب فقد تأتي عامة كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ﴾ [سورة الحجرات:١٣].

بل قد تأتي ويراد بها الجن والإنس على أحد المعنيين في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ

ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ [سورة الناس: ١-٦].

وقد تأتي ويراد بها المؤمنون: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ [سورة الحج:٢٧].

وبعد بعثته صلى الله عليه وسلم وفي العام التاسع من الهجرة أنزل الله عليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ [سورة التوبة:٢٨]، أي: فلا يدخله للحج والعمرة والعبادة إلا المؤمنون.

وقد تأتي ويراد بها الواحد أو الجماعة من الناس كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [سورة آل عمران:١٧٣] فقد قيل بأن القائل كان واحدا وقيل كانوا ركبا، ثم الناس الذين جمعوا للمسلمين الحرب والكيد ليس كل الناس وإنما هم كفار قريش الذين خرجوا إلى أُحُد. والألف واللام في كلمة (الناس) قد تأتي للجنس فتفيد العموم كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [سورة فاطر:٥].

وقد تأتي للعهد فتفيد الخصوص كقوله تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [سورة آل عمران:٤٦]، فعيسى لم يكلم كل الناس لأن الله قال: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [سورة آل عمران:٤٩].

فعلى أي المعاني نحملها في هذا الحديث، حملها على العموم المطلق لا يصح وحملها على عموم الكفار أيضا لا يصح بالإجماع لأن الكفار يدخل فيهم المعاهد

والمستأمن والذمي وهؤلاء لا يقاتلون فضلا عن أن يُقتلوا وقد قال ﷺ: «مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا يُوجَدُ مِنْ مسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا»، وقال تعالى: ﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة التوبة:٧]، وقال تعالى: ﴿۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [سورة الأنفال:٦١]، وفي البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قال: كَانَ الْمُشْرِكُونَ عَلَى مَنْزِلَتَيْنِ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ، كَانُوا مُشْرِكِي أَهْلِ حَرْبٍ، يُقَاتِلُهُمْ وَيُقَاتِلُونَهُ، وَمُشْرِكِي أَهْلِ عَهْدٍ، لَا يُقَاتِلُهُمْ وَلَا يُقَاتِلُونَهُ. وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم من أوفى الناس بالعهود والمواثيق وخذوا مثالا واحداً: عن حذيفة بْنُ الْيَمَانِ رضي الله عنه ، قَالَ: مَا مَنَعَنِي أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا إِلَّا أَنِّي خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي حُسَيْلٌ، قَالَ: فَأَخَذَنَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ، قَالُوا: إِنَّكُمْ تُرِيدُونَ مُحَمَّدًا. فَقُلْنَا: مَا نُرِيدُهُ، مَا نُرِيدُ إِلَّا الْمَدِينَةَ. فَأَخَذُوا مِنَّا عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ لَنَنصرِفَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَلَا نُقَاتِلُ مَعَهُ، فَأَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ: «انْصَرِفَا نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَنَسْتَعِينُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ».

فلم يبق إلا الكافر الحربي وهو المراد هنا ولهذا لو أسلم وهو في المعركة يُكف عنه حتى ولو كان قد قتل من المسلمين ما قتل لحديث أسامة " إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ بَعْثًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى قَوْمٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَإِنَّهُمُ الْتَقَوْا، فَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِذَا شَاءَ أَنْ يَقصِدَ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قصَدَ لَهُ فَقَتَلَهُ، وَإِنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قصَدَ غَفْلَتَهُ. قَالَ: وَكُنَّا نُحَدَّثُ أَنَّهُ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، فَلَمَّا رَفَعَ عَلَيْهِ

السَّيْفَ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَتَلَهُ، فَجَاءَ الْبَشِيرُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلَهُ، فَأَخْبَرَهُ حَتَّى أَخْبَرَهُ خَبَرَ الرَّجُلِ كَيْفَ صَنَعَ، فَدَعَاهُ، فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: " لِمَ قَتَلْتَهُ ؟ " قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْجَعَ فِي الْمُسْلِمِينَ، وَقَتَلَ فُلَانًا وَفُلَانًا، وَسَمَّى لَهُ نَفَرًا، وَإِنِّي حَمَلْتُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَ-أَى السَّيْفَ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ": «أَقَتَلْتَهُ؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اسْتَغْفِرْ لِي. قَالَ: «وَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» قَالَ: فَجَعَلَ لَا يَزِيدُهُ عَلَى أَنْ يَقُولَ: «كَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا الله إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» أخرجه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم.

وأما الرد التفصيلي فنقول لهم هاتوا لنا دليلا واحدا على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأمر بقتل كل كافر؟ هؤلاء لا يقرأون ولا يريدون أن يقرأوا ولو قرأوا لوجدوا الأمر بخلاف ذلك، وبعضهم يقرأ لكن بنظارة سوداء، مع اتباعه لهواه. والله الذي يقرأ في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم يجد الأمر بخلاف ما زعموه تماما ولهذا نحن لا نخاف أن يعرف الناس حقيقة الإسلام بل نفرح بذلك وإنما الذي يحزنني الإنسان الذي لا يعرف الإسلام إلا عن طريق وسائل التواصل الاجتماعي التي تسعى في الليل والنهار إلى تشويه صورة الإسلام أو لا يعرف الإسلام إلا عن طريق أعداء الإسلام، ولهذا نحن نقول للناس خذوا الإسلام من مصادره الأصلية، وهي القرآن وكتب السنة الصحيحة وفي مقدمتها البخاري ومسلم وخذوا المعاني من الكتب المعتمدة عند المسلمين مثل تفسير ابن جرير وابن

كثير والشوكاني وأضواء البيان والسعدي والعثيمين وغيرها، وشروح السنة مثل فتح الباري شرح البخاري وشرح النووي على مسلم وشرح العثيمين والعباد لكتب السنة وغير هذه الشروح من الكتب المعتمدة عند المسلمين ثم أزيلوا النظارة السوداء حتى تروا الأمور على حقيقتها وستتغير نظرة المنصفين منكم عن الإسلام.

وخذوا هذه الأمثلة التي تدل دلالة واضحة على إن الإسلام انتشر بالعدل والرحمة لا بالسيف والقتل كما يزعم أعداؤه، ولا شك أن أصدق وأفضل طريقة لفهم وتفسير أقوال الشخص هي أفعاله: سألت عَائِشَةُ النبي صلى الله عليه وسلم قالت له: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ، قَالَ: "لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» والحديث في البخاري ومسلم.

وفي البخاري ومسلم عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قَدِمَ طُفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الدَّوْسِيُّ وَأَصْحَابُهُ، عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ دَوْسًا

عَصَتْ [ص:٤٥] وَأَبَتْ، فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهَا، فَقِيلَ: هَلَكَتْ دَوْسٌ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ».

وفي معركة بدر وقع بعض صناديد كفار قريش في الأسر فأشير على النبي صلى الله عليه وسلم بقتلهم فلم يفعل وتركهم مقابل فداء دفعوه للمسلمين فأنزل الله قوله معاتبا نبيه صلى الله عليه وسلم وأن هؤلاء كانوا يستحقون القتل لاجرامهم وقتلهم وتعذيبهم لمن أسلم من الصحابة في مكة ولقتالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدهم الناس عن دين الله قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [سورة الأنفال:٦٧] يثخن في الأرض أي يعاقب هؤلاء المجرمين وأمثالهم بالقضاء عليهم وفي معركة خيبر قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد دفع له الراية عندما قال له علي نقاتلهم حتى يكونوا مثلنا: نُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا ؟ فَقَالَ: «عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يُهدى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ الَّنعَمِ».

وعندما سحر اليهودي لبيد بن الأعصم الرسول صلى الله عليه وسلم لم ينتقم منه بل قال: «أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي اللَّهُ، وَكَرِهْتُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا» والحديث في البخاري ومسلم .

وفي صلح الحديبية وافق على شروط قاسية واستفزازية، من تلك الشروط عدم كتابة بسم الله الرحمن الرحيم وعدم كتابة محمد رسول الله، وأن يرجع الرسول ومن معه بدون عمرة مع أنهم على أبواب الحرم، وأن من ذهب إلى الرسول من

قريش مسلما يرده الرسول ومن ذهب إلى كفار قريش لا ترده قريش، وهذا الأخير هو الذي أثار غضب كثير من الصحابة، ومع هذا وافق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم كل هذا حرصا منه على عدم سفك الدماء في مكة والحديث في البخاري ومسلم.

ويدخل مكة فاتحا منتصرا بعد سنتين من الصلح، بعد نقض قريش لشروط الصلح ولم يصنع كما يصنع غيره من المنتصرين فلم يسجن أحدا ولم يأخذ مال أحد ولم يُقتل في فتح مكة إلا أفراد، وقريش هم الذين قاتلوه وآذوه وكذبوه وأخرجوه من مكة هو وأصحابه ومع هذا عفا وصفح مع قدرته على الانتقام منهم.

ودخل المدينة وأبى اليهود أن يسلموا حسدا منهم لأنه ليس من بني إسرائيل مع أنهم إنما جاءوا إلى المدينة ينتظرون مبعثه الذي بشرت به كتبهم ومع هذا لم يتعرض لهم بأذى بل صالحهم على السلام بما يعرف بميثاق المدينة.

وما يدندن حوله أهل الباطل من القتل الذي صار في يهود بني قريظة فلم يكن أبدا بسبب يهوديتهم وإنما كان بسبب الخيانة العظمى وهو قانون يُعمل به حتى الآن، فمع الصلح الذي عقده الرسول صلى الله عليه وسلم مع يهود بني قريظة وفي ظرف عصيب وحصار خانق من المشركين للمدينة قام بنو قريظة باتفاق خطير ومؤامرة خسيسة وخبيثة وإجرامية مع الأحزاب للقضاء على الرسول والمسلمين في المدينة ولولا أن الله حفظ وسلم لكانت كارثة عظمى ولقتلوا الرسول وأصحابه واستباحوا الأعراض والأموال، وقتل الرسول وأصحابه ليس كقتل

غيرهم لأن قتلهم معناه القضاء على النور والهدى، ولهذا عندما رضوا بحكم حليفهم قبل الإسلام سعد بن معاذ ، وحكم فيهم بالقتل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله لأن مثل هؤلاء صاروا خطرا كبيرا وليس من العقل أن يُتركوا والمؤمن لا يلدغ من جحر مرتين وليس هناك أي بوادر أو حسن نية منهم حتى يقال لن يكرروا خيانتهم وغدرهم ومكرهم بالمسلمين في المدينة مرة ثانية، ولهذا لم يتعامل الرسول مع غيرهم من اليهود بمثل ذلك، فيهود بني النضير مع أنهم نقضوا العهد لكن لم تقع منهم خيانة عظمى ولهذا أخرجهم من المدينة إلى خيبر وكانت بها بساتين النخل وحتى بعد تكرر غدرهم في خيبر وبعد فتح خيبر تركهم في خيبر مع يهود خيبر على أن يقوموا بالنخل ولهم نصف الثمرة.

والخبث والإجرام والمكر متأصل في اليهود ولهذا قتلوا أنبياء الله وقالوا عن الله ما قالوا، ولن نذهب بعيدا، فجرائم اليهود في الوقت الحاضر بحق الشعب الفلسطيني الأعزل لا تخفى على أحد سواء في فلسطين أو في صبرا وشاتيلا، وسواء ما فعله السفاح شارون أو غير شارون، على مرأى ومسمع من العالم، وبدون حق شرعي أو قانوني.

وأنا حريص على عدم الإطالة لكن خذوا هذه النماذج لتعلموا كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم يعامل اليهود في المدينة قبل أن يُظهِروا خبثهم ومكرهم وكيدهم ونقضهم للعهود والمواثيق وقيامهم بالخيانة العظمى، ففي الحكم كان صلى الله عليه وسلم يعدل ولو كان ذلك على حساب المسلمين، فلما قتل أهلُ خيبر

عبدَ الله بن سهل رضي الله عنه لم يقض النبي صلى الله عليه وسلم عليهم بالدية، ولم يعاقبهم على جريمتهم، لعدم وجود البينة الظاهرة ضدهم، حتى دفع النبي صلى الله عليه وسلم ديته من أموال المسلمين، والقصة في البخاري ومسلم ، ولما اختصم الأشعث بن قيس ورجل من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم في أرض باليمن ولم يكن للأشعث بيِّنة قضى فيها لليهودي بيمينه، كما في البخاري ومسلم.

بل منحهم النبي صلى الله عليه وسلم حق التحاكم فيما بينهم إلى قوانين دينهم، ولم يلزمهم بأحكام المسلمين ما دام طرفا القضية من أتباعهم، إلا إذا ترافعوا إليه صلى الله عليه وسلم، وطلبوا منه الحكم بينهم، فكان حينئذ يحاكمهم بشريعة الله ودين المسلمين، يقول الله ☜: ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [سورة المائدة:٤٢].

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحسن معاملة جميع الناس، ومنهم اليهود، فقد أمر الله سبحانه بالقسط والبر وحسن الخلق وأداء الأمانة مع اليهود وغيرهم، حيث قال سبحانه: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [سورة الممتحنة:٨].

ومن بره صلى الله عليه وسلم في معاملة اليهود:

١) أنه كان يعود مريضهم ليذكرهم ويدعوهم إلى دين الله الإسلام: روى البخاري عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: أَنَّ غُلَامًا مِنَ اليَهُودِ كَانَ يَخْدُمُ النَّبِيَّ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ يَعُودُهُ، فَقعَدَ عِندَ رَأسِهِ، فَقَالَ: «أَسلِم». فَنظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِندَ رَأسِهِ، فَقَالَ لَه: أطِع أَبَا القَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ . فَأسلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ: «الحَمدُ لِلَّهِ الذِي أَنقَذَهُ مِنَ النَّارِ».

٢) وكان صلى الله عليه وسلم يقبل هداياهم: فقد روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: (أَنَّ امرَأَةً يَهُودِيَّةً أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ بِشَاةٍ مَسمُومَةٍ فَأَكَلَ مِنهَا.

٣) كما كان صلى الله عليه وسلم يعفو عن مسيئهم: إذ لم يأمر بقتل تلك المرأة التي وضعت السم في الشاة، ففي تكملة الحديث السابق: فجيء بها إلى رسول الله ﷺ فسألها عن ذلك فقالت: أردت لأقتلك، قال: «ما كان الله ليسلطكِ على ذاك» -قال: أو قال: عليَّ- قال: قالوا: ألا نقتلها؟ قال: «لا»، بل وفي حديث أبي هريرة في صحيح البخاري أن ذلك كان بعلم من اليهود وأنهم اعترفوا بمحاولة القتل بالسم، ومع ذلك لم يأمر صلى الله عليه وسلم بالانتقام لنفسه، لكن بعد موت بشر بن البراء بالسم الذي وضعته في الشاة وكان رضي الله عنه قد أكل مع النبي صلى الله عليه وسلم من تلك الشاة المسمومة كان لا بد من القصاص منها وهذا من تمام العدل.

٤) وكذلك لما سحره اليهودي لبيد بن الأعصم، وعافاه الله من السحر، لم ينتقم منه ولا أمر بقتله كما مضى ، بل جاء في " سنن النسائي " وصححه الألباني عن زيد بن أرقم قال: (فَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ لِذَلِكَ اليَهُودِيِّ وَلَا رَآهُ فِي وَجهِهِ قط).

٥) وكان صلى الله عليه وسلم يعامل اليهود بالمال، ويفي لهم معاملتهم: عن ابن عمر ☹، قال: (أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْبَرَ الْيَهُودَ أَنْ يَعْمَلُوهَا وَيَزْرَعُوهَا وَلَهُمْ شَطْرُ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا) رواه البخاري ومسلم.

وعن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا، قالت: (اشْتَرَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ يَهُودِيٍّ طَعَامًا بِنسيئَةٍ وَرَهَنَهُ دِرْعَهُ) رواه البخاري ومسلم.

٦) وفي أول قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة كان يحب موافقة اليهود فيما لم يؤمر فيه بشيء ليتألف قلوبهم على الإسلام، حتى أُمِرَ بمخالفتهم، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، ☹: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَسْدِلُ شَعَرَهُ وَكَانَ الْمشْرِكُونَ يَفْرُقُونَ رُءُوسَهُمْ فَكَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَسْدِلُونَ رُءُوسَهُمْ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ مُوَافَقَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ فِيمَا لَمْ يُؤْمَرْ فِيهِ بِشَيْءٍ ثُمَّ فَرَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْسَهُ) رواه البخاري ومسلم.

٧) ولم يكن صلى الله عليه وسلم يترفع عن محاورتهم، بل كان يتواضع لهم، ويجيب على أسئلتهم وإن كان مرادهم منها العنت والمجادلة بالباطل . عَنْ عَبْدِاللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: (بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَرْثٍ وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى عَسِيبٍ إِذْ مَرَّ بِنَفَرٍ مِنْ الْيَهُودِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ سَلُوهُ عَنْ الرُّوحِ فَقَالُوا مَا رَابَكُمْ إِلَيْهِ لَا يَسْتَقْبِلُكُمْ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ فَقَالُوا سَلُوهُ فَقَامَ إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ فَسَأَلَهُ عَنْ الرُّوحِ قَالَ فَأَسْكَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ شَيْئًا فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ قَالَ فَقُمْتُ مَكَانِي فَلَمَّا نَزَلَ الْوَحْيُ قَالَ: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [سورة الإسراء:٨٥] رواه البخاري ومسلم.

٨) وكان يدعو لهم بالهداية وصلاح البال: فعَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ

كَانَ الْيَهُودُ يَتعَاطَسُونَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْجُونَ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ يَرْحَمُكُمْ اللَّهُ فَيَقُولُ: يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ. رواه الترمذي وقال:حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

منقول من بعض المواقع، ولا يظن البعض أننا بذكر هذه النماذج نريد تجميل صورة الإسلام، وإنما نريد بيان الحقيقة، والإسلام غير محتاج إلى من يجمله، بل من تمسك به جمله الإسلام، ولن يضره قدح القادحين ولن ينفعه مدح المادحين، مع أنه يجب علينا أن نحبب الإسلام إلى قلوب الناس. وقد كان النصارى في نجران فدعاهم الرسول إلى الإسلام فأبوا ووافقوا على دفع الجزية وتركهم الرسول صلى الله عليه وسلم، والجزية من الأمور التي زايد عليها أعداء الإسلام.

ولبيان حقيقة الجزية والرد على المزايدين عليها: أولا نعرف مامعنى الجزية وما الحكمة منها قال الحافظ في الفتح: والجزية من جزأت الشيء إذا قسمته ثم سهلت الهمزة، وقيل من الجزاء أي لأنها جزاء تركهم ببلاد الإسلام، أو من الإجزاء لأنها تكفي من توضع عليه في عصمة دمه. بمعنى "أعطوها جزاء ما منحوا من الأمن" والجزية ليست عقوبة ينالها الكافر على كفره. فإن عقوبة الكفر لن تكون بضعة دنانير!!!!

ولو كانت الجزية عقوبة على الكفر لما أسقطت عن النساء والشيوخ والأطفال لاشتراكهم في صفة الكفر!!! بل لو كان كذلك لزاد مقدارها على الرهبان ورجال الدين بدلاً من أن يُعفوا منها!!! أما عن كفرهم الله هو يتولى حساب من كفر به في

الآخرة. يعترضون على الجزية ولا يعترضون على دفع الضرائب مع أن الجزية تسقط عن البعض منهم أما الضرائب تفرض على الجميع وعقوبة السجن لمن يتهرب من دفع الضرائب والجزية مبلغ زهيد لا يرهق من يدفعه وفي مقابل هذه الدنانير المعدودات فإن المسلمين يلتزمون بالدفاع عن أهل الذمة وحمايتهم ولو أدى ذلك إلى إزهاق أرواحهم في سبيل حماية أهل ذمتهم. وإذا لم يتمكن المسلمون من حماية أهل الذمة سقطت عنهم الجزية، وإذا أخذت منهم ثم لم يتمكن المسلمون من حمايتهم ردت إليهم، فقد ذكر أبو يوسف عن أبي عبيدة بن الجراح: " أنه عندما أعلمه نوابه على مدن الشام بتجميع الروم لمقاتلة المسلمين كتب إليهم أن ردوا الجزية على من أخذتموها منه، وأمرهم أن يقولوا لهم: إنما رددنا عليكم أموالكم، لأنه قد بلغنا ما جمع لنا من الجموع، وأنكم اشترطتم علينا أن نمنعكم، وإنا لا نقدر على ذلك، وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم ونحن لكم على الشروط ما كتبنا بيننا وبينكم إن نصرنا الله عليهم " بدائع الصنائع.

وقد نقل العهد القديم والجديد شيوع الجزية: ففي إنجيل متى أن المسيح عليه السلام قال لسمعان: " ماذا تظن يا سمعان؟ ممن يأخذ ملوك الأرض الجباية أو الجزية، أمن بنيهم أم من الأجانب؟ قال له بطرس من الأجانب. قال له يسوع: فإذا البنون أحرار (متى ١٧/ ٢٤-٢٥).

ويذكر العهد القديم شرعة الجزية في شرائع التوراة وأن الأنبياء عليهم السلام أخذوا الجزية من الأمم المغلوبة حين غلبوا على بعض الممالك أما معنى كلمة "

صاغرون " معناه هنا التسليم وإلقاء السلاح والخضوع لحكم الدولة الإسلامية واعترافهم بالوضع الإسلامي والرضوخ له أي أن يعترفوا بعزة الإسلام ودولة المسلمين .

قال الحافظ في الفتح: وعن الشافعي: المراد بالصغار هنا التزام حكم الإسلام. وهذا هو ترجيح ابن القيم رحمه الله في أحكام أهل الذمة.

وقال ابن جرير الطبري رحمه الله: وأما قوله: (عن يد)، فإنه يعني: من يده إلى يد من يدفعه إليه، ومع هذا يجب أن يشعر الكافر بذل الكفر بالله خاصة عند دفع الجزية حتى يقوده ذلك إلى التوحيد والإسلام وترك الكفر، وهذا المعنى ذكره أهل التفسير في معنى "صاغرون".

وليس كما يحاول أن يدلس أهل الباطل ويقولوا أن "صاغرون " ظلمهم، أو التكليف فوق طاقتهم.

فإن كل ذلك لا يتفق وسماحة الإسلام وعظمته وما عرف من حسن معاملة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته لأهل الذمة.

فصاغرون، أي يعطوها بدون كبرياء، ومنة، وتعالي على المسلمين وقد صنع فيهم الإسلام أكثر من جميل، فلم يقتلهم ولم يرغمهم على الدخول في الإسلام. لذلك فعليهم أن يتعاملوا مع المسلمين بلا كبرياء ولا غطرسة ولا غدر ولا مكر ولا خيانة وأن يؤدوا الجزية يداً بيد وأما العاجز وغير القادر فيعفى من دفع الجزية.

وما يذكر في بعض كتب التفسير في تفسير كلمة،صاغرون، مما يخالف هدي

الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين وصحابته المهتدين، فلا يعول عليه. وقارنوا بين كلمة، صاغرون، وبين ما جاء في كتب النصارى:

متّى ٧: ٦ " لا تعطوا القدس للكلاب و لا تطرحوا درركم قدام الخنازير لئلا تدوسها بارجلها و تلتفت فتمزقكم" "منقول من بعض المواقع"

ومن الحِكَم في دفعهم الجزية أنها سبب لاختلاطهم بالمسلمين ومعرفتهم الإسلام عن قرب، ومن الحِكم أن محبة المال غريزة في الإنسان فقد يقوده حبه للمال إلى الإسلام وإلى الهداية حتى لا يدفعها.

يتضح لنا مما سبق أن الحكمة في فرض الجزية تتلخص في الآتي:

١- مقابل السماح للكفار بالعيش في دار الإسلام مع الاحتفاظ بدينهم.

٢- مقابل حمايتهم وتأمينهم وعصمة أموالهم وأعراضهم ودمائهم.

٢ - أن الذل الذي يتلقونه نتيجة دفع هذه الجزية قد يكون سببا في اعتناقهم الإسلام.

وإذا نظرت إلى غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم من أول غزوة وهي بدر إلى آخر غزوة وهي تبوك لوجدت أن الكفار هم الذين بدأوا القتال والمكر والأذى والصد عن دين الله.

وختاما نستطيع أن نعرف الآن بجلاء حقيقة الجهاد الذي زايد عليه أعداء الإسلام، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم مهمته هداية الناس إلى الله وإلى خالقهم وإلى الجنة التي ليس فيها موت ولا مرض ولا هرم ولا منغص مكدر، بل

فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ولا شك أنه يجب على الخلق توحيد الله وعبادته قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات:٥٦].

وهذا هو حقيقة الإسلام وهو دعوة الناس إلى أن يعبدوا الله وحده لا شريك له وهو حقيقة دعوة جميع الرسل قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [سورة النحل:٣٦] .

ثم إن رسالة الإسلام عالمية وليست خاصة بقوم معينين قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء:١٠٧].

وعندما علم الله شدة حزنه صلى الله عليه وسلم على الناس الذين لم يؤمنوا قال الله له: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [سورة الكهف:٦]، وقال: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [سورة فاطر:٨].

ومع هذا الحزن والحرص على هدايتهم ما كان يُكره الناس على الإسلام فضلا عن أن يقاتلهم إلا من قام يحارب دين الله بسلاحه ولسانه. والفتوحات الإسلامية التي زايد عليها أعداء الإسلام، حقيقتها هو نشر دين الله ونشر توحيد الله في الأرض وطالما عندنا قوة ودولة فيجب أن نسخرها لنشر دين الله ولعمارة الأرض بما ينفع الناس في دينهم ودنياهم، والحق لا بد له من قوة تحميه وإلا ضاع كما ضاعت فلسطين، ولهذا من صد الناس عن دين الله أو قاتلنا أو أبى أن يخضع لدين

الله ويدفع ما يعرف بالجزية قاتلناه وليس قتلناه، كما قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [سورة الأنفال:٣٩] .

فهذا هو الذي أمره الله بجهاده ووعده بالنصر عليه قال تعالى في سورة الأنفال: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ ۚ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة الأنفال:٣٨-٤٠].

ومن جنح لنا بالسلم جنحنا له .

وتشريع الجهاد لم يكن لإرغام أحد على الدخول في الإسلام ولا لظلم أحد ؛ وإنما لإقامة الحق، ودفع الظلم، وتأمين المسلمين، وإزالة كل العقبات من سبيل الدعوة، ورد كل عدوان يقع على الإسلام والمسلمين، وهذا بخلاف القتال الذي قامت به اليوم بعض الدول الكافرة ولم تفرق بين طفل ولا شيخ ولا رجل ولا امرأة تقتل الناس بالآلاف حرقا وتدفنهم تحت ركام الحديد والاسمنت والحجارة وتقطعهم أشلاء لأغراض سياسية خبيثة ومطامع دنيوية تافهة.

وقول من يقول اليوم، المسلمون لم يغتصبوا أرضا، ولم يأخذوا مالا، كما يتهمهم به خصومهم، وإنما أعادوا الحق لأهله، ليس ببعيد عن الصواب، لأن الكفار هم الذين اغتصبوا الأرض وأكرهوا الناس على الكفر، وعلى ترك التوحيد، وترك دعوة الأنبياء، فسكان الأرض كانوا على التوحيد، حتى جاء الكفار فأكرهوهم على

الكفر واستولوا على الأرض بغير حق وهناك من الناس من يأتي إلى آيات نزلت في كفار قريش مثلا في وقت حربهم وعدوانهم وظلمهم وإجرامهم وإخراجهم المسلمين من ديارهم وأخذ أموالهم، ثم يجعلها عامة في كل كافر كقوله تعالى: ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٩١].

فالقول عن هذه الآيات أنها تعم كل كافر هذا من الظلم والإفك، وهذا لا يصدر إلا عن أحد رجلين إما جاهل وإما حاقد لأن السياق والسباق واللحاق قد بين أنها نزلت في كفار قريش.

وهناك صنف آخر يأخذ من تصرفات بعض الأفراد أو بعض الجماعات أحكاما يحكم بها على الإسلام وأن هذا هو الإسلام مع أن علماء المسلمين قد بينوا أن الإسلام بريء من هذه الأعمال وأن الله قال في القرآن: ﴿مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾[سورة المائدة:٣٢] .

وأن استدلال هولاء الأفراد أو تلك الجماعة ببعض الأدلة القرآنية أو النبوية استدلال في غير محله، وكان ينبغي أن يكون بيان علماء المسلمين كافيا إلا أن الكثير ما زال يصر على رمي الإسلام بالإرهاب.

وأعجب من ذلك من يطلق على من قتلوا ودمروا شعوبا بأسرها رعاة سلام أو

دعاة سلام أو دول سلام وصدق الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم عندما قال: «إِنَّهَا سَتَأْتِي عَلَى النَّاسِ سِنُونَ خَدَّاعَةٌ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ» قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: «السَّفِيهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ» رواه الإمام أحمد وصححه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وختاما جاء في أحد مراجع النصارى وهو سفر إشعيا ٦٦: ١٦ (لأن الرب بالنار يعاقب وبسيفه على كل بشر ويكثر قتلى الرب) وهذا النص وغيره لعله هو السبب والدافع للحروب الصليبية الإجرامية بحق المسلمين.

هذا ما يسر الله كتابته والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا.

نصور الزبيري إمام وخطيب مسجد الراعي الأصبحي صنعاء

١٧ محرم ١٤٤٢

٢٠٢٠/٩/٥

المدينة النبوية

حقيقة الرق في الإسلام

حقيقة الرق في الإسلام

الحمد لله والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمة للعالمين وحجة على الخلق أجمعين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن من أعظم الشبه التي يثيرها أعداء الإسلام ويزايدون عليها للطعن في الإسلام، موضوع الرق، وقد كُتِبَت ردود كثيرة لبيان حقيقة الرق في الإسلام.

وللرد على هذه الشبهة:

يقرر الإسلام أن الله ﷻ خلق الإنسان كامل المسؤولية وكلفه بالتكاليف الشرعية ورتب عليها الثواب والعقاب؛ لأنها بإرادته واختياره، ولا يملك أحد من البشر تقييد هذه الإرادة، أو سلب ذلك الاختيار بغير حق، ومن اجترأ على ذلك فهو ظالم جائر.

هذا مبدأ ظاهر من مبادئ الإسلام في هذا الباب، وحينها يثار التساؤل: كيف أباح الإسلام الرق؟

نقول: بكل قوة وبغير استحياء: إن الإسلام أباح للسلطان أن يختار ما تقتضيه المصلحة في أسارى الحرب، المنّ بدون مقابل، أو أخذ الفداء سواء تبادل أسرى أو مقابل مالي، أو استرقاقه، ولكن نظرة الإنصاف مع التجرد وقصد الحق توجب النظر في دقائق أحكام الرق في الإسلام من حيث مصدره وأسبابه ثم كيفية معاملة الرقيق ومساواته في الحقوق والواجبات للحر وطرق كسب الحرية وكثرة أبوابها في

الشريعة، مع الأخذ في الاعتبار نوع الاسترقاق الجديد في هذا العالم المتدثر بدثار الحضارة والعصرية والتقدمية.

لقد جاء الإسلام وللرق أسباب كثيرة، منها: الحروب، المدين إذا عجز عن الدين، يكون رقيقًا، السطو والخطف، الفقر والحاجة.

وما انتشر الرق ذلك الانتشار الرهيب في قارات الدنيا إلا عن طريق هذا الاختطاف، بل كان المصدر الأعظم في أوروبا وأمريكا في القرون الأخيرة.

ومما ذكره الله في القرآن عن إخوة يوسف أولاد نبي الله يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الملقب في القرآن بإسرائيل، عندما قرروا التخلص من يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ [سورة يوسف:٢٠] شروه، أي: باعوه عبدًا، وهذا يدل على وجود الرق عندهم.

والإسلام يقف بنصوصه من هذا موقفًا حازمًا حاسمًا، جاء في حديث قدسي: «قال الله تعالى: «ثلاثةٌ أنا خصمُهم يوم القيامة، ومن كنت خصمَهُ خَصَمْتُهُ، ذكر منهم: رجلٌ باعَ حُرًّا فأكل ثمنه» رواه البخاري.

ومما يلفت الإنتباه أنك لا تجد في نصوص القرآن والسنة نصًّا يأمر بالاسترقاق، بينما تحفل آيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ بالعشرات من النصوص الداعية إلى العتق والتحرير قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجلٌ من أهل الكتاب آمن بنبيِّهِ، وأدرَكَ النبي ﷺ فآمن به، واتبعه، وصدَّقَهُ، فله أجران، وعبدٌ مملوك أدَّى حق الله تعالى وحق سيده، فله أجران، ورجل كانت له أَمَةٌ،

فغذَّاها، ثم أعتقها، وتزوجها، فله أجران» رواه البخاري ومسلم.

كانت مصادر الرق ومنابعه كثيرة عند ظهور الإسلام، بينما طرق التحرر ووسائله تكاد تكون معدومة، فقلب الإسلام في تشريعاته الموازين فأكثر من أسباب الحرية، وسَدَّ مسالك الاسترقاق، وشرع من الأحكام ما يسد تلك المسالك، وقد ذكر بعض أهل العلم أن قوله تعالى: ﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ..﴾ [سورة المجادلة:٤] أي: عتق رقبة في كفارة الأيمان وغيرها أن فيه إشارة إلى أنه سيأتي يوم لا يجد الشخص فيه رقبة ليعتقها لانعدام الرقيق.

فالإسلام حصر مصادر الرق التي كانت قبل الرسالة المحمدية في مصدر واحد فقط وهو: رق الحرب الذي يفرض على الأسرى من الكفار وكذا على نسائهم وأولادهم.

قال الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وسبب الملك بالرق: هو الكفر، ومحاربة الله ورسوله، فإذا أقدر اللهُ المسلمينَ المجاهدين الباذلين مُهَجهم وأموالهم وجميع قواهم وما أعطاهم الله لتكون كلمة الله هي العليا على الكفار: جعلهم ملكًا لهم بالسبي إلا إذا اختار الإمام المنَّ أو الفداء لما في ذلك من المصلحة للمسلمين) انتهى من "أضواء البيان" (٣/٣٨٧).

وهذا هو العدل لأن رد هؤلاء الأسرى إلى جيش العدو فيه تقوية له على قتالنا، وقتلهم فيه ضرر عليهم، وتركهم في بيوتنا ننفق عليهم بدون الاستفادة منهم فيه مشقة وكلفة علينا إضافة إلى أنهم أسرى حرب، فكان العدل أن ننفق عليهم وهم

يكفوننا العمل، وأهم من هذا وذاك حرص الإسلام على هدايتهم وذلك بقربهم ومخالطتهم للمسلمين، وكذلك إذا علموا أنهم إن أسلموا كان ذلك سببا لتحريرهم، وقد قال النبي ﷺ قال: «عَجِبَ اللهُ من قومٍ يدخلون الجنة في السلاسل» أي: أن أسرهم في الحرب كان سببا لهدايتهم ثم دخولهم الجنة.

ولهذا إذا أسلم فقد رغب الإسلام في إطلاقه وتحريره وفتح أبوابًا وطرقًا كثيرة إلى تحريره، بل جاءت بعض النصوص مطلقة لترغب في تحريره ولو لم يسلم.

ولقد كان الأسر في الحروب من أظهر مظاهر الاسترقاق، وكل حرب لابد فيها من أسرى، وكان العرف السائد يومئذ أن الأسرى لا حرمة لهم ولا حق، وهم بين أمرين إما القتل وإما الرق، ولكن جاء الإسلام ليضيف خيارين آخرين: المن والفداء، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [سورة محمد:٤]، ففي غزوة بدر أخذ النبي ﷺ الفداء من أسرى المشركين وأطلق سراحهم، وأطلق الرسول ﷺ كثيرًا من الأسرى في غزواته مجانًا، منَّ عليهم من غير فداء، وفي فتح مكة قيل لأهل مكة: «اذهبوا فأنتم الطلقاء».

وفي غزوة بني المصطلق تزوج الرسول أسيرة من الحي المغلوب ليرفع من مكانتها، حيث كانت ابنة أحد زعمائه، وهي أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، فما كان من المسلمين إلا أن أطلقوا سراح جميع هؤلاء الأسرى.

فالإسلام ليس متعطشًا لدماء الأسرى، بل ولا متعطشًا حتى لاسترقاقهم.

ومن هذا تدرك الصورة المحددة والمسالك الضيقة التي يلجأ إليها في الرق، وهو لم يلغه بالكلية؛ لأن هذا الأسير الكافر المناوئ للحق والعدل كان ظالمًا، أو معينًا على ظلم أو أداة في تنفيذه أو إقراره، فكانت حريته فرصة لفشو الطغيان والاستعلاء على الآخرين، والوقوف في وجه الحق، ومنعه من الوصول إلى الناس.

إن الحرية حق أصيل للإنسان، ولا يسلب امرؤ هذا الحق إلا لعارض نزل به، والإسلام عندما قبل الرق في الحدود التي أوضحناها فهو قيد على إنسان استغلَّ حريته أسوأ استغلال، فإذا سقط أسيرًا إثر حرب عدوان انهزم فيها، فإن إمساكه بمعروف مدة أسره تصرف سليم.

ومع كل هذا فإن فرصة استعادة الحرية لهذا وأمثاله في الإسلام كثيرة وواسعة.

كما أن قواعد معاملة الرقيق في الإسلام تجمع بين العدالة والإحسان والرحمة.

فمن وسائل التحرير: فرض نصيب في الزكاة لتحرير العبيد، وكفارات القتل الخطأ والظهار والأيمان والجماع في نهار رمضان، إضافة إلى مناشدة عامة في إثارة للعواطف من أجل العتق والتحرير ابتغاء وجه الله وقد جعله الله في سورة البقرة من أعظم أعمال البر التي يقوم بها الصادقون والمتقون وجعله في سورة البلد من اقتحام العقبة.

وهذه إشارات سريعة لبعض قواعد المعاملة المطلوبة عدلًا وإحسانًا مع هؤلاء:

١ - ضمان الغذاء والكساء مثل أوليائهم:

عن المعرور بن سويد قال: رأيت أبا ذرٍّ الغفاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وعليه حُلَّةٌ وعلى غُلَامِهِ حُلَّةٌ فسألناهُ عن ذلك فقال: إني ساببتُ رجلًا فشكاني إلى النبي ﷺ، فقال لي النبي ﷺ: «أعيَّرْتَهُ بأمِّهِ؟» ثم قال: «إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوهُ تحتَ يده فليطعمهُ مما يأكل وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم».

٢- حفظ كرامتهم:

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: «من قذف مملوكَهُ وهو بريءٌ مما قال جُلِدَ يوم القيامة، إلا أن يكون كما قال» رواه البخاري.

وعن أبي مسعود الأنصاري، قال: كنت أضربُ غلَامًا لي، فسمعت من خلفي صوتًا: «اعلم أبا مسعودٍ، للهُ أَقْدَرُ عليك منك عليه» فالتفتُّ فإذا هو رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله! هو حُرٌّ لوجهِ اللهِ، فقال: «أما لو لم تفعل للفحَتْكَ النارُ» أو: «لمستْكَ النار» رواه البخاري ومسلم.

٣- مراعاة مشاعرهم:

قال النبي ﷺ: «لا يَقُلْ أحدكم عبدي أمَتي، وليقل فتايَ وفتاتي وغُلامي».

٤- العدل مع الرقيق والإحسان إليهم:

وهي آخر وصية للنبي ﷺ عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: كانت عامَّةُ وصية رسول الله ﷺ حين حضرتْهُ الوفاةُ، وهو يُغَرْغِرُ بنفسه: «الصلاة وما ملكت أيمانكم» والإحسان إليهم هو أحد الحقوق العشرة التي أمر الله بها وحث

عليها في سورة النساء فإن منها ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴾[سورة النساء:٣٦] وروي أن عثمان بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ دَعَكَ أُذُن عبْدٍ له على ذنب فعله، ثم قال له بعد ذلك: تقدم واقرص أذني، فامتنع العبد فألح عليه، فبدأ يقرص بخفة، فقال له: اقرص جيدًا، فإني لا أتحمل عذاب يوم القيامة، فقال العبد: وكذلك يا سيدي: اليوم الذي تخشاه أن أخشاه أيضًا.

وكان عبد الرحمن بن عوف رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إذا مشى بين عبيدة لا يميزه أحد منهم؛ لأنه لا يتقدمهم، ولا يلبس إلا لباسهم.

ودخل رجل على سلمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فوجده يعجن –وكان أميرًا– فقال له: يا أبا عبد الله ما هذا؟! فقال: بعثنا الخادم في شغل فكرهنا أن نجمع عليه عملين!

٥- لا مانع أن يتقدم العبد على الحر في بعض الأشياء:

فيما يفضله فيه من شئون الدين والدنيا، وقد صحت إمامته في الصلاة، وكان لعائشة أم المؤمنين عبد يؤمها في الصلاة، بل لقد أمر المسلمون بالسمع والطاعة إذا تأمر عليهم عبد!

٦- وله أن يشتري نفسه من مالكه ويكون حرًّا:

فإذا حدث لأمر ما أن استرق ثم ظهر أنه أقلع عن غيه، ونسي ماضيه وأضحى إنسانًا بعيد الشر قريب الخير، فهل يجاب إلى طلبه بإطلاق سراحه؟ الإسلام يرى

إجابته إلى طلبه، ومن الفقهاء من يوجب ذلك ومنهم من يستحبه.

وهو ما يسمى عندنا مكاتبة العبد لمالكه (بمعنى أن العبد يشتري نفسه من مالكه أو سيده مقابل مال يدفعه له على أقساط) قال الله تعالى: ﴿... وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَكَاتِبُوهُمۡ إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗاۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمۡ...﴾[سورة النور:٣٣] بل في بعض الأحكام كان الحر يعاقب بعقوبة مضاعفة على عقوبة المملوك مراعاة لوضعه كما قال تعالى ﴿... فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ...﴾[سورة النساء:٢٥] فالأمة إذا زنت فعليها نصف الحد فقط.

هذا عدل الإسلام مع الرقيق وإحسانه إليهم، ومعاملته لهم، فكان من نتائج هذه المعاملة الحسنة: أن أصبح الرقيق صديقًا لمالكه في كثير من الأحيان، بل أحله بعضهم محل الابن، يقول سعد بن هاشم الخالدي في وصف غلام له:

ما هو عبد لكنه ولد ... خولنيه المهيمن الصمد
شد أزري بحسن خدمته ... فهو يدي والذراع والعضد

وكان من نتيجة معاملة المسلمين للأرقاء هذه المعاملة الحسنة اندماج الأرقاء في الأسر الإسلامية إخوة متحابين، حتى كأنهم بعض أفرادها.

يقول جوستاف لوبون في "حضارة العرب" (٤٥٩-٥٦٠): (الذي أراه صادقًا هو أن الرق عند المسلمين خير منه عند غيرهم، وأن حال الأرقاء في الشرق أفضل من حال الخدم في أوروبا، وأن الأرقاء في الشرق يكونون جزءًا من الأسرة... وأن

الموالي الذين يرغبون في التحرر ينالونه بإبداء رغبتهم... ومع هذا لا يلجأون إلى استعمال هذا الحق) انتهى.

وقد كان هناك أشخاص كانوا في الأصل رقيقًا وبسبب المعاملة الحسنة من المسلمين لهم ولآبائهم، أحبوا الإسلام حتى أقبلوا عليه بكليتهم علمًا وعملًا حتى صاروا من أئمة المسلمين الكبار، على سبيل المثال: ابن سيرين والحسن البصري وعكرمة مولى ابن عباس ونافع مولى ابن عمر أحد أشهر رواة الحديث شيخ الإمام مالك، وطاوُس بن كيسان اليماني، وعطاء بن يسار، وعطاء بن رباح ومكحول الشامي، ومجاهد، ومسروق مولى عائشة، وأبو العالية الرياحي، وغيرهم كثير من الأسماء اللامعة في تاريخ الفقه الإسلامي، وقد سُطرت أسماؤهم في أمهات كتب الشريعة.

وفي صحيح البخاري كان عمر يقول: أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا، يعني: بلالًا.

وقد اختار زيد بن حارثة أن يظل مملوكًا عند الرسول ﷺ ولا يذهب مع والده وعمه حرًّا، وقد كافأه الرسول ﷺ على ذلك فأعتقه ونسبه إليه، فكان يقال: زيد بن محمد حتى أبطل القرآن التبني بقوله: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [سورة الأحزاب:٥] وزوجه النبي ﷺ بنت عمته زينب بنت جحش القرشية، وجعله النبي ﷺ القائد الأول

في مؤتة وذكره الله في القرآن باسمه كما في آية الأحزاب.

كيف عامل غير المسلمين الرقيق؟

موقف اليهود من الرقيق:

ينقسم البشر عند اليهود إلى قسمين: بنو إسرائيل قسم، وسائر البشر قسم آخر.

فأما بنو إسرائيل فيجوز استرقاق بعضهم لبعض حسب تعاليم معينة نص عليها العهد القديم.

وأما غيرهم فهم أجناس منحطة عند اليهود، يمكن استعبادها عن طريق التسلط والقهر؛ لأنهم سلالات كتبت عليها الذلة باسم السماء من قديم.

جاء في الإصحاح الحادي والعشرين من سفر الخروج (٢-١٢) ما نصه: (إذا اشتريت عبدًا عبرانيًّا فست سنين يخدم، وفي السابعة يخرج حرًّا مجانًّا، إن دخل وحده فوحده يخرج، إن كان بعل امرأة تخرج امرأته معه، إن أعطاه سيده امرأة وولدت له بنين وبنات فالمرأة وأولادها يكونون للسيد، وهو يخرج وحده، ولكن إذا قال العبد: أحب سيدي وامرأتي وأولادي لا أخرج حرًّا، يقدمه سيده إلى الله، ويقربه إلى الباب أو إلى القائمة، ويثقب سيده أذنه بالمثقب يخدمه إلى الأبد).

أما استرقاق غير العبراني فهو بطريق الأسر والتسلط؛ لأنهم يعتقدون أن جنسهم أعلى من جنس غيرهم، ويلتمسون لهذا الاسترقاق سندًا من توراتهم المحرفة، فيقولون: إن حام بن نوح –وهو أبو كنعان- كان قد أغضب أباه، لأن نوحًا سكر يومًا ثم تعرى وهو نائم في خبائه، فأبصره حام كذلك، فلما علم نوح بهذا بعد استيقاظه غضب، ولعن نسله الذين هم كنعان، وقال: كما في التوراة في

"سفر التكوين" إصحاح (٩/٢٥-٢٦): (ملعون كنعان عبد العبيد يكون لإخوته، وقال: مبارك الرب إله سام، وليكن كنعان عبدًا لهم)، وفي الإصحاح نفسه (٢٧): (ليفتح الله ليافث فيسكن في مساكن سام، وليكن كنعان عبدًا لهم).

وفي سفر التثنية الإصحاح العشرون (١٤-١٠): (حين تقرب من مدينة لكي تحل بها استدعها إلى الصلح، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك، وإن لم تسالمك بل عملت معك حربًا فحاصرها، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة، كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك).

موقف النصرانية من الرقيق:

جاءت النصرانية فأقرت الرق الذي أقره اليهود من قبل، فليس في الإنجيل نص يحرمه أو يستنكره.

والغريب أن المؤرخ (وليم موير) يعيب نبينا محمدًا ﷺ بأنه لم يبطل الرق حالًا، مع تغاضيه عن موقف الإنجيل من الرق، حيث لم ينقل عن المسيح ولا عن الحواريين ولا عن الكنائس شيئًا في هذه الناحية، بل كان بولس يوصي في رسائله بإخلاص العبيد في خدمة ساداتهم، كما قال في رسالته إلى أهل إفسس.

أمر بولس العبيد بطاعة سادتهم كما يطيعون المسيح، فقال في رسالته إلى أهل إفسس الإصحاح السادس (٥-٩): (أيها العبيد! أطيعوا سادتكم حسب الجسد

بخوف ورعدة في بساطة قلوبكم كما للمسيح، لا بخدمة العين كمن يرضى الناس، بل كعبيد المسيح، عاملين مشيئة الله من القلب، خادمين بنية صالحة كما للرب ليس للناس، عالمين أن مهما عمل كل واحد من الخير فذلك يناله من الرب عبدًا كان أو حرًّا).

وفي المعجم الكبير للقرن التاسع عشر (لاروس): (لا يعجب الإنسان من بقاء الرق واستمراره بين المسيحيين إلى اليوم، فإن نواب الدين الرسميين يقرون صحته ويسلمون بمشروعيته).

الخلاصة:

أن دين النصارى ارتضى الاسترقاق تمامًا إلى يومنا هذا، ويتعذر على الإنسان أن يجد في كتب النصارى السعي إلى أبطال الرق أو حتى تحرير الرقيق.

وأقر القديسون أن الطبيعة جعلت بعض الناس أرقاء.

فرجال الكنيسة لم يمنعوا الرق ولا عارضوه، بل كانوا مؤيدين له، حتى جاء القديس الفيلسوف توماس الأكويني فضم رأي الفلسفة إلى رأي الرؤوساء الدينيين، فلم يعترض على الرق بل زكاه لأنه –على رأي أستاذه أرسوطو- حالة من الحالات التي خلق عليها بعض الناس بالفطرة الطبيعية، وليس مما يناقض الإيمان أن يقنع الإنسان من الدنيا بأهون نصيب.

وجاء في قاموس الكتاب المقدس للدكتور جورج يوسف: (إن المسيحية لم تعترض على العبودية من وجهها السياسي ولا من وجهها الاقتصادي، ولم تحرض

المؤمنين على منابذة جيلهم في آدابهم من جهة العبودية، حتى ولا المباحثة فيها، ولم تقل شيئًا ضد حقوق أصحاب العبيد، ولا حركت العبيد إلى طلب الاستقلال، ولا بحثت عن مضار العبودية، ولا عن قساوتها، ولم تأمر بإطلاق العبيد حالًا، وبالإجماع لم تغير النسبة الشرعية بين المولى والعبد بشيء، بل بعكس ذلك فقد أثبتت حقوق كل من الفريقين وواجباته).

أوروبا المعاصرة والرقيق:

من حق القارئ أن يسأل وهو في عصور النهضة والتقدم عن رائدة التقدم في هذه العصور، وعدد من كانوا يموتون بسبب طرق الاصطياد والاختطاف، وفي الطريق إلى الشواطئ التي ترسو عليها مراكب الشركة الإنجليزية وغيرها، ثم إن الباقين يموتون بسبب تغير الطقس، ويموت نحو ٤٪ أثناء الشحن، و١٢٪ أثناء الرحلة فضلًا عمن يموتون في المستعمرات.

ومكثت تجارة الرقيق في أيدي شركات إنجليزية حصلت على حق احتكار ذلك بترخيص من الحكومة البريطانية، ثم أطلقت أيدي جميع الرعايا البريطانيين في الاسترقاق، ويقدر بعض الخبراء مجموع ما استولى عليه البريطانيون من الرقيق واستعبدوه في المستعمرات من عام (١٦٨٠/١٧٨٦م) حوالي (٢١٣٠٠٠٠) شخصًا.

فعندما اتصلت أوروبا بإفريقيا السوداء كان هذا الاتصال مأساة إنسانية، تعرض فيها زنوج هذه القارة لبلاء عظيم طوال خمسة قرون، لقد نظمت دول أوروبا وتفتقت عقليتها عن طرق خبيثة في اختطاف هؤلاء واستجلابهم إلى بلادهم ليكونوا وقود نهضتها، وليكلفوهم من الأعمال ما لا يطيقون، وحينما اكتُشِفَتْ أمريكا زاد البلاء، وصاروا يخدمون في قارتين بدلًا من قارة واحدة.

تقول دائرة المعارف البريطانية (٢/٧٧٩) مادة Slavery: (إن اصطياد الرقيق من قراهم المحاطة بالأدغال كان يتم بإيقاد النار في الهشيم الذي صنعت منه

الحظائر المحيطة بالقرية حتى إذا نفر أهل القرية إلى الخلاء تصيدهم الإنجليز بما أعدوا لهم من وسائل).

وتم نقل مليون زنجي أفريقي إلى أمريكا مقابل موت تسعة ملايين أثناء عملية الاصطياد والشحن والنقل، وذلك في الفترة ما بين عام ١٦٦١م إلى عام ١٧٧٤م أي أن عشر الذين كانوا يصطادونهم فقط هم الذين يبقون أحياء، ويتم نقلهم إلى أمريكا، لا ليجدوا الراحة واللذة، بل ليجدوا السخرة والتعذيب.

وكان لهم في ذلك قوانين يخجل منها العقلاء، فكان من قوانينهم السوداء في ذلك: من اعتدى على سيده قُتِلَ، ومن هرب قطعت يداه ورجلاه وكوي بالحديد المحمى، إذا أبق للمرة الثانية قُتل! وكيف سيهرب وقد قطعت يداه ورجلاه.

ومن قوانينهم: يحرم التعليم على الرجل الأسود ويحرم على الملونين وظائف البيض.

وفي قوانين أمريكا: إذا تجمع سبعة من العبيد عُدَّ ذلك جريمة، ويجوز للأبيض إذا مر بهم أن يبصق عليهم، ويجلدهم عشرين جلدة.

ونص قانون آخر: العبيد لا نفس لهم ولا روح، وليست لهم فطانة ولا ذكاء ولا إرادة، وأن الحياة لا توجد إلا في أذرعهم فقط.

والخلاصة في ذلك: أن الرقيق من جهة الواجبات والخدمة والاستخدام عاقل مسؤول يعاقب عند التقصير ومن جهة الحقوق شيء لا روح له ولا كيان بل أذرعة فقط.

ثم أخيرًا وبعد قرون طويلة من الاستعباد والظلم تم تحرير البروتوكول الخاص بمنع الرق والعمل للقضاء عليه، والمحرر في مقر الأمم المتحدة عام ١٩٥٣م.

وهكذا لم تستفق ضمائرهم إلا في هذا القرن الأخير بعد ما بنوا حضارتهم على رفات الأحرار الذين استعبدوهم ظلمًا وقهرًا، وأي منصف يقارن بين هذا وبين تعاليم الإسلام العادلة الذي مضى له أكثر من أربعة قرناَ يرى أن إقحام الإسلام في هذا الموضوع أحق بالمثل السائر: رمتني بدائها وانسلت.

وهذا البيان لحقيقة الرق في الإسلام كما أنه رد لتلك الشبهة ونقضها وهدمها، فهو أيضًا جواب لتساؤلات بعض الشباب المسلم الذي تُساوره اليوم بعضُ الشكوك، كيف أباح الإسلام الرق؟ هذا الدين الذي لا شك في نزوله من عند الله، ولا شك في صِدقه، وأنه جاء لإسعاد البشرية كلها في الدنيا والآخرة إن تمسكت به، كيف أباح الرقَّ؟! الدين الذي قام على العدل والإحسان كما قال تعالى في الآية الفاذة: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل:٩٠] وهذا الصنف من الشباب المؤمن حاله كما قال الله تعالى عن خليله إبراهيم: ﴿قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي﴾ [سورة البقرة:٢٦٠]، أما الشباب الذي أفسد التغريب عقله وعقائده، حتى صار أداة لهم في الطعن في الإسلام، وأبى أن يفتح عينيه وأذنيه لمعرفة الحقيقة فهؤلاء حالهم كما قال الله تعالى: ﴿...فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ ...﴾ [سورة الصف:٥] .

والخلاصة: أن الإسلام لم يأمر بالرق وإنما أباحه في نطاق ضيق وبصورة عادلة، بينما أمر بالعِتق وحث عليه ورغب فيه، إن الإسلام صنع للرقيق ما لم يصنع غيره، بينما جاء غيره وشرع اختطاف الأحرار من بلادهم، وطبعهم بميسم الرق، ولقد كان اختطاف الأحرار هو المصدر الأكبر لانتشار الرقيق في القارات الخمس، بل كان المصدر الفذ للرق الذي عُرف في أوروبا وأمريكا في القرون الأخيرة، هؤلاء المظلومون من البشر أحرار وإطلاق أسراهم ليس تحريرًا للرقيق، إنما هو إعادة الحرية إلى أهلها.

ومما لا يخفى على أحد أن الأسرى من العدو كما هي عادة كل الدول اليوم لهم عقوبة، فهم من جيش عدو، وعادة الدول أن تزج بهم في معتقلات وسجون الله عليم بحالها، وما يحصل بداخلها من التعذيب والإهانة، وما يحصل لبعض النساء فيها من الاغتصاب والاعتداء، لكن عقوبتهم في الإسلام أن يوزعوا على بيوت المسلمين، يعيشون معهم وينخرطون في مجتمع المسلمين في أمان، وقد حرم الإسلام قتل النساء والصبيان والرهبان في المعركة ما لم يباشروا القتال بأنفسهم، أما مجرد خروجهم مع الجيش فلا يحل قتلهم.

ومما يدندن به أهل الباطل أن الإسلام أباح بيع الرقيق وشراءهم؟

والجواب: طالما هو في ملك غيره، وهو الذي تسبب في ذلك هو ودولته وجيشها، وذلك بمحاربتهم لدين الله وصد الناس عنه، ولهذا فإن للشخص الذي يملكه في هذا الوقت أن ينقل ملكه إلى شخص آخر بأي طريقة من الطرق المعروفة

في الفقه الإسلامي كالهدية أو أخذ مقابل مالي، ولسنا ننكر أن الرق ذل، وهو الذي جنى على نفسه، ومما يجب على المسلمين وهو واجب كفائي أن ينشروا التوحيد في الأرض وهو عبادة الله وحده لا شريك له، ومن صد الناس عن توحيد الله قاموا بردعه، ودين الله وتوحيد الله يجب أن يكون أعظم الأولويات وأهم الضروريات قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات:٥٦]، وتجب المحافظة على دين الله وحمايته والدفاع عنه وصد المعتدين عليه.

وحكم المرأة التابعة لجيش العدو والتي وقعت في الأسر كغيرها من النساء، فقد أُذن الشرع بالعلاقة بين الرجل وأمَتِه، واعتبر ملكه لأمَتِه بمثابة عقد النكاح، لكنه أدنى درجة من العقد على الحرة؛ إذ أن الحرة لها الخيار في القبول أو الرفض، أما الأمة فليس لها ذلك، وهذا من العدل؛ إذ ليست الزوجة المسلمة أو الزوجة الكتابية كمن كانت في جيش العدو، وهذا وإن كان فيه شيء من العقوبة، لكنه بالنظر إلى كونها في الأصل أسيرة حرب، هذا إذا كانت المصلحة تقتضي عدم إطلاقها بدون مقابل أو بمقابل مالي أو تبادل أسرى، وإذا ملكها الشخص وجاء له منها أولاد تصير حرة بعد موته مباشرة.

وهناك من يحتج علينا بموقف الرئيس الأمريكي أبراهام لينكولن من الرق حيث أصدر قرار في عام ١٨٦٢م بإلغاء الرق من اليوم الثاني من القرار، وهذا قرار شجاع منه لرد الحرية لأولئك الذين اختطفوا ظلمًا وعدوانًا، ولم يشاركوا في حرب ولا جيش، إلا أن القرار كانت له آثار سلبية كبيرة استمرت لسنوات طويلة، لأن

الأمور المتأصلة في المجتمع لا تعالج بهذه الطريقة، وإنما تعالج بخطوات حكيمة ومدروسة حتى لا يفشل القرار أو يكون الثمن باهضًا، والواقع أكبر شاهد، فعندما لم يكن العبيد بين قوسين (الأحرار) متهيئين نفسيًا واقتصاديًّا واجتماعيًّا وثقافيًّا لهذا القرار، بل ولا الشعب الأمريكي كان متهيئًا لهذا القرار، قامت حرب أهلية لمدة خمس سنوات سقط ضحيتها مليون إنسان ما بين قتيل ومعوق، وقُتِل أبراهام لينكولن، واستمرت الفوارق بين السود والبيض إلى بعد مائة وخمسين سنة من القرار بحيث وصل الأمر أن يتزاحم السود على الصنبور الخاص بهم للشرب مع فراغ الصنبور الخاص بالبيض، ثم السؤال الذي يطرح نفسه كيف تتعامل اليوم أمريكا أو اليهود أو غيرهم مع أسرى الحرب سواء كانوا رجالًا أو نساء، سجن أبو غريب وجوانتا نامو والسجون اليهودية خير شاهد.

ولهذا من العجائب أن ينتقد اليوم أحكام الإسلام في الرق، التي قامت على أساس من العدل والرحمة، من يتحكم اليوم في الدول والشعوب بقوة السلاح وهذا نوع من الإذلال والقهر والاسترقاق، لكن بطريقة متحضرة وإذا ظفروا بمن لم يستسلم لهم تفننوا في الإنتقام منه بالقتل والشنق «إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت».

ومع كل هذا أتعجب من هذه الانهزامية عند بعض المسلمين أمام الغرب رغم ما عند الغرب من البوائق العظام والأخطاء التي لا تحصى.

هذا هو حقيقة ما يتعلق بالرق في الإسلام.

انظر: كتاب "تلبيس مردود في قضايا خطيرة" للشيخ الدكتور صالح بن حميد

إمام الحرم المكي.

خلاصة الكلام عن عقوبة الردة في الإسلام

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإنَّ من الأحاديث التي زايد عليها أهل الباطل حديث: «من بدَّلَ دينَه فاقتلوه» وسيرى القارئ الكريم أنَّ مزايدتهم ما هي إلا كبالون الهواء، لا يُكلفك أكثر من وخزةٍ واحدةٍ.

وقَبل نفخ هذه الفقاعة أو وَخزها فهنا كلمة لابُدَّ مِنها ألا وهي أن بعض الدكاترة أمثال (عدنان إبراهيم والسويدان وشحرور والكيالي) ممن تَصدر منهم للكلامِ على عقوبة المرتد أتوا بأمورٍ عَجيبةٍ كقولهم: حديث: «من بدَّلَ دينَهُ فاقتلوه» إنما هو أمرٌ سياسي، قالوا: ولهذا لم يُذكر في القرآن.

بل زَعموا أنه مخالف للقرآن وأنَّ في القرآن أكثر من عشرين دليلًا كلها تنص على ما أسموه هم (حرية الدين) أو(حرية الاعتقاد) والحقيقة عندما يتكلم في العلم مَن ليس من أهله يأتي بالعجائب وبما لم يقله أحد من أهل العلم.

وهؤلاء لم يُعرفوا بالتخصص في أيِّ فنٍ من فنون العلم، لا في الفقه ولا في الحديث ولا في التفسير ولا في العقيدة ولا حتى في اللغة العربية، وإنما هم كتَّابٌ ومثقفون نفختهم وسائل الإعلام، وثقافتهم خليط ومزيج من ثقافات مختلفة.

ومع أنَّ الدين كتاب وسنة كما قال الله تعالى ممتنًّا على نبيه ﷺ بإنزال الكتاب

والحكمة: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ [سورة النساء:١١٣] والحكمة هي السنة كما قاله كثير من المفسرين.

وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [سورة الحشر:٧]، وقال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [سورة النساء:٥٩]، ومعنى: (إِلَى اللهِ)، أي: إلى القرآن ومعنى إلى (الرَّسُولِ)، أي: إلى شخصه ﷺ في حياتِهِ وإلى سنتِهِ بعد موتِهِ، وسنته محفوظةٌ؛ لأنها من الدِّين ومِن الذِّكر الذي أنزله الله وتكفل بحفظِهِ قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ [سورة النجم:٣-٤]، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [سورة الحجر:٩].

والذين يقولون: (الدِّين فقط ما جاء في القرآن) أنا لا أدري هَل يعونَ ما يقولون؟! لأن هذا حتى في الواقع لا يمكن، فما عرفنا أحكام الصلاة والزكاة والصيام والحج وغيرها إلا من السُّنَّة، بل وجاءت السنة بأحكامٍ مستقلةٍ كثيرة، نعم لا يمكن أن يتعارض القرآن والسنة تعارضًا حقيقيًّا من كل وجهٍ أبدًا؛ لأن الكل حقٌّ والكل من عند الله.

وقد قال رسول الله ﷺ مخبرًا عن هذا النوع ومحذرًا منه سواء الذي يقول الدِّين هو القرآن فقط أو من يرد السُّنَّة الصحيحة إذا خالفت هواه:

قال رسول الله ﷺ: «يوشك أحدكم أن يُكذِّبني وهو متَّكِئٌ على أريكتِهِ

يُحدِّثُ بحديثي، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه من حلالٍ استحللناه، وما وجدنا فيه من حرامٍ حرَّمناه، ألا وإن ما حرَّم رسول الله ﷺ مثل ما حرَّمَ الله»، وهو حديث صحيح أخرجه السنن وأحمد في المسند.

وقد قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾[سورة الأحزاب:٣٦].

وهناك حديث موضوع مكذوب على النبي ﷺ يردده بعض من يزعم أن هناك أحاديث صحيحة تخالف القرآن ويكذبون على النبي ﷺ أنه قال: «إذا رُوي عنِّي حديث، فاعرِضوه على كتاب الله، فإذا وافقه فاقبلوه، وإن خالفه فردُّوه».

وما أحسن ما قاله الإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ لإبطال هذه الشبهة وإبطال هذا الحديث وأنَّ هذا الحديث المكذوب هو الذي خالف القرآن وليس الأحاديث الصحيحة، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ولقد فعلنا بهذا الحديث ما طلبه منا، فعرضناه على القرآن، فوجدناه يُخالفه، في قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[سورة الحشر:٧] وغيره، فحمكنا بوضعه وبراءة النبي ﷺ منه).

فالشاهد مع أن الدِّين قرآنٌ وسنةٌ إلا أنه قد جاء في القرآن ما يدل على حدِّ الردة، فقد قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[سورة البقرة:٢١٧].

وقد أشار العطف في قوله: ﴿فَيَمُتۡ﴾ بالفاء المفيدة للتعقيب إلى أن الموت يعقب الارتداد، وقد علم كل أحد أن معظم المرتدين لا تحضر آجالهم عقب الارتداد فيعلم السامع حينئذ أن المرتد يُعاقب بالموت عقوبةً شرعيةً، فتكون الآية بها دليلًا على وجوب قتل المرتد، وهذا من بدائعه.

ومعنى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الله تعالى قال: ﴿وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ﴾، والفاء تفيد التعقيب، أي: يموت بعد ردته مباشرة، ثمَّ قال وهل كل مرتد يموت بعد وقوعه في الردة مباشرة؟

والجواب: لا، قال: إلا أن يُحمل على إقامة العقوبة الشرعية عليه وهي الموت بالقتل، وهذه العقوبة لها شروط نذكرها فيما بعد إن شاء الله.

وأترك القارئ لينظر بنفسه إلى الفرق بين من عنده علمٌ وبين هؤلاء الدكاترة.

فإذا قال قائل: لماذا ذُكِرت الردة عن الدِّين صَراحةً في آيتي البقرة والمائدة ولم يُذكر الحد فيهما صراحة؟

فالجواب واضح من سياق الآيتين، قال تعالى في آية البقرة: ﴿وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[سورة البقرة:٢١٧] .

وهنا ذكر أن من ارتد حبط عمله في الدُّنيا والآخرة، وهو في النار من الخالدين.

وفي آية المائدة قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ

ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة المائدة:٥٤] فقد اختلف جواب الشرط لـ(مَن) الشرطية في الآية الثانية عن الآية الأولى، لاختلاف الغرض الذي لأجله جاءت الآية.

ففي آيةِ سورةِ البقرة كان جواب الشَّرط عن حُكم أعمالهم في حال ماتوا على رِدتهم، وأنها حبطت وفسدت ورُدَت عليهم في الدنيا والآخرة وهم خالدون في جهنم.

وفي آية سورة المائدة كان جواب الشرط إخبارًا عن حدثٍ سيأتي، وهو أن نفرًا ممن أسلموا سيرتدون عن دين الله، وحينئذٍ سوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه.

فليس في الآيتين دليلٌ على انتفاءِ حُكم القتل للمرتد قطعًا، بل في آية البقرة ما يَدل عليه كما في كلام ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وأما السنة فقد جاءت أحاديث كثيرة وعن جمعٍ من الصحابة عن عثمان وعلي وابن مسعود ومعاذ وابن عباس وأبي موسى الأشعري ﷺ جميعًا فمنها حديث ابن عباس ☹ في البخاري وغيره: «من بدَّل دينه فاقتلوه».

ومنها حديث عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلٍ، قَالَ: كُنَّا مَعَ عُثْمَانَ وَهُوَ مَحْصُورٌ فِي الدَّارِ، وَكَانَ فِي الدَّارِ مَدْخَلٌ، مَنْ دَخَلَهُ سَمِعَ كَلَامَ مَنْ عَلَى الْبَلَاطِ، فَدَخَلَهُ عُثْمَانُ، فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَهُوَ مُتَغَيِّرٌ لَوْنُهُ، فَقَالَ: إِنَّهُمْ لَيَتَوَاعَدُونَنِي بِالْقَتْلِ آنِفًا، قَالَ: قُلْنَا: يَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: وَلِمَ يَقْتُلُونَنِي؟ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: كُفْرٌ بَعْدَ إِسْلَامٍ، أَوْ زِنًا بَعْدَ

إِحْصَانٍ، أَوْ قَتْلُ نَفْسٍ بِغَيْرِ نَفْسٍ "، فَوَاللَّهِ مَا زَنَيْتُ فِي جَاهِلِيَّةٍ، وَلَا فِي إِسْلَامٍ قَطُّ، وَلَا أَحْبَبْتُ أَنَّ لِي بِدِينِي بَدَلًا مُنْذُ هَدَانِي اللَّهُ، وَلَا قَتَلْتُ نَفْسًا، فَبِمَ يَقْتُلُونَنِي؟»

والحديث في الصحيحين بدون ذكر قصة حصار عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وهي مذكورة في السنن بسند صحيح.

وقد أجمع العلماء على هذا الحكم الذي دلَّت عليه هذه الأحاديث وقد نقل الإجماع غير واحد من أهل العلم.

وأما زعمهم بأن عقوبة المرتد مخالفة للقرآن بل وزعموا أن هناك أكثر من عشرين آية على ما أسموه هم (حرية الدِّين)، وقبل تفنيد هذا الزعم لا أدري من أين أتوا بهذا المصطلح الذي أسموه حُرية الدِّين!

فلم يُذكر في القرآن ولا في السنة ولم يقل به أحد لا من الصحابة ولا من أئمة الإسلام لا من أهل التفسير ولا من غيرهم، وإنما هو مصطلح معاصر تبنته الديمقراطية والعلمانية، والعلمانية لا تُريد لا دين الإسلام ولا حتى الأديان المحرفة.

ثم القول بأنَّ القرآن أباحَ للناس أن يختاروا الكفر هذا غلط كبير، نعم. أنت حُرٌّ فيما تختار أنت لنفسك، وأنت الذي تتحمل عواقب ذلك وتبعاته، لكن أن يقال بأن القرآن أباح للناس أن يختاروا الكفر فهذا لا يمكن ولم يقل به أحد من أهل العلم، قال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [سورة الزمر:٧]

.

والله لا يدري الشخص على من يرد هل يرد على أعداء الإسلام أم يرد على من يتكلم باسم العلم والدين، وهؤلاء الدكاترة لهم أخطاء كثيرة موجودة في مواقع التواصل الاجتماعي نسأل الله لنا ولهم الهداية، وإذا جئنا لبعض الآيات التي زعم هؤلاء الدكاترة أنها تدل على حرية الدِّين وأن حديث من «من بدَّل دينه فاقتلوه» مخالفٌ لها لم نجد شيئًا من ذلك، وخذوا أول آية وهي قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [سورة البقرة:٢٥٦] فالآية تتحدث عن الإكراه على الدخول في الإسلام، ولهذا قال بعد ذلك: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾، والحديث يتحدث عن الخروج من الإسلام بعد الدخول فيه، هذا على تفسير الآية بهذا المعنى.

وإلا فقد ذهب جمعٌ من المحققين أن الآية تتحدث عن أن الإكراه أصلًا غير ممكن؛ لأنَّ إيمان القلب لا يستطيع أحد أن يُكره أحدًا عليه.

وهكذا الآية الثانية: ﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [سورة يونس:٩٩] يقال فيها ما قيل في الآية الأولى.

أما قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا﴾ [سورة الكهف:٢٩]، فهذا للتهديد وليس للإباحة، ولهذا قال تعالى بعد ذلك: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا...﴾، وهكذا قوله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سورة فصلت:٤٠] هو للتهديد، كما

قال أهل التفسير، ولهذا ختمها بقوله: ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، وهذا كما تقول لولدك –ولله المثل الأعلى– بعد أن استفرغتَ كل ما في وسعك من النصح له ولم يستجب ولم يسمع النصح فتقول له: (اعمل ما شئت)، أو: (اعمل الذي في رأسك).

وليس معنى اختيار الشخص للكفر أنه يجوز له ذلك أو يباح له ذلك أو يعفى من العقوبة كما هو معلوم.

وأما من زعم أن هناك من ارتد في زمن الرسول ﷺ ومع هذا لم يُقم عليه حد الردة: فإن كان المقصود أن هذا المرتد بقي بين أظهر المسلمين يغدو ويروح مظهرًا لردته، ولم يقتل: فهذا لم يقع قط، وإن كان المقصود أن هناك من ارتد وفارق المسلمين ولحق بالكفار، فمن هؤلاء من لم يقتلهم النبي ﷺ لعدم التمكن منهم فهذا صحيح، ومن هؤلاء عبد الله بن سعد بن أبي سرح فقد ارتد ولحق بقريش وقد أمر النبي ﷺ بقتله فشفع فيه عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقبل الرسول ﷺ شفاعته، وفي بعض الروايات أنه جاء تائبًا، أو يُحمل على أنه كان ممن ترجى توبته فتُرِك، وقد تاب وحسنت توبته وهو أحد الفاتحين لإفريقيا، وقد ذكر ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "المغني" أن المرتد يترك ما رجيت توبته" وأشار إليه ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "الصارم المسلول"، وعليه يحمل ما جاء عن عمر والثوري والنخعي لأن الإسلام جاء لإنقاذ الناس من الكفر والهلاك ولم يأتِ لقتلهم، وعندما قال أحد المشركين في بعض المعارك: (لا إله إلا الله) وقتله أسامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عاتبه النبي ﷺ

عتابًا شديدًا مع أن هذا المشرك كان قد قتل في المسلمين وعندما أحاطوا به قالها، وقد قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء:١٠٧]، ولهذا يقال لهؤلاء الدكاترة إما أن تتكلموا بعلمٍ أو اتركوا الميدان لغيركم، ومن توهم منكم أن مثل هذه الأحاديث تنفر الناس عن الإسلام فهذا الوهم يزول إذا سلكنا الطريقة العلمية الصحيحة لبيان معنى هذه الأحاديث.

وأما بالنسبة للرد على اليهود والنصارى وغيرهم الذين طعنوا في الإسلام وقالوا بأنه يرغم الناس على الإسلام بالقوة فالرد عليهم لا يكون بهذه الطريقة وهي التشكيك في الأحاديث الصحيحة التي أطبق أئمة الإسلام على صحتها وعلى ما دلت عليه فمع أن هذه الطريقة الخاطئة تُزعزع ثقة كثير من الشباب بالسنة الصحيحة، بل صار أعداء الإسلام يستدلون بكلامكم للطعن في الإسلام وللطعن في مثل هذه الأحاديث، فهي أيضًا غير مُجدية مع أعداء الإسلام، كما قال تعالى: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [سورة البقرة:١٢٠]، ثم لسنا أحرص على الدِّين من الذي أنزله وأنزل فيه هذه الأحكام المبنية على العلم والحكمة، ولسنا أحرص على الدِّين من الذي أُنزِلَ عليه وهو رسول الله ﷺ الذي شرع هذه الأحكام، ولسنا أحرص وأغير على الدِّين من الصحابة وأئمة الإسلام الذين بذلوا في سبيله النَّفس والنفيس، وإذا شرحنا هذه الأحكام بطريقة علمية متينة زال الإشكال عند المنصفين منهم أما المعاند منهم

فأمره إلى الله كما قال الله: ﴿وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ﴾[سورة البقرة:١٣٧] .

ونَقول للغرب إذا كنتم لا تُعظمون دين الله فهذا شأنكم أما نحن فدين الله عندنا أغلى من كل شيء حتى من أنفسنا، وقد قال ﷺ: «لا يؤمنُ أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده، والناس أجمعين».

وقال ﷺ: «لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى يُحب المرء، لا يحبه إلا الله، وحتى أن يقذف في النار أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله، وحتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما».

وقد قال الله تعالى ذامًّا لمن لا همَّ لهم إلا الدنيا وشهواتها: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ﴾ [سورة محمد:١٢]، ونقول لهم: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ [سورة الكافرون:٦]، ﴿لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ﴾ [سورة القصص:٥٥] .

ونقول لهم: أليس في قوانينكم أحكام تصل إلى الإعدام مثل الخيانة العظمى فدين الله أحق بالحماية، بل هو أعظم الضرورات الخمس التي يجب حمايتها وهي الدين والنفس والعقل والعرض والمال.

ونقول لهم: ألستم لأغراض سياسة خبيثة ومطامع دنيوية تافهة وحقيرة تقتلون الناس بلا عدد وبأبشع الطرق، تحرقونهم وتدفنونهم تحت ركام الحديد والإسمنت

والحجارة وتقطعونهم أشلاء بلا مراعاة لطفل وشيخ ورجل وامرأة.

ألستم تسنون قوانين تترفع عنها حتى الحيوانات مثل اللواط الذي يسمونه هم: (الزواج المثلي) فأنتم أولى وأحق بالانتقاد.

ومع كل هذا أتعجب من هذه الانهزامية عند بعض المسلمين أمام الغرب رغم ما عند الغرب من البوائق العظام والأخطاء التي لا تحصى والتي لا تساوي أخطاء بعض المسلمين أمامها شيئًا.

ومن العجائب والعجائب جمة: أنَّ العلمانيين يُعطون الحق للبشر في سن القوانين، وفي المقابل يرفضون الاحكام التي شرعها رب العالمين، ويجرمون الاعتداء على البشر؛ وتجريم الاعتداء على البشر صحيح؛ لكنهم في المقابل لا يُجرمون من يعتدي على الرسل بل ولا على من هو أعظم من الرسل، والمرتد عندهم حُرٌّ ومن تريد أن تتعرى من النساء فيه حُرَّة، لكن من تريد أن تُغطي جسمها عن الرجال هذه ليست حُرَّة؟

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [سورة الصافات:١٥٤] من أحق بالتشريع رب العالمين أم البشر؟! ومن أحق بالعقوبة من يعتدي على البشر أم من يعتدي على حرمة الدين؟! بل على أعظم من ذلك كمن يسب رب العالمين علنا –والعياذ بالله-، ومن أحق بالاحترام العارية أم المتسترة؟! نعوذ بالله من انتكاس الفطر، والمحزن عندما تسمع من يصدقهم.

والخلاصة: حد الردة أو عقوبة المرتد أمرٌ شرعه الله لحكم ومصالح عظيمة

خاصة وعامة، وليس القصد منه سفك دماء الناس وإنما القصد منه الردع والزجر، ولو أمكن عمل إحصائية للذين أسلموا ثم فعلًا ارتدوا وأعلنوا ردتهم ثم أعطاهم السلطان أو القضاء مهلة لمراجعة أنفسهم بعد أن أزال عنهم كل شبهة كانت في عقولهم، وإزالة الشبهة عنهم هذا هو أهم أمر حتى يرجعوا إلى رُشدهم، فأصروا على ردتهم فحكم عليهم بعقوبة المرتد، لن تجد شيئًا يُذكر بينما لو نظرت فعلًا إلى الذين يُقتلون كل يوم بغير حق ويقتلون ظلمًا من المسلمين لوجدتهم بالملايين ولن تجد من يبكي عليهم، وعندها تُدرك أن القصد هو محاربة الإسلام.

والإسلام لا يكرِه أحدًا على اعتناقه كما قال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ [سورة البقرة:٢٥٦]، لكن إذا أسلمت بقناعتك فالإسلام ليس مهزلة ولا لعبًا بل هو دين الله الذي له أركانه وشروطه وواجباته وحدوده، تريد أن تلعب اذهب العَب في غير الإسلام في النصرانية أو البوذية أو الهندوسية، والعجيب أنَّ الشخص إذا دخل دولة ذات نظام وسيادة لا يسمح له بمخالفة قوانينها ويقول: أنا حُر، بل إن خالف قد يُسجن وقد يُعاقب بالمال وقد تصل العقوبة إلى القتل.

وأما من يقول: (اليوم إذا عُلم الشخص أن عقوبة من ارتدَّ عن الإسلام هو القتل فلن يُسلم).

والجواب على هذا من ثلاثة أوجه:

الأول: أن يقال مع أنَّ هذه العقوبة لا تُقام حاليًّا في أيِّ دولةٍ مسلمةٍ تقريبًا، ومع هذا نقول لهم ليس من شروط الدخول في الإسلام أن يُخبر بهذه الأحكام التي قد

لا يستوعبها الآن فعلًا، وإنما المطلوب أن ينطق بالشهادتين وقد كان الناس يدخلون في دين الله أفواجًا في الوقت الذي كان هذا الحد لو صار فعلًا وارتدَّ فالقضاء يتولى عقوبته وإقامة الحد عليه وليس أي شخص وقد يترك القضاء عقوبته إذا ترتب على عقوبته مفسدة أكبر من مفسدة ردته.

ومما ينبغي أن يُنظر إليه في هذا الأمر بعين الاعتبار ما يَترتب على إعلان المرتد ردته من مفاسد عامةٍ وخاصةٍ، ففيه: إساءة إلى دين الله وإلى المجتمع المسلم، وفيه: التلاعب بدين الله، وقد يتأثر به ضعاف النفوس والجهلة ويقولون ما تركه إلا لما رأى فيه من خلل وعيبٍ كما قال تعالى عن مكر بعض اليهود في المدينة: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [سورة آل عمران:٧٢]، وقد قال تعالى: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [سورة البقرة:١٩١] أي: فتنة الناس في دينهم.

وسيدركُ كل إنسان ما في أحكام الله من المصالح والحِكَم، سيدرك ذلك اليوم أو غدًا وأنَّ هذه الحدود وهذه العقوبات هي للمحافظة على دين الله ولحماية الناس من الهلاك والعذاب، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [سورة آل عمران:٩١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [سورة النساء:١١٦].

الأمر الثاني: يبعدُ جدًّا أن يدخل شخص في الإسلام ويعرف حقيقته ثم يتركه كما قال (هرقل) لأبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وسألتك: أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب»؛ لأنه دين الفطرة والعلم والدين الذي تقبله العقول السليمة.

الأمر الثالث: قال تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [سورة الأنبياء:٢٣]، وقال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيحه: (وقال الزهري: من الله الرسالة، وعلى رسول الله ﷺ البلاغ، وعلينا التسليم).

وقد قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة آل عمران:١٧٦].

وأخيرًا: هل عقوبة المرتد تُسمى حدًّا أم هي عقوبة شرعية للمرتد على ردته الأمر واسع فمن أهل العلم من أدخلها في الحدود، ومنهم مَن لم يدخلها في الحدود مع إجماعهم على أنَّ هذا هو عقوبة المرتد، ولم يقولوا هو أمرٌ سياسي وإنما لم يدخلوه في الحدود، قالوا: لأن الحدود إذا بلغت السُّلطان وبلغت القضاء فلابدَّ من إقامتها بينما المرتد إذا تاب تُرِك، وقالوا: الحدود كفارةٌ لأهلها وقتل المرتد لا يُكفر عنه ذنب ردته وإنما هو قطعٌ لشرهِ وزَجرٌ لغيرهِ وحمايةٌ لدين الله من التلاعب وسدًّا للباب أمامَ من يُريد أن يدخل في الإسلام لمصلحةٍ ثم يخرج.

ولا شك أنَّ في الإسلام الحدود وفيه القصاص ومن الفوارق بين الحدود والقصاص أنَّ القصاص يُقبل فيه العفو من أهل الحق حتى بعد بُلوغه السلطان بخلاف الحد، وفي الإسلام التعزير، ففي الإسلام العقوبات المختلفة وكلها مبينةٌ على العلمِ والعدلِ والحكمةِ والرحمةِ ودرءِ المفاسد وجلب المصالح.

القسم الرابع: وفيه الرد على الطاعنين في الأعلام وفي كتب السنة وكتبت فيه أربعة مقالات:

١ - تدوين السنة ودعاوى أهل الباطل.

٢ - حتى الصحابة لم يسلموا منهم.

٣ - أنت الذي سقطت وليس البخاري.

٤ - ابن تيمية مفخرة من مفاخر أهل الإسلام.

تدوين السنة ودعاوى أهل الباطل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

أما بعد

فإن أهل الباطل ومنذ أن بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم وهم يسعون بكل وسيلة وطريقة لإطفاء نور الله ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة التوبة:٣٢].

فليس القصد من هذه الحملة على السنة ليصححوا لنا معلومة فليسوا أهلا لذلك لا علما ولا نصحا، وقد قال الله عنهم ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [سورة آل عمران:١١٨].

وتصحيح المعلومة لا تؤخذ من الجاهل بشرع الله والعدو له، وإنما تؤخذ من أهل العلم الناصحين.

ومن طعونات أهل الباطل في السنة زعمهم أن السنة لم تُحفظ ولم تدون إلا في زمن متأخر يزيد على مائة وثمانين سنة من بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذه الفرية وهو أن السنة لم تُحفظ ولم تدون إلا في وقت متأخر وذلك في الخلافة العباسية، فرية عارية عن العلم والتحقيق تبناها اثنان من المستشرقين بينهما خمسون عاما وأخذها عنهما هؤلاء الكتّاب بدون تحقيق، وإنما بقصد تارة وبجهل تارة

أخرى، فتصدى لهم أهل العلم فهدموا تلك الشبهة من أساسها بل وبينوا أساسها ومنبعها، وممن تصدى لهم الشيخ الدكتور المحقق محمد مصطفى الأعظمي الهندي رحمه الله وهي رسالته الدكتوراة والتي أخذ عليها جائزة الملك فيصل العالمية للدفاع عن السنة، وقد رد على المستشرقين وعلى هؤلاء الكتاب وأبطلها بالحجة والبرهان، ومن أحسن وأقوى الكتب في هدم هذه الشبهة كتب الخطيب البغدادي خاصة كتابه تقييد العلم فقد ذكر فيه كتابة الحديث من زمن الرسول صلى الله عليه وسلم إلى زمنه رحمه الله، وهناك إحصائية لعدد الذين كتبوا من الصحابة والتابعين وأنهم أكثر من مائة سواء الذين كتبوا كتابات مستقلة أو صحف لأحاديث خاصة، قدمت تلك الإحصائية بحوث علمية، ذكر ذلك معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، والإسلام كتاب وسنة، كما قال تعالى ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [سورة النساء:٥٩] قال المفسرون يُرد إلى شخصه في حياته وإلى سنته بعد مماته، وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ يَنْثَنِي شَبْعَانًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ) حديث صحيح كما قال أهل العلم أخرجه أحمد وهو عند أصحاب السنن، وهذا الذي يقول يكفينا القرآن ولسنا بحاجة بعد ذلك إلى الرجوع والاعتماد على السنة النبوية، إما أنه عدو يريد هدم الشريعة أو جاهل لا يعرف شيئا عن الإسلام، فهل عرفنا عدد الصلوات

وأحكام الزكاة والصيام والحج وأحكام المعاملات وكثيرا من الواجبات والمحرمات إلا من السنة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقد تكفل الله بحفظ الوحي والذكر والإسلام والشريعة فقال ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [سورة الحجر:٩]. وممن حفظ الله بهم السنة أصحاب الكتب الستة (البخاري ومسلم وأبو داوود والنسائي والترمذي وابن ماجه) لكن ليس أصحاب الكتب الستة أول من كتب الحديث كما يزعم أهل الباطل الذين يقولون كيف يُعتمد على أصحاب هذه الكتب وبينهم وبين الرسول أكثر من ١٨٠ سنة، فقد سبقهم أئمة في المدينة النبوية كالإمام مالك بن أنس الذي يقول في الموطأ حدثني نافع عن ابن عمر عن الرسول صلى الله عليه وسلم

وهكذا الإمام عبد الرزاق الصنعاني وغيرهما، ومن أكبر المصادر في الحديث، مسند الإمام أحمد ابن حنبل وهو متقدم على أكثر أصحاب الكتب الستة، وأحاديث الكتب الستة لا تخرج عن الكتب التي سبقتها.

أما لماذا لم تدون السنة مبكرا كالقرآن؟

فالجواب كان الناس يعتمدون على الحفظ وكانوا حفاظا لم يفسد حفظهم ما أفسد حفظ الناس اليوم، مع أنه يوجد اليوم من يحفظ الكتب الستة عن ظهر قلب، ولشدة حرصهم على المصدر الأول القرآن بدأوا به، ثم دونت الأحاديث بعد ذلك ولا تغرنكم كثرة الكتب فهي أسانيد أكثر من ما هي أحاديث فالأحاديث الصحيحة حول خمسة عشر ألف حديث تقريبا.

مع أن تدوين السنة بدأ في زمن الصحابة رضي الله عنهم لكن لم يُجمع الحديث كاملا في زمن الصحابة كما جُمع القرآن، ومما يدل على ذلك حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وهو حديث صحيح أخرجه أبو داوود وأحمد وغيرهما (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ : كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرِيدُ حِفْظَهُ، فَنَهَتْنِي قُرَيْشٌ، وَقَالُوا : أَتَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ تَسْمَعُهُ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَشَرٌ يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا ؟ فَأَمْسَكْتُ عَنِ الْكِتَابِ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَوْمَأَ بِأُصْبُعِهِ إِلَى فِيهِ فَقَالَ : " اكْتُبْ ؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ " .

والحديث الثاني حديث أبي هريرة في البخاري قال رضي الله عنه: مَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدٌ أَكْثَرَ حَدِيثًا عَنْهُ مِنِّي، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ؛ فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ وَلَا أَكْتُبُ.

وأبو هريرة أكثر حديثا من عبد الله ابن عمرو وليس كما ظن رضي الله عنهما

واستمر تدوين السنة كذلك في زمن التابعين ومن ذلك صحيفة همام بن منبه التي أخرجها كاملة الإمام أحمد في المسند، وأخرج جملة منها صاحبا الصحيح البخاري ومسلم، وصحيفة سهيل ابن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة وصحيفة هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة وصحيفة عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وصحيفة بهز بن حكيم عن أبيه عن جده، وغيرها.

فليس الأمر كما يزعم هؤلاء الكتاب أن تدوين السنة كان بعد ما يزيد عن ١٨٣

سنة من موت الرسول صلى الله عليه وسلم، وإنما اكتمل تدوينها في عصر هؤلاء الأئمة.

ومن الأسئلة التي يطرحها هؤلاء الكتّاب؟

أين خطب الجمعة للنبي صلى الله عليه وسلم؟

والجواب هذا الإيراد إنما يصدر ممن يجهل حقيقة خطب النبي صلى الله عليه وسلم والتي كانت كما قال الصحابة حمدا لله والحث على تقوى الله، وليست كخطب بعض الناس اليوم، وإليكم هذا الحديث الصحيح:

قال الإمام مسلم حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ خُبَيْبٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَعْنٍ ، عَنْ بِنْتٍ لِحَارِثَةَ بْنِ النُّعْمَانِ قَالَتْ : مَا حَفِظْتُ { ق } إِلَّا مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَخْطُبُ بِهَا كُلَّ جُمُعَةٍ، قَالَتْ : وَكَانَ تَنُّورُنَا وَتَنُّورُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاحِدًا.

فلا غرابة أن ينقل الصحابة كل صغير وكبير حتى عدد الشعرات البيض في رأس ولحية الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا ينقلون تفاصيل خطب الجمعة لما سمعتم، وعندما اشتملت خطبة عرفة وهكذا الكسوف على بعض الأحكام نقلوا تلك الخطب بتفاصيلها، وعندما كان النبي صلى الله عليه وسلم يذكر شيئا في خطب الجمعة غير الوصية بتقوى الله والتذكير بالجنة والنار، ينقله الصحابة بكل دقة، حتى ذكروا قوله لمن دخل وجلس، قم فصلِ ركعتين وتجوز فيهما، ونقلوا لنا

دعاء الاستسقاء الذي دعى به النبي صلى الله عليه وسلم في الخطبة، وما عدا ذلك نقلوا لنا صفة خطبه وأنها كانت موعظة وتذكير بتقوى الله والجنة والنار ونحو ذلك.

أما دندنتهم وقولهم بأن أصحاب الكتب الستة لم يكونوا من العرب فهذا يدل على الإفلاس الذي وصل إليه هؤلاء الكتاب، والإسلام جاء ليقضي على العنصرية الجاهلية، والنبي صلى الله عليه وسلم قال لمن يعير الناس بمثل هذه الأمور (إنك امرؤ فيك جاهلية) وصح عن علي رضي الله عنه أنه قال سلمان منا آل البيت.

﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ [سورة الإسراء: ٢٠].

وها هو إمام النحو سيبويه غير عربي، والقاموس المحيط في اللغة مؤلفه الفيروز آبادي ومحدث العصر من ألبانيا.

وأخيرا ليس هؤلاء الكتّاب أحرص وأغير على حفظ دين الله من الصحابة والتابعين وتابعيهم والأئمة الأربعة وغيرهم الذين بذلوا النفس والنفيس لحفظ دين الله وقُتِل من قُتِل منهم وسجن بعضهم وضرب بعضهم ومات بعضهم في البر وبعضهم في البحر حتى وصل دين الله إلينا كما أنزله الله مصداقا لقوله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [سورة الحجر: ٩]، وهم الذين يُعتمد على حفظهم ونقلهم وعلمهم وقولهم وليس هؤلاء الكتاب.

والذكر قرآن وسنة كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [سورة النساء: ١١٣]، وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ

وَٱلْحِكْمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ [سورة الأحزاب:٣٤].

وقد كان عند علماء الحديث من العناية والدقة والصدق ما يعجز عنه ويفتقده أمثال هؤلاء الكتاب، حتى قال الإمام العلم الحافظ علي بن المديني شيخ البخاري وقد سُئِل عن والده وهل يؤخذ عنه الحديث فقال كما في المجروحين لابن حبان (هذا دِين، الوالد ضعيف) وقد سلك صاحبا الصحيح البخاري ومسلم خاصة، طريقا شاقا في جمع حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ولهم شروط شديدة وقاسية في الرواة الذين يخرجون لهم الحديث في كتابيهما تتعلق بالعدالة والضبط واتصال السند والسلامة من الشذوذ والعلة إلى غير ذلك من الأمور والعلوم التي لا يعرفها فضلا عن أن يحسنها هؤلاء الكتّاب.

وما تبناه هؤلاء الكتّاب من الطعن في السنة النبوية بهذه الطريقة يهدم القواعد التي مشى عليها الناس في القديم والحديث في العلوم النقلية والعقلية وتجارب الناس في الطب وغيره، وهو الاعتماد على الحفظ وقبول ما يتواتر نقله، وما ينقله الثقات، ثم اعتماده وتدوينه.

ولا ينتهي عجب الشخص كيف خفي هذا الأمر على علماء المسلمين كل هذه القرون، حتى جاء هؤلاء الكتّاب بعد ١٤٠٠ سنة واكتشفوا هذا السر، وأعجب من ذلك من يصدقهم في ذلك أو يقبل أو يتعاطف مع كلامهم أو ينقله، إنا لله وإنا إليه راجعون من الحال الذي وصل إليه البعض، والذي ينطبق عليه هذا الحديث الصحيح:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " قَبْلَ السَّاعَةِ سِنُونَ خَدَّاعَةٌ، يُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ "

أكتفي بهذه النقاط وهي كافية لمن كان صادقا في البحث عن الحقيقة والله من وراء القصد.

حتى الصحابة لم يسلموا منهم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمة للعالمين وحجة على الخلق أجمعين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد بلغ الأمر بالطاعنين في كتب السنة وأحاديثها إلى الطعن في رواتها من الصحابة كأبي هريرة رضي الله عنه، شبهتهم في ذلك، أن أبا هريرة لم يصحب الرسول صلى الله عليه وسلم إلا أربع سنوات فكيف كان أكثر الصحابة رواية لأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن شبههم أن بعض الصحابة قد أنكر على أبي هريرة كثرة الرواية، ولهم شبه أخرى نرد عليها تبعا.

والجواب عن هذه الشبه سيكون في نقاط:

الأولى: لا قبول لطعن أحد في الصحابة بعد مدح الله لهم ومدح رسوله صلى الله عليه وسلم لهم بالصدق والإخلاص والإيمان والتقوى، ومراجعة الصحابة لبعضهم البعض في الرواية ليس من باب الطعن في بعضهم، وإنما هو من باب التثبت في الرواية. وخذو هذا المثال: عن عروة بن الزبير ☹، قَالَ: قَالَتْ لِي عَائِشَةُ: يَا ابْنَ أُخْتِي بَلَغَنِي أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو، مَارٌّ بِنَا إِلَى الْحَجِّ، فَالْقَهُ فَسَائِلْهُ، فَإِنَّهُ قَدْ حَمَلَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِلْمًا كَثِيرًا، قَالَ: فَلَقِيتُهُ فَسَاءَلْتُهُ عَنْ أَشْيَاءَ يَذْكُرُهَا عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ عُرْوَةُ: فَكَانَ فِيمَا ذَكَرَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ اللهَ لَا يَنْتَزِعُ الْعِلْمَ مِنَ النَّاسِ انْتِزَاعًا، وَلَكِنْ يَقْبِضُ

الْعُلَمَاءَ فَيَرْفَعُ الْعِلْمَ مَعَهُمْ، وَيُبْقِي فِي النَّاسِ رُءُوسًا جُهَّالًا، يُفْتُونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَيَضِلُّونَ وَيُضِلُّونَ» قَالَ عُرْوَةُ: فَلَمَّا حَدَّثْتُ عَائِشَةَ بِذَلِكَ، أَعْظَمَتْ ذَلِكَ وَأَنْكَرَتْهُ، قَالَتْ: أَحَدَّثَكَ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ هَذَا؟ قَالَ عُرْوَةُ: حَتَّى إِذَا كَانَ قَابِلٌ قَالَتْ لَهُ: إِنَّ ابْنَ عَمْرٍو قَدْ قَدِمَ، فَالْقَهُ، ثُمَّ فَاتِحْهُ حَتَّى تَسْأَلَهُ عَنِ الْحَدِيثِ الَّذِي ذَكَرَهُ لَكَ فِي الْعِلْمِ، قَالَ: فَلَقِيتُهُ فَسَاءَلْتُهُ، فَذَكَرَهُ لِي نَحْوَ مَا حَدَّثَنِي بِهِ، فِي مَرَّتِهِ الْأُولَى، قَالَ عُرْوَةُ: فَلَمَّا أَخْبَرْتُهَا بِذَلِكَ، قَالَتْ: مَا أَحْسَبُهُ إِلَّا قَدْ صَدَقَ، أَرَاهُ لَمْ يَزِدْ فِيهِ شَيْئًا وَلَمْ يَنْقُصْ. رواه مسلم.

الثانية: أبو هريرة ومثله ابن عباس، حصل لهما من الحفظ ما لم يحصل لكثير من الصحابة الذين سبقوهم إلى صحبة الرسول صلى الله عليه وسلم، لأسباب، منها بركة دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم لهما بالحفظ والفقه، ومنها تفرغهما الكامل لملازمة الرسول صلى الله عليه وسلم في السفر والحضر ثم ملازمتهما لكبار الصحابة بعد موته صلى الله عليه وسلم ثم تفرغهما لنشر العلم في مكة والمدينة، ولهذا كثر الآخذون عنهما الحديث والعلم، وقد عاش أبو هريرة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم خمسين سنة يعلم الناس حديثه صلى الله عليه وسلم، ثم الواقع لا ينفي مثل هذا، والأمثلة كثيرة من الواقع لأشخاص حصلوا علما كثيرا في مدة يسيرة، لأسباب توفرت فيهم، وقبل هذا وذاك ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾.

الثالثة: ومع أن أبا هريرة من كبار الصحابة ﵃، وقد زكى الله الصحابة وشهد

لهم بالصدق والإخلاص والإيمان والتقوى، وشهد لهم رسوله ﷺ بذلك، إلا أن عامة ما رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قد رواه غيره من الصحابة، أو جاء في الشريعة ما في معناه، أو ما يشهد له، كما قال العلامة المعلمي في الأنوار الكاشفة، فلم ينفرد برواية تلك الأحاديث، بل شاركه غيره من الصحابة في رواياتها، وقد كان أبو هريرة رضي الله عنه يقول لَوْلَا آيَتَانِ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا حَدَّثْتُ حَدِيثًا، ثُمَّ يَتْلُو: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠﴾ [سورة البقرة:١٥٩-١٦٠].

ومع شدة حرص أبي هريرة على نشر الأحاديث النبوية، إلا أنه كان يمسك عن بعض أحاديث الفتن، وهذا من الفقه والحكمة، أما أهل الباطل فاتخذوا ذلك وسيلة للطعن فيه، فلا رضوا عنه عندما سكت ولا رضوا عنه عندما حدث، وهؤلاء لا عبرة بموافقتهم ولا بمخالفتهم.

إذا رضـيـتْ عني كرامُ عشـيرتي فلا زال غضـبـاناً علَّي لئـامُهـا

وهذه بعض الأدلة والبراهين والشهادات في هذا الرد المختصر على شبههم فيما يتعلق بالصحابي الجليل أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

١- قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (شهدت من رسول الله ﷺ ذات يوم، وقال: «من يبسط رداءه حتى أقضي مقالتي، ثم يقبضه، فلن ينسى شيئًا سمعه مني»،

فبسطت بردةً كانت علي، فو الذي بعثه بالحق ما نسيت شيئًا سمعته منه) البخاري ومسلم.

٢- روى البخاري عن أبي هريرة أنه قال:قلت:يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد ظننت يا أبا هريرة ألا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالًصا من قلبه أو نفسه».

٣- روى الترمذي عن ابن عمر أنه قال لأبي هريرة:يا أبا هريرة، أنت كنت ألزمنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحفظنا لحديثه؛ (حديث صحيح)، (صحيح سنن الترمذي للألباني حديث: ٣٠١٣).

٤- قال محمد بن قيس بن مخرمة:أتى رجل زيد بن ثابت، فسأله عن شيء، فقال: عليك بأبي هريرة. (سير أعلام النبلاء (٢/٦١٦).

٥- قال الشافعي:أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره؛ (الإصابة لابن حجر العسقلاني (٤/٢٠٣).

٦- قال البخاري:روى عن أبي هريرة نحو من ثمانمائة رجل أو أكثر من أهل العلم، من الصحابة والتابعين وغيرهم؛ (أسد الغابة لابن الأثير (٥/٣٢٤).

وختاما لو كان في هؤلاء غيرة على الإسلام كما زعموا لوجهوا سهامهم إلى الإلحاد، وإلى كشف مخططات اليهود والنصارى، وإلى الطاعنين في القرآن وفي

الرسول، وإلى دعاة الرذيلة، بل حالهم كما قيل: أسد عليَّ وفي الحروب نعامة.

أما أن تكون الغيرة على الدين بالطعن في أصول الإسلام ونقلته من الصحابة وغيرهم، فهذا أمر لم تسمع به أذن الزمان، ومن عيون الشعر:

تَعصـــي الإلـه وأنـت تُظهـر حُبَّـهُ ... هــذا محــالٌ في الـقـيـاسِ بـديـعُ
لو كـان حُبُّـكَ صــــادقًـا لأطعتَـهُ ... إنَّ المـحِـبَّ لِـمَـنْ يُحِبُّ مُـطـيـعُ

وختاما هذه كلمات مختصرة في الدفاع عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا أقل واجب علينا أمام أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين قدموا النفس والنفيس في سبيل نشر دين الله حتى وصل إلينا، فرضي الله عنهم، وأخزى الله منتقصهم، فلا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق قال َصَّلى اللَّهُ َعلَيهِ وَسَّلمَ: آيةُ ٱلإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصار، وآيةُ النِّفَاقِ بغْضُ الأَنْصَارِ. رواه البخاري ومسلم.

وَقال ﷺ: «لا تسبوا أَصحَابِي؛ فلوْ أَنَّ أَحدَكمْ أنفقَ مْثلَ أُحُدٍ َذهبًا، َما َبلَغَ مدَّ أَحدِهِم، وَلا َنصيفَهُ» رواه البخاري ومسلم.

ورضي الله عن سلالة ملوك اليمن جرير بن عبد الله البجلي وهو من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، إلا أنه كان إذا صحب الأنصار خدمهم لخدمتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم، عنْ َأنَسِ بْنِ مَالِكٍ َقاَل: َخَرجْتُ معَ جرِيرِ بنِ عْبدِ اللَّهِ ٱلْبَجِليِّ في سَفرٍ، َفكَانَ يَخْدُمنِي، فَقلْتُ َلهُ: َلا تَفعل. فَقَاَل: إِنِّي َقدْ َرأَيْتُ الأَنْصارَ تَصَنعُ برَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيئًا، آَليْتُ أَنْ لا أَصحَبَ أَحدًا مْنُهمْ إِلَّا َخدمتهُ.

رواه البخاري ومسلم

وقد كُتِبَت ردود كثيرة في الدفاع عن أبي هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي اليماني رضي الله عنه، ومن آخرها كتاب شيخنا العلامة المحدث الدكتور محمد بن عبد الله الأعظمي رحمه الله وأسكنه الفردوس الأعلى من الجنة. واسم الكتاب، أبو هريرة في ضوء مروياته.

والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا.

أنت الذي سقطت وليس البخاري

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمة للعالمين وحجة على الخلق أجمعين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

لقد هالني ما رأيت من هجمة على كتب السنة وعلى وجه الخصوص صحيح البخاري حتى أنك تشعر أنك أمام جيوش منظمة، اختلفت مشاربها واتفقت كلمتها على حرب كتب السنة، وصدق الله إذ يقول: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة التوبة: ٣٢-٣٣].

ومع أن بعضهم يحاول أن يتستر بالغيرة على الدين أو الرسول، وأن هذه الأحاديث بزعمه تسيء إلى الإسلام أو إلى الرسول، إلا أن بعضهم لا يستطيع إخفاء ما في قلبه من حقد وعداء للإسلام ولكتب السنة، وهذا يظهر من فلتات ألسنتهم وطريقة طرحهم وأسلوب نقدهم للأحاديث التي يزعمون أن فيها خطئا أو غلطا أو أنها تخالف القرآن أو العقل، وتدرك أن القصد هو الطعن في كتب السنة، بل في أصح كتاب بعد كتاب الله، وفي أصح كتب السنة وهو صحيح البخاري، حالهم كما قال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ

يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة محمد:٢٩-٣٠].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [سورة آل عمران:١١٨].

وهذه الحملة مقصودة من البعض بلا شك لتشويه صورة الإسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، حتى يمهدوا بذلك للإسلام الذي يريده الغرب ويريده اليهود اليوم، وهو ما يسمونه إسلام التسامح، ثم يقولوا هذا الإسلام غير صالح اليوم ولا يناسب العصر الحاضر، والذي يناسب العصر، هو الإسلام الذي قد أعدوه وفرغوه من محتواه، إسلام لا دخل له بوثنية ولا بكفر ولا بزنا ولا بربا ولا بلواط ولا بمعروف ولا بمنكر، ولئن فعلوا هذا بالنصرانية، فلن يقدروا على دين الله الإسلام، الذي رضيه الله لأهل الأرض، وتكفل بحفظه إلى قيام الساعة، ودين الإسلام هو عبادة الله وحده لا شريك له، والإيمان بجميع الرسل، واتباع شريعة خاتمهم صلى الله عليه وسلم،

ومن عناوينهم التي تدل على مكرهم وكيدهم، سقطت قداسة البخاري، وذلك عندما يذكر أحدهم حديثا من أحاديث الإمام البخاري، وقد زعم أن فيه خطئاً أو غلطاً، والحقيقة أن قائل هذا الكلام هو الذي سقط، وليس صحيح الإمام البخاري، وقد سقط من قبل ومن بعد، ويحكى أن ذبابة وقفت على نخلة عملاقة

فهَّمت الذبابة بالرحيل فقالت للنخلة استمسكي فإني راحلة عنك؛ فقالت النخلة في استعلاء لهذه الحشرة ارحلي فوالله ما شعرت بك حينما وقفت عليَّ فهل سأتأثر إذا رحلتي عني.

ولولا ترويج وسائل الإعلام ومواقع التواصل بقصدٍ تارة وبجهلٍ تارة لكلامهم وباطلهم، لما استحقوا الرد، ومما يزيدك يقينا وأن القصد هو تشويه صورة الإسلام، وليس النقد العلمي، وذلك بالطعن في المصدر الثاني من مصادر التشريع وهو السنة الصحيحة، أن هؤلاء الذين يطعنون في كتب السنة، هم ما بين نصراني وعلماني وملحد وغير هؤلاء من الحاقدين على الإسلام، أو منحرف عن الإسلام ببدعة وهوى، أو منحرف هالك في الشهوات المحرمة، أو مستأجر، أو مشبوه، وليس الأمر كما تقول قناة الحرة العربية وأمثالها أن علماء الدين ترتعد فرائصهم عندما يسمعون من ينتقد صحيح البخاري إلى آخر الهراء الذي قالته، فهذا الكلام مغالطة مفضوحة، فعلماء الشريعة يحترمون النقد العلمي المؤصل من المختصين، ويرفضون العبث بعلوم الشريعة، ويردون على العابثين والمستأجرين والمشبوهين والمتطاولين على علوم الشريعة.

وهناك من يقول ما المانع من النظر في كلامهم وقبوله إن كان حقا.

والجواب هذا الكلام يقوله من لم يعرف حقيقة الأمر، سواء فيما يتعلق بالمتكلِّم وهم الطاعنون في كتب السنة وفي صحيح البخاري على وجه الخصوص، أو فيما يتعلق بالمتكلَّم فيه وهو صحيح البخاري.

إننا حقيقة أمام أزمة لا تمسَّ البخاري ولا كتب السَّنة فقط، وإنما تضرب القواعد العلمية لكل علم من علوم الأرض، بحيث يختلط العلم بالجهل، والأسس المنهجية بالنزعات العبثية والفوضوية.

المسألة ليست مسألة تقديس للبخاري، ولو كانت المسألة كذلك لاتجه الناس إلى موّطأ الإمام مالك إمام دار الهجرة، أو مسند ابن حنبل إمام أهل السَّنة، بل لقدَّسوا مرويَّات البخاري نفسه في كتبه الأخرى، فالمسألة عند العارفين مسألة علمية منهجية، لا علاقة لها بالأشخاص مهما علا كعبهم، وعظمت منزلتهم.

إننا هنا ربما نكون بحاجة إلى أن نبسَّط الأمر لغير المختصين، فنقول: إن البخاري لا يختلف أبداً عن هؤلاء الأعلام، وربما فيهم من تفَّوق عليه في أكثر من مجال حتى في علوم السَّنة نفسها، لكن منهجية البخاري في كتابه هذا هي التي ميَّزت الكتاب، فالعلماء لهم مناهج مختلفة في تدوين السَّنة، منهم من يجمع مرويَّات كل صحابيِّ على حدة، ومنهم من يجمعها بحسب الموضوعات، ومنهم من يجمع الأحاديث ولا يحكم عليها، ومنهم من يجمعها ويحكم عليها في مواضعها، كما فعل الإمام الترمذي، فهو يروي الحديث مذيَّلاً بحكمه عليه، فيقول مثلاً: هذا حديث صحيح أو حسن أو غريب أو منكر، أما الإمام البخاري فقد أفرد الصحيح فقط في كتاب مستقل، وتبعه الإمام مسلم على ذلك، وهذا لا يعني أن الأحاديث الصحيحة عند البخاري أو مسلم أكثر منها عند الترمذي أو أحمد، إن البخاري نفسه قد بنى كتابه الآخر في الحديث «الأدب المفرد» بمنهجية مختلفة ضَّمت

الصحيح وغيره، وهو كتاب عظيم الفائدة، لكن العلماء لم يرفعوه إلى مستوى كتابه الأول، بل فَّضلوا عليه كثيراً من كتب السنَّة، وهذا دليل واضح على أن المسألة لا علاقة لها بتعظيم الأشخاص أو تقديسهم. وهنا لا بد من الإجابة عن سؤال قد يرد في هذا المجال: لماذا لم يأخذ بقية المحدثين بمنهجية البخاري ما دامت هي الأعلى والأفضل؟ ولماذا لم يلتزم البخاري نفسه بمنهجيته هذه في كتبه الأخرى؟ ولاختصار الجواب نقول، لو اقتصر المحدَّثون على هذه المنهجية لفات الأمة خير كثير، فالأحاديث التي هي دون الصحيح لا تعني أنها باطلة أو مكذوبة، وقد يرتقي كثير منها إلى درجة الصحيح باعتضادها ببعضها، ثم إن شروط البخاري في الصحيح متشددة جداً حتى في مستوى الأحاديث الصحيحة، والعلماء قد يرون التشدد والاحتياط في أحاديث العقائد والأحكام المتعلقة بالحقوق والدماء والأموال، لكن هذا التشدد لا نحتاجه في الفضائل والنوافل، خاصة إذا كان لها أصل في الشرع، وليست الأحاديث شديدة الضعف، بل هي من قبيل الحسن لغيره.

أما انتقادات الإمام الدارقطني لصحيح البخاري، والتي يدندن حولها هؤلاء المبطلون، فيا ليتهم قد قرأوها بالفعل، ويا ليتهم قد قرأوا أيضاً مناقشة العلماء لهذه الانتقادات، خاصة مناقشات الإمام ابن حجر العسقلاني، لنتأكد أنهم جادَّون في البحث عن الحق والحقيقة.

إن انتقادات الدارقطني تثبت أن شهادة العلماء لصحيح البخاري جاءت بعد

نقد وتمحيص ومناقشات تخصصية معمقة، وليس عن تقديس أو انبهار.

هناك من يردد سؤالاً آخر مؤدَّاه، ماذا نفعل إذا وجدنا في البخاري ما يعارض القرآن الكريم، أو يعارض العقل؟ وهذا السؤال بدأ يتردد مع هذه الموجة كجزء من حملة التشويه ومحاولة النيل من مكانة البخاري وصحيحه، بل النيل من السَّنة النبوية كلها، باعتبار أن صحيح البخاري هو أصحَّ كتب السنَّة، فالتشكيك به تشكيك بها سواه بطريق الأولى، ثم هو اتهام لكل علماء الأمة المتفقين على صحة الصحيح، أنهم ما كانوا يفهمون القرآن الكريم، ولا يفهمون البديهيات العقلية، وكأنهم ساروا صمّاً وعمياناً وراء البخاري، ومن المفارقات الغريبة هنا أن الأمة وهي تعيش اليوم أسوأ محطاتها التاريخية جهلاً وتخبطاً وتخلفاً، يظهر فيها من يتطاول على الأمة في عصورها الذهبية التي كانت فيها سيِّدة العالم قوَّة وعلماً وحضارة!

لقد فات هؤلاء أن علاقة السَّنة بالقرآن وعلاقتها بالعقل من أشهر المباحث العلمية عند علمائنا، فهذا الإمام ابن الجوزي يضع قاعدته الذهبيَّة: «كل حديث رأيته يخالف المعقول أو يناقض الأصول فاعلم أنه موضوع»، وهنا يأتي الإمام زُفَر تلميذ أبي حنيفة ليفرِّق تفريقاً دقيقاً بين العقل وبين مجرد الرأي، فيقول: «إنما نأخذ بالرأي ما لم يجئ الأثر، فإذا جاء الأثر تركنا الرأي وأخذنا بالأثر»، وهذا الغزالي رحمه الله -وهو من هو في المدرسة العقلية- يقول بالمعنى نفسه: «القياس على خلاف النصَّ باطل قطعاً»، ثم يأتي شيخ الإسلام ابن تيمية ليبسط القول في كل ذلك بكتابه العظيم «درء تعارض العقل والنقل».

ثم يأتي هؤلاء اليوم ليوهموا البسطاء أنهم قد تنبَّهوا لقضية خطيرة لم يتنبَّه لها الأوائل!

ولا يوجد حديث سواء في صحيح البخاري أو في غيره إلا وقد شرحه العلماء كلمة كلمة، وإن كان فيه ما يشكل على بعض الناس بينوا ذلك، لكن هب أنك أو غيرك لم تقتنع بما ذكره أهل العلم في حديث ما، فهل معنى ذلك أن تتطاول على السنة وعلى أهل العلم بالطعن والقدح، أم ترد ما اشتبه عليك علمه إلى الله، ثم إلى الأصول المتفق عليها مثل عصمة الرسول، والإجماع، وغير ذلك، وتعلم أن ذلك حق وإن خفي عليك وجه كونه حق، مع أن هذا نادر لأن الإسلام قام على العلم والحجة والبرهان، وهو دين الفطرة السليمة والعقل السليم. إلا أن هذه الطريقة هي طريقة الراسخين في العلم وهو رد المتشابه إلى المحكم فيزول الإشكال، وهذا بخلاف الذين في قلوبهم مرض فإنهم يتبعون المتشابه ابتغاء الفتنة، وهؤلاء هم الذين حذر منهم الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عنْ عائشةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: تَلا رسُولُ اللَّه ﷺ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [سورة آل عمران:٧]، قالت: قَال ر سُولُ اللَّه ﷺ: «إذا رأَيْتُم الذين يتَّبعُون ما تشابه منهُ، فأُولَئكَ الَّذ ين سمَّى اللَّهُ، فَاْحذرُوهُمْ».

ومن الأمور المتفق عليها بين الناس أن الاعتماد في أخذ المعلومات إنما يكون عن طريق أهل الاختصاص في كل فن، وإلا فسدت الأمور، فتشخيص المرض، ووصف الدواء له إنما يؤخذ عن طريق الأطباء، وليس عن طريق التجار والسياسيين، وكذلك الفتوى وتصحيح الأحاديث وتضعيفها إنما يؤخذ عن طريق المختصين من أهل العلم، وقديما قيل: إنما يفسد الناس نصف متكلم ونصف فقيه ونصف نحوي ونصف طبيب هذا يفسد الأديان وهذا يفسد البلدان وهذا يفسد اللسان وهذا يفسد الأبدان، هذا إذا كان نصف؟ فكيف يكون الفساد إذا لم يكن لا نصف ولا ربع ولا عشر؟

يقول لك آخر: إنه يريد أن يرَّسخ في الأمة مرجعية القرآن الكريم، ولذلك فهو يضعَّف كل حديث يعارض القرآن ولو كان في صحيح البخاري، هنا تظن لأول وهلة أنك أمام باحث مختص في القرآن الكريم وتفسيره، عارف بأصوله وفروعه، ومحكمه ومتشابهه، ومكَّيه ومدنيَّه، ومتضلع قبل كل هذا بلغة القرآن وأسلوبه، لكنك تُفاجأ حينما تعلم أن هذا وأمثاله ربما لا يحسنون تلاوة القرآن أصلاً، وربما جاءوا بالمضحكات حينما يحاولون تفسير كلمة أو آية من آيات القرآن.

أما أولئك الذين يرفعون شعار الاحتكام إلى القرآن فقط، ومن ثم هم يرفضون البخاري والسَّنة النبوية من أساسها، فهؤلاء يناقضون القرآن قبل السَّنة، فالقرآن هو الذي ألزمنا بطاعة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والتأسي به، فقال: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ

ٱلۡمُبِينُ﴾[سورة المائدة:٩٢]، وقال: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ [سورة الأحزاب:٢١]، ثم من الناحية العملية، كيف يمتثل هؤلاء لقول ربهم: «أقيموا الصلاة» والقرآن لم يفَّصل لنا أحكام الصلاة ولا أركانها ولا شروطها؟ وهكذا ُقل في أغلب العبادات والأحكام العملية.

من هنا ندرك أن استهداف السَّنة إنما يقصد به استهداف الإسلام كله، واستهداف هوية الأمة وثوابتها والأواصر التي تجمعها، وهذا لا يعني سدَّ باب البحث والنقد العلمي بأصوله وضوابطه، فبين النهجين والمقصدين بعد ما بين المشرقين والمغربين.

وبعضهم تراه يردد كلمات وعبارات، تفهم من مجملها أن عقدته مع البخاري تكمن في تصوَّره أن التشبث بالبخاري يعني عنده الجمود على الماضي والعجز عن مواكبة العلوم الحديثة ومتطلبات العصر، ولا أدري كيف برزت أمام ناظريه هذه المشكلة في وقت نرى فيه هذا الجيل -إلا ما ندر- منشغلاً بأمور أخرى لا تمتَّ إلى البخاري بصلة، فمتابعة لعبة الكرة مثلاً مقدَّمة عندهم على متابعة دروسهم وواجباتهم بل صلاتهم، ناهيك عن أولئك الذين غرقوا في أوحال الرذيلة والمخدرات، ثم لنسأل هؤلاء: ما الدراسة العلمية التي أوصلتكم إلى هذا التشخيص؟ وكم نسبة هؤلاء الشباب الذين شغلتهم أحاديث البخاري قياساً ببقية شباب الأمة؟

ربما ترى صنفاً آخر يتضايق جداً من البخاري، لا لشيء إلا لأنه لم يفهم لماذا حظي البخاري بهذه المكانة، ولماذا كان صحيحه أصحَّ كتاب بعد القرآن الكريم، فتراه يتساءل بغضب وانفعال: لماذا هذا الغلو؟ لماذا هذا التقديس؟ وهذه التساؤلات يمكن أن نتفهمها، خاصة مع شيوع حالة من المفاهيم والتصورات المغلوطة عن البخاري.

إن البخاري ليس هو من قال: إن كتابي هذا هو أصح الكتب في هذا العلم، وإنما هذه هي شهادة أهل الاختصاص على مرَّ القرون، دون أن يملك البخاري أية سلطة للتأثير على هذه الشهادة، كما أن هذه الشهادة ليست غريبة في أي مجال علمي، فبكل تأكيد هناك مصادر معتمدة في علم الطب بناء على شهادة الأطباء، وهنالك مصادر معتمدة في الفلك أو الفيزياء أو الكيمياء، فهل يجوز أن نشكّك في كل ذلك، بحجة أن هؤلاء الأطباء أو غيرهم من كل الاختصاصات غير معصومين وغير مقدَّسين؟ انتهى وهذا من درر الكلام الذي وقفت عليه في بعض المواقع.

وأجدني بحاجة في هذا المقال المختصر إلى ذكر كلمات عن الإمام البخاري وعن كتابه الصحيح، حتى يعرف أولئك من هو البخاري، ووالله لو كان البخاري عند غيرنا من اليهود والنصارى وغيرهم لكان له شأن آخر، مع أن الإسلام يرفض الغلو بكل أشكاله.

وسأجعل الكلام على شكل نقاط، آملاً أن أصل بها إلى المقصود:

١- ولد محمد بن إسماعيل البخاري يوم الجمعة في ١١ شوال عام ١٩٤هـ

ببخارى، وتوفي في ليلة عيد الفطر ٢٥٦هـ في خرنتك من قرى سمرقند.

٢- كان والده إسماعيل من رواة الحديث، وأخبر عند موته أنه لا يعلم في ماله درهماً من حرام، ولا درهماً من شبهة!! -

٣- قال البخاري عن نفسه: أُلهمت حفظ الحديث وأنا في الكُتَّاب (المدرسة الابتدائية)، وكان عمره يناهز العشر سنين!

٤- تنقل في البلاد طلباً لسماع الحديث الشريف من شيوخه ورواته، فسافر إلى الشام، ومصر، والبصرة، والكوفة، وبغداد، وأقام في مكة والمدينة ست سنين.

٥- قال عن نفسه: كتبت عن ألف وثمانين نفساً ليس فيهم إلا صاحب حديث، وبدأ المحدثون يكتبون عنه وسنَّه حوالي (١٨) سنة.

٦- كان محمد بن إسماعيل يتمتع بذاكرة مدهشة، يحفظ ما يسمع من المرة الأولى .قال أحد زملائه في الطلب، كان يذهب معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام فلا يكتب !فلما مضى ستةَ عشر يوماً لُمناه، فقال: أكثرتم علي، فاعرضوا عليَّ ما كتبتم، فأخرجناه له، فقرأ الأحاديث التي كتبناها كلّها عن ظهر قلب حتى جعلنا نصحح كتبنا من حفظه!!

٧- قصة الإمام البخاري مع محدثي بغداد مشهورة وقد نقلها الحافظ ابن عدي عن جمع من مشايخه .

وخلاصتها:

لما قدم البخاري بغداد أراد علماء الحديث فيها أن يمتحنوا حفظه، فأخذوا مئة

حديث فقلبوا متونها وأسانيدها، جعلوا هذا المتن لذلك السند، وذلك السند لهذا المتن، وأعطوها لعشرة أشخاص، لكل شخص عشرة أحاديث.

وفي موعد الاجتماع قام رجل فأخذ يسأله عن حديث تلو الآخر من الأحاديث المقلوبة، والبخاري يقول: لا أعرفه، لا أعرفه، وهكذا حتى انتهى العشرة. فلما علم أنهم قد فرغوا التفت إلى الأول فقال: أما حديثك الأول فقلت كذا وصوابه كذا، وحديثك الثاني قلت: كذا وصوابه كذا، وكذا فعل بالأحاديث المئة على الترتيب، يذكر الحديث المقلوب كما ذكره صاحبه ثم يذكر الصواب!! فأقر الناس له بالحفظ وأذعنوا له بالفضل.

قال الحافظ ابن حجر: ليس العجب من ردِّه الخطأ إلى الصواب؛ فإنه كان حافظاً، بل العجب من حفظه للخطأ على ترتيب ما ألقوه عليه من مرة واحدة!!

وبعد قراءة هذه الحادثة نصَّدق ما قاله البخاري – رحمه الله – عن نفسه: أحفظ مئة ألف حديث صحيح، وأحفظ مئتي ألف حديث غير صحيح. ويدخل في الحديث هنا المرفوعات والآثار والموقوفات.

٨- وكما كان البخاري متميزاً في عقله وعلمه، كان متميزاً في سيرته وأخلاقه كان يقول: ما اغتبت أحداً قط منذ علمت أن الغيبة حرام. وكان حريصاً جداً في كلامه عن الرجال في الجرح والتعديل، فإن أكثر ما يقول عند الجرح: سكتوا عنه، فيه نظر، تركوه، ونحو هذا، وقلَّ أن يقول: كذاب، أو وَّضاع، وإنما يقول: كذَّبه فلان، ورماه فلان؛ أي: بالكذب.

وكان قليل الأكل، كثير الإحسان إلى الطلبة، مفرط الكرم، كثير العبادة، إلى آخر هذه الصفات التي يتحلّى بها عظماء المسلمين ولهذه الأسباب أطلق العلماء على البخاري أمير المؤمنين في الحديث، وإمام المحدثين.

٩- وقد أثنى على البخاري كبار علماء عصره، وسأذكر بعضهم، والذين يطعنون في البخاري لا يعرفون حتى أسمائهم، وهم من الأئمة الأعلام في الحديث والفقه في زمانهم:

- قال محمد بن بشار عند قدوم البخاري إلى البصرة: دخل اليوم سيَّد الفقهاء، وقال أيضا: حفاظ الدنيا أربعة: أبو زرعة بالري، ومسلم بن الحجاج بنيسابور، وعبدالله بن عبدالرحمن الدارمي بسمرقند، ومحمد بن إسماعيل ببخارى.
- ذُكر لعلي بن المديني شيخ البخاري قول محمد بن إسماعيل فيه: ما تصاغرت نفسي عند أحد إلا عند علي بن المديني، فقال: ذروا قوله، هو ما رأى مثل نفسه.
- وقال الإمام العلم أبو بكر بن أبي شيبة: ما رأينا مثل محمد بن إسماعيل.
- وقال الإمام العظيم أحمد بن حنبل، انتهى الحفظ إلى أربعة من أهل خراسان، وذكر منهم محمد بن إسماعيل.
- وقال يحيى بن جعفر: لو قدرت أن (آخذ من عمري) وأزيده في عمر محمد بن إسماعيل لفعلت، فإن موتي يكون موت رجل، وموت محمد ابن إسماعيل ذهاب العلم.
- وقال رجاء المرجى: هو آية من آيات الله يمشي على الأرض.

● وقال الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة: ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بالحديث ولا أحفظ له من محمد بن إسماعيل.

● وقال الحافظ العلّم عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي: قد رأيت العلماء بالحرمين، والحجاز، والشام، والعراقين، فما رأيت فيهم أجمع من البخاري. هو أفقهنا، وأعلمنا، وأغوصنا، وأكثرنا طلباً.

● وقال له يوماً تلميذه الإمام مسلم بن الحجاج: لا يبغضك إلا حاسد، وأشهد أن ليس في الدنيا مثلك، وقال له - بعد أن قَّبل ما بين عينيه: دعني أقَّبل رجليك، يا أستاذ الأساتذة، وسَّيد المحدثين، وطبيب الحديث في علله.

● وقال إبراهيم بن محمد بن سلام: كان (الرؤساء) من أصحاب الحديث يهابون محمد بن إسماعيل ويقضون له على أنفسهم.

● هذا غيض من فيض ما قيل في هذا الإمام العلم، وهذه الأقوال موجودة في ترجمته في سير أعلام النبلاء، فْليعلم ناقده عن أي عظيم يتكلم، ومن المفارقات العجيبة أن يترك البعض شهادة هؤلاء العلماء العظماء الناصحين الصادقين، ويقبل كلام عوير وكسير وثالث ما فيه خير.

١٠- كتاب البخاري ّسماه مؤلفه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الجامع الصحيح الْمُسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه) وأطلق عليه الناس اختصاراً اسم: صحيح البخاري.

قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: صنَّفت (الجامع) من ستمائة ألف حديث في ست عشرة

سنة، وجعلته حجة فيما بيني وبين الله ﷺ.

وقد بلغ عدد أحاديثه المرفوعة إلى النبي ﷺ الموصولة مع المكرر على ما ضبطه الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٧٣٩٧) حديثًا، وبدون تكرار (٢٦٠٢)، وقال البخاري: ما وضعت في كتاب الصحيح حديثًا إلا استخرت الله وصليت ركعتين وتيقنت صحته.

وجل انتقادات الدارقطني فنِّيَّة غامضة على غير أهل الاختصاص في الحديث النبوي.

لقد كانت الطريقة التي عنى بها البخاري وغيره برواية الحديث في غاية الدقة، فكان الراوي من رواة السند يخضع لفحوصات دقيقة، عن دينه وورعه وعقله وأخلاقه وسيرته، وعمن أخذ، ومن تلاميذه، فمن قامت القرائن على أهليته أخذوا عنه، ومن اشتبهوا فيه أعرضوا عنه وتركوه.

ثم إن انتقاد أولئك الحفاظ ومن آخرهم الحافظ الألباني رحمه الله، غير انتقاد هؤلاء، والكمال المطلق إنما هو لكتاب الله، وعندما كان البخاري ومسلم هما أصح كتابين بعد كتاب الله، لكن بما أن الذي سمع الأحاديث من الرواة الثقات الأثبات، ثم جمعها في هذا الكتاب، هو بشر وهو الإمام البخاري، اتجه العلماء إلى فحصه كلمة كلمة، وحرفا وحرفا، فلم يفحصوا كتابا من كتب الإسلام، مثل فحصهم للصحيحين، ولنزاهة علماء الشريعة، ذكروا تلك الملاحظات اليسيرة، وقد خالفهم غيرهم من العلماء، وصوبوا البخاري حتى في تلك الملاحظات، مع اتفاق الجميع

على أن البخاري ومسلم هما أصح كتابين بعد كتاب الله، وقد عصم الله هذه الأمة أن تجتمع على ضلالة، ولهذا الطعن في صحيح البخاري، ليس طعنا في البخاري فقط بل هو طعن في علماء المسلمين كافة، ولذا قال الإمام العُقَيلي كما في مقدمة فتح الباري: (لما ألف البخاري كتاب الصحيح، عرضه على أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعليّ بن المديني وغيرهم، فاستحسنوه وشهدوا له بالصحة إلا في أربعة أحاديث).

قال العقيلي: "والقول فيها قول البخاري وهي صحيحة".

وقال الحافظ في مقدمة فتح الباري (٣٨٣): "فإذا تأمل المنصف ما حررته من ذلك عظُم مقدار هذا الُمصنِّف - يقصد الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نفسه، وجل تصنيفه في عينه، وعذر الأئمة من أهل العلم في تلقّيه بالقبول والتسليم، وتقديمهم له على كل مُصنَّف في الحديث والقديم.

حتى أن إمام الحرمين (الجويني) قال: لو أن رجًلا حمل صحيح البخاري بيمينه، وحمل صحيح مسلم بشماله، وقال: زوجتي طالق- إن لم يكن قد قال النبي-صلى الله عليه وسلم- جميع ما في هذين الكتابين ؛ فإنها لا تطلق.

وهذا بخلاف هؤلاء الذين يتكلمون بجهل وهوى، ولا يتأدبون مع حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ولا مع العلم وأهل العلم، لقد وصل الأمر ببعضهم أن طعن في الإمام البخاري لأنه ليس بعربي، مما يكشف مدى الإفلاس الذي بلغه الطاعنون في صحيح البخاري، والله يقول: ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا﴾ [سورة

الإسراء:٢٠] .

هل علم أولئك أن القاموس المحيط في اللغة مؤلفه غير عربي وهو الفيروز آبادي، هل علم أولئك أن إمام اللغة سيبويه غير عربي، وخاتمة المحدثين الألباني غير عربي، ما ذنبهم إذا تقاعس غيرهم واجتهدوا، ثم أما علم أولئك أن الإسلام قد قضى على العنصرية والعصبية، وإنما الفضل في الإسلام بالعلم النافع والعمل الصالح.

وأما كيف نعتمد على صحيح البخاري وهو لم يلق النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة؟

فالجواب أن البخاري في صحيحه لا يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة، بل يروي عن شيوخ ثقات، في أعلى درجات الحفظ والضبط والأمانة عن مثلهم إلى أن يصل إلى الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقل عدد بين البخاري والنبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة من الرواة، فاعتمادنا على صحيح البخاري لأن الرواة الذين نقل عنهم اختارهم بعناية تامة. فهم في أعلى درجات الثقة قد بلغو القنطرة.

قال الإمام النووي رحمه الله في مقدمة شرح مسلم (١/ ١٤): اتفق العلماء رحمهم الله على أن أصح الكتب بعد القرآن العزيز الصحيحان البخاري ومسلم، وتلقتهما الأمة بالقبول، وكتاب البخاري أصحهما وأكثرهما فوائد انتهى.

وهناك من يقول أيضا بين البخاري وبين الرسول صلى الله عليه وسلم أكثر من

مئتي سنة فكيف قطع هذه المسافة وروى تلك الأحاديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذه شهادة على أنفسهم بالجهل، سواء بصحيح البخاري وكيف جمع تلك الأحاديث، أو بكتب السنة التي كتبت قبل صحيح البخاري، وبعضها يقول مؤلفها حدثني نافع عن ابن عمر عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا كثير جدا في موطأ مالك، وأحاديث البخاري لم تخرج أبدا عن كتب شيوخه وشيوخ شيوخه، وإنما انتقى من تلك الأحاديث أصحها، ومن كتب الحديث التي كانت موجودة قبل البخاري: جامع معمر بن راشد، وموطأ مالك، ومسند عبد الله بن المبارك، ومصنف عبد الرزاق الصنعاني، ومصنف ابن أبي شيبة، ومسند إسحاق بن راهويه، ومسند أحمد بن حنبل، وسنن الدارمي وغيرها، وهي مطبوعة اليوم وفي أيدي الناس.

وهذه بعض الأسئلة نطرحها على الطاعنين في صحيح البخاري، نريد الإجابة عليها؟

- دلونا على كتاب معتمد من كتب الحديث التي هي في نظركم سليمة من الانتقاد.

- ثم ما هو رأيكم في بقية كتب السنة كالسنن والمسانيد والمستدركات والمستخرجات والمعاجم... هل هي مقبولة عندكم أم غير مقبولة؟

لنعلم هل تقصدون النقد العلمي، أم تريدون هدم السنة النبوية؟

ابن تيمية مفخرة من مفاخر أهل الإسلام

ابن تيمية مفخرة من مفاخر أهل الإسلام

«الحمد لله الذي جعل في كلِّ زمانِ فترةٍ من الرسل بقايا من أهل العلم، يدعون من ضلَّ إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يُحيون بكتاب الله الموتى، ويبصِّرون بنور الله أهلَ العمى، فكم من قتيلٍ لإبليس قد أحيَوْه، وكم من ضالٍّ تائهٍ هَدَوْه، فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم! ينفون عن كتاب الله تحريفَ الغالين وانتحالَ المبطلين وتأويلَ الجاهلين، الذين عقدوا ألويةَ البدعة، وأطلقوا عقالَ الفتنة، فهُم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، متَّفقون على مخالفة الكتاب، يقولون على الله، وفي الله، وفي كتاب الله بغير علمٍ، يتكَّلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جُّهالَ الناس بما يشبِّهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن المضلِّين..».

وبعد هذه المقدمة الحنبلية للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله فقد تهيبت الكتابة عن الإمام أحمد بن العلامة عبد الحليم بن الإمام عبد السلام ابن تيمية الحراني رحمه الله ووجدت نفسي متطفلا في ذلك، لا لشيء إلا لأنك كلما قرأت عنه تكتشف أنك أمام رجل عظيم في علمه وعقله وعمله وجهاده وعبادته وأخلاقه، وأن الكتابة عنه، كتابة عن جوانب متعددة علمية وعقلية وأخلاقية.

وتقول لو كان هذا الرجل عند غيرنا من اليهود والنصارى وغيرهم لكان له

شأن آخر مع أن الإسلام يرفض الغلو بكل أشكاله وصوره.

وتقول في نفسك لو كان هذا الرجل في زمانا(زمن الاكتشافات العلمية)و (تفرق المسلمين وتعثرهم) لكان له شأن آخر في النهوض بالأمة إلى المستوى الذي يليق بها والذي ينبغي أن تكون عليه، وقد تكلم على أمور كثيرة وسبق العلم الحديث في الكلام عنها مثل كروية الأرض وحجم الشمس ومعرفة وقت الكسوف عن طريق الحساب وكلامه عن الأفلاك، وله كلام دقيق في الهندسة والطب وغير ذلك، ثم يأتي اليوم قزم برجله العرجاء وبيده القصيرة يريد أن يتناول نجما من نجوم السماء، لا لشيء إلا لأنه قرأ لأحد الحاقدين على الإسلام، أو لأحد المنحرفين أو المشبوهين أو المستأجرين، أو قرأ لبعض المبتدعة، أو لبعض المتعصبين للمذهبية بلا برهان، أو لأعداء التحرر من التقليد الأعمى لغير الدليل، أو قرأ كلاما لابن تيمية ولم يفهمه بالنظر إلى السياق والسباق واللحاق أو بالنظر إلى تقريراته في مكان آخر من كتبه، فإنه قد يجمل في موضع ويفصل في موضع آخر، أو قرأ كلاما نقله ابن تيمية عن غيره ليرد عليه، فنسبه إلى ابن تيمية، وشيخ الإسلام قد يذكر كلاما لغيره ثم يصول ويجول كعادته، وقد لا يذكر ما في هذا الكلام من الخطأ إلا بعد عدة صفحات، أو قرأ كلاما مبتورا، ولو رجع إلى كتاب شيخ الإسلام الذي نُقِل منه الكلام لوجد الأمر بخلاف ذلك، وابن تيمية من أكثر العلماء الذين نسبت إليه أمور وعند التحقيق هو منها بريء، وأخيرا قد يطعن البعض فيه ويبالغ في الطعن في شيخ الإسلام لأجل مسألة اجتهادية، سواء أصاب فيها أم أخطأ،

وهذا أمر عجيب، ومن العجائب أن بعض فتاوى ابن تيمية في الطلاق، والتي سُجِن لأجلها بسبب المتعصبة، وأصحاب الأفق الضيق، صارت اليوم كثير من دور الإفتاء، تتبناها وتعتمدها وتفتي الناس بها، ثم لو عاملنا كل مجتهد من أهل العلم والاتباع، بهذه الطريقة، فلن يسلم لنا عالم، لأنه لا عصمة لأحد بعد الأنبياء، وابن تيمية بشر وقد يخطئ في بعض الأمور إلا أن خطأه مغمور في بحر حسناته، ويتقلب في اجتهاداته بين الأجر والأجرين، وقد ذم النبي صلى الله عليه وسلم النساء اللاتي إذا أحسن إليهن الزوج دهره ثم أساء مرة، قالت ما رأيت منك خيرا قط، وأعجب من هذا وذاك أن البعض صار يطعن في شيخ الإسلام ابن تيمية، لأنه سمع بعض الجماعات التي تطلق على نفسها الجماعات الجهادية، سمعها تتمسح بشيخ الإسلام لتوهم الناس بصحة أعمالها، لمعرفتها بمكانة شيخ الإسلام عند المسلمين، وابن تيمية بريء من تلك الأعمال، ولا يستغرب منهم ذلك، بعد أن نسبوا كثيرا من تصرفاتهم الخاطئة إلى الإسلام، وأساءوا إلى الإسلام أكثر من إساءتهم إلى ابن تيمية، وتسببوا في تشويه صورة الإسلام عند الكثير اليوم، أكثر من تسببهم في تشويه صورة ابن تيمية، ونقول للجميع اتقوا الله واعلموا أن الله الموعد بينكم وبين ابن تيمية، واحذروا أن يستغلكم أهل الباطل لمحاربة الإسلام وتشكيك الناس في المراجع الحقيقية للمسلمين،بدءا بالصحابة والأئمة الأربعة والبخاري ومسلم وابن تيمية وغيرهم، وانظروا ماذا قدمتم للإسلام وماذا قدم ابن تيمية.

وأما من يذكر كلام العلامة أحمد بن حجر الهيتمي عفا الله عنا وعنه في ابن تيمية، نقول له اقرأ كتاب العلامة المحقق نعمان الألوسي العراقي رحمه الله واسم الكتاب (جلاء العينين في محاكمة الأحمدين) أي أحمد ابن تيمية وأحمد ابن حجر، وابن حجر هذا هو غير ابن حجر العسقلاني، وكذلك من يذكر كلام العلامة السبكي رحمه الله، نقول له اقرأ كتاب الصارم المنكي في الرد على السبكي للحافظ ابن عبد الهادي رحمه الله، وقد كتب الله لابن تيمية من انتشار ذكره وانتشار علومه وكتبه وانتفاع الناس بها ما لم يكتبه للسبكي والهيتمي، بل خصوم شيخ الإسلام ابن تيمية في زمنه الذين ظلموه وتسببوا في سجنه، ما عرفناهم إلا بواسطة ابن تيمية، وإلا لم نعرفهم، والعلماء بشر وكما يختلف الأخوان الشقيقان يختلف العالمان، وهذا لا يخلو منه زمان حتى قال بعضهم كلام الأقران في بعضهم يطوى ولا يروى، وقد يكون الحامل على الكلام هو الحسد أو سوء المعتقد، وهذا هو الغالب على الذين تكلموا في ابن تيمية، وأحسنهم حالا أولئك الذين قصرت علومهم وفهومهم، مع تلبسهم ببعض البدع والمخالفات، وقد رزق الله ابن تيمية شهرة ومكانة عظيمة في زمنه وبعد زمنه، مع حسن المعتقد وسلامة الطريقة والمنهج، ورحم الله العلامة محمد خليل هراس المصري الأزهري، الذي كان قد تخصص في علم الفلسفة والمنطق، وقد علم أن ابن تيمية له مؤلف اسمه درء تعارض العقل والنقل يقع في عشرة مجلدات، في الرد على انحرافات أهل المنطق والفلسفة وأهل الكلام، فأراد أن يرد على ابن تيمية، فأقبل على كتبه يدرسها، فتفاجأ برجل عظيم من أذكياء العالم

وأزكيائه، فانقلب مدافعا عنه، وغير بحثه في الدكتوراه إلى هذا الاسم(ابن تيمية السلفي) ثم صار بعد ذلك من المدافعين عن ابن تيمية والمعجبين به وقام بشرح بعض كتبه كشرحه للعقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية.

لأول وهلة تتعجب لماذا هذه الحملة على ابن تيمية، لماذا يطعنون في ابن تيمية، وهو العالم العامل الذي لم يأت بعده مثله في تبحره في المنقول والمعقول، وفي جهاده وفي دفاعه عن دين الله بلسانه وقلمه وماله ونفسه حتى أنه مات في السجن، وفي خدمته للإسلام والمسلمين، وفي تقريبه علوم الشريعة للناس، حتى أنه لقب لأجل ذلك بشيخ الإسلام، وقد كان يكره هذا اللقب ولا يحب أن يلقب به.

لكن عندما تقرأ في سيرته وترى مواقفه وردوده وجهاده وجهوده في وجه الباطل وأهله، حينها تعرف السبب ويزول العجب.

وقد كان ابن تيمية رجلا عجيبا، كان لا يخاف في الله لومة لائم، كان أمة في رجل، كان لا يخاف سوطا ولا سجنا ولا سيفا، وكان يقول ما يفعل بي أعدائي فقتلي شهادة، وسجني خلوة، وإخراجي من بلدي سياحة في سبيل الله.

حينها تدرك أن الهدف الحقيقي هو إسقاط جهوده وجهاده وعلومه، التي قل نظيرها، الهدف هو إسقاط الرموز والرؤوس والمراجع، ليخلوا لهم الجو حتى يعبثوا بعقول الناس ودينهم كيف شاءوا، وقل مثل ذلك فيمن يطعن في الصحابة، فإن الهدف الحقيقي هو إسقاط الدين بإسقاط حملته ونقلته.

وتلك الأصوات التي تنادي بعدم اعتماد فهم الصحابة للكتاب والسنة، الهدف

الحقيقي من هذه الشنشنة، هو العبث بالكتاب والسنة وتفسيرهما على حسب الأهواء والرغبات الخارجية، وإلا فكيف يترك فهم الصحابة وهم الذين عايشوا التنزيل وهم الفصحاء وهم أطهر الناس قلوبا وعقولا بعد الأنبياء والرسل، وهذا لا يعني عدم الاجتهاد في النوازل والنظر في المصالح والمفاسد وفيما يستجد، والنظر في مقاصد الشرع من المتخصصين في علوم الشريعة. والحقيقة نحن نعيش معركة حقيقية بين الحق والباطل، وللحق أنصاره وقواه، وللباطل أنصاره وقواه، والحق والباطل في صراع إلى قيام الساعة، ولهذا كما خلق الله جنة خلق نارا.

وقد قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [سورة الفرقان:٣١].

قال الإمام ابن الوزير الصنعاني رحمه الله: ما سلم الله من بريته ولا نبي الهدى فكيف أنا.

ونحن مع النقد العلمي المؤصل بمنهجيته الصحيحة، وضوابطه وأصوله، في نقد الآخرين سواء ابن تيمية أو غيره، وضد البغي والظلم والعدوان سواء على ابن تيمية أو غيره.

وقد مدح شيخ الإسلام وأثنى عليه أهل العلم والفضل والاتباع في كل عصر، مثل ابن القيم والذهبي وابن كثير والمزي وابن دقيق وابن رجب وابن مفلح وابن عبد الهادي وغيرهم ممن رأوه وأدركوا عصره، أو الذين جاءوا بعده من علماء مصر والشام والعراق والحجاز واليمن والهند والمغرب.

أَوَلَئِكَ آبائي فَجئني بِمِثلِهِم إِذا جَمَعَتنا يا جَريرُ المَجامِعُ

واعترفوا له بالفضل والعلم والتقدم والشجاعة والصدق والصدع بالحق، وكتبوا كتبا كثيرة في مناقبه وسيرته وفي الدفاع عنه ولقبوه بشيخ الإسلام لمواقفه العظيمة التي عجز عنها أو ضعف أمامها غيره، من الدفاع عن الإسلام والرد على أهل الباطل، فلم يؤذ أحد في زمنه في سبيل الله مثلما أوذي فقد سجن سبع مرات بل مات وهو في السجن، ولم يرد أحد في زمنه وبعد زمنه على أهل الباطل مثله، فقد أعطى اليهود والنصارى حقهم في كتبه، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، الصارم المسلول على شاتم الرسول، ورد على الملاحدة والفلاسفة في كتابه الفريد درء تعارض العقل والنقل، وخرج بنفسه لمحاربة التتار، وكتابه منهاج السنة هو أوسع الكتب وأقواها في الرد على الرافضة، وله الفضل على كل من جاء بعده ممن كتب في الرد على الرافضة، وله ردود كثيرة في نسف خرافات الصوفية وانحرافاتها، ورد على الجهمية والمعتزلة والقدرية والمرجئة والأشاعرة وغيرهم، وقام بتنقية السنة والفقه مع إخوانه العلماء المحققين، من البدع والمحدثات والأحاديث الضعيفة والأقوال الضعيفة والشاذة، فثار عليه كل زنديق، وضال، وكافر، ومنحرف، وصاحب هوى ومبتدع، ومتمذهب متعصب جامد على المذهبية، وصاحب فقه مشوب ببعض البدع والمخالفات، حتى أن بعضهم أفتى الحاكم بقتل شيخ الإسلام وهو القاضي ابن مخلوف الذي يسميه الشوكاني بالشيطان، ومع هذا عندما مات أحد مناوئيه، ذهب

إلى أهله وقال لهم أنا لكم مكانه في كل ما تحتاجون إليه، وقال قد عفوت عن كل من ظلمني إلا محاد لله ورسوله، هذه هي أخلاق العظماء، فلا نامت أعين الظلمة والمنحرفين والجبناء.

قال العلامة كمال الدين بن الزملكاني: (كان إذا سئل عن فن من العلم ظن الرائي والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن، وحكم أن أحداً لا يعرفه مثله، وكان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جلسوا معه استفادوا في مذاهبهم منه ما لم يكونوا عرفوه قبل ذلك، ولا يعرف أنه ناظر أحداً فانقطع معه ولا تكلم في علم من العلوم، سواء أكان من علوم الشرع أم غيرها إلا فاق فيه أهله، والمنسوبين إليه، وكانت له اليد الطولى في حسن التصنيف، وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتبيين) .

وقال أيضاً فيه: (اجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها) .

وكتب فيه قوله:

ماذا يقول الواصفون له ... وصفاته جلّت عن الحصر
هو حجة لله قاهرة ... هو بيننا أعجوبة الدهر
هو آية للخلق ظاهرة ... أنوارها أربت على الفجر

مع أن العلامة ابن الزملكاني ممن خالف شيخ الإسلام في بعض المسائل، ومع هذا وصفه بهذه الأوصاف العظيمة، رحمهما الله جميعا.

وقال الحافظ ابن دقيق العيد رحمه الله: (لما اجتمعت بابن تيمية رأيت رجلاً

العلوم كلها بين عينيه، يأخذ منها ما يريد، ويدع ما يريد) .

وقال أبو البقاء السبكي: (والله يا فلان ما يبغض ابن تيمية إلا جاهل أو صاحب هوى، فالجاهل لا يدري ما يقول، وصاحب الهوى يصده هواه عن الحق بعد معرفته به).

وحين عاتب الإمام الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) الإمام السبكي كتب معتذرًا مبينًا رأيه في شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله:

(أما قول سيدي في الشيخ، فالمملوك يتحقق كبر قدره، وزخاره بحره، وتوسعه في العلوم الشرعية والعقلية، وفرط ذكائه واجتهاده، وبلوغه في كل من ذلك المبلغ الذي يتجاوز الوصف، والمملوك يقول ذلك دائماً، وقدره في نفسي أعظم من ذلك وأجل، مع ما جمع الله له من الزهادة والورع والديانة، ونصرة الحق والقيام فيه، لا لغرض سواه، وجريه على سنن السلف، وأخذه من ذلك بالمأخذ الأوفى، وغرابة مثله في هذا الزمان بل من أزمان)

وقال مؤرخ الإسلام الذهبي وهو من معاصريه وممن انتفع به:

(ابن تيمية: الشيخ الإمام العالم، المفسر، الفقيه، المجتهد، الحافظ، المحدث، شيخ الإسلام، نادرة العصر، ذو التصانيف الباهرة، والذكاء المفرط).

وقال عنه: (... ونظر في الرجال والعلل، وصار من أئمة النقد، ومن علماء الأثر مع التدين والنبالة، والذكر والصيانة، ثم أقبل على الفقه، ودقائقه، وقواعده، وحججه، والإجماع والاختلاف حتى كان يقضى منه العجب إذا ذكر مسألة من

مسائل الخلاف، ثم يستدل ويرجح ويجتهد، وحق له ذلك فإن شروط الاجتهاد كانت قد اجتمعت فيه، فإنني ما رأيت أحداً أسرع انتزاعاً للآيات الدالة على المسألة التي يوردها منه، ولا أشد استحضاراً لمتون الأحاديث، وعزوها إلى الصحيح أو المسند أو إلى السنن منه، كأن الكتاب والسنن نصب عينيه وعلى طرف لسانه، بعبارة رشيقة، وعين مفتوحة، وإفحام للمخالف...) .

وقال: (... هذا كله مع ما كان عليه من الكرم الذي لم أشاهد مثله قط، والشجاعة المفرطة التي يضرب بها المثل، والفراغ عن ملاذ النفس من اللباس الجميل، والمأكل الطيب، والراحة الدنيوية) .

ومما قاله في رثائه:

يا موت خذ من أردت أو فدع ... محوت رسم العلوم والورع
أخذت شيخ الإسلام وانقصمت ... عرى التقى واشتفى أولو البدع
غيبت بحراً مفسراً جبلاً ... حبراً تقياً مجانب الشيع
اسكنه الله في الجنان ولا ... زال علياً في أجمل الخلع
مضى ابن تيمية وموعده ... مع خصمه يوم نفخة الفزع

وقال فيه: (... كان قوالاً بالحق، نهاءً عن المنكر، لا تأخذه في الله لومة لائم، ذا سطوة وإقدام، وعدم مداراة الأغيار، ومن خالطه وعرفه قد ينسبني إلى التقصير في وصفه...).

وقال عنه: (... لا يؤتى من سوء فهم، بل له الذكاء المفرط، ولا من قلة علم فإنه بحر زخار، بصير بالكتاب والسنة، عديم النظير في ذلك، ولا هو بمتلاعب

بالدين، فلو كان كذلك لكان أسرع شيء إلى مداهنة خصومه وموافقتهم ومنافقتهم، ولا هو ينفرد بمسائل بالتشهي.... فهذا الرجل لا أرجو على ما قلته فيه دنيا ولا مالاً ولا جاهاً بوجه أصلاً، مع خبرتي التامة به، ولكن لا يسعني في ديني ولا في عقلي أن أكتم محاسنه، وأدفن فضائله، وأبرز ذنوباً له مغفورة في سعة كرم الله تعالى....) وللوقوف على كلام الذهبي وغيره يُنظر في المصادر المذكورة آخر المقال.

وقال الذهبي رحمه الله في "معجم شيوخه":

هو شيخنا، وشيخ الإسلام، وفريد العصر، علماً، ومعرفة، وشجاعة، وذكاء، وتنويراً إلهيّاً، وكرماً، ونصحاً للأمَّة، وأمراً بالمعروف، ونهياً عن المنكر، سمع الحديث، وأكثر بنفسه من طلبه وكتابته، وخرج، ونظر في الرجال، والطبقات، وحصَّل ما لم يحصله غيره .

برَع في تفسير القرآن، وغاص في دقيق معانيه، بطبع سَّيال، وخاطر إلى مواقع الإِشكال مَّيال، واستنبط منه أشياء لم يسبق إليها، وبرع في الحديث، وحفِظه، فقلَّ من يحفظ ما يحفظه من الحديث، معزوّاً إلى أصوله وصحابته، مع شدة استحضاره له وقت إقامة الدليل، وفاق الناس في معرفة الفقه، واختلاف المذاهب، وفتاوى الصحابة والتابعين، بحيث إنه إذا أفتى لم يلتزم بمذهب، بل يقوم بما دليله عنده، وأتقن العربيَّة أصولاً وفروعاً،وتعليلاً واختلافاً، ونظر في العقليات، وعرف أقوال المتكلمين، وَرَدَّ عليهم،َونبَّه على خطئهم، وحذَّر منهم، ونصر السنَّة بأوضح

حجج وأبهر براهين، وأُوذي في ذات الله من المخالفين، وأُخيف في نصر السنَّة المحضة، حتى أعلى الله مناره، وجمع قلوب أهل التقوى على محبته والدعاء له، وَ-كَبَتَ أعداءه، وهدى به رجالاً من أهل الملل والنحل، وجبل قلوب الملوك والأمراء على الانقياد له غالباً، وعلى طاعته، أحيى به الشام، بل والإسلام، بعد أن كاد ينثلم بتثبيت أولي الأمر لما أقبل حزب التتر والبغي في خيلائهم، فُظنت بالله الظنون، وُزلزِل المؤمنون، واشْرأَب النفاق وأبدى صفحته .

ومحاسنه كثيرة، وهو أكبر من أن ينبه على سيرته مثلي، فلو حلفت بين الركن والمقام لحلفت: إني ما رأيت بعيني مثله، وأنه ما رأى مثل نفسه . انظر " ذيل طبقات الحنابلة " لابن رجب الحنبلي (٤/ ٣٩٠).

وقال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إمام الأئمة المجتهد المطلق).

وقد مدحه أبو حيان المفسر النحوي صاحب التفسير المعروف " البحر المحيط " بقصيدة عصماء، وفيها:

قام ابن تيمية في نصـــر شـــرعتنا مقام ســيد تيم إذا عصــت مضــر

وسيد تيم هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه في حروب الردة، وقد اجتمع ابن تيمية مع أبي حيان في مصر واختلفا في مسألة نحوية، فاحتج أبو حيان بقول سيبويه، فقال ابن تيمية وهل سيبويه نبي النحو لقد أخطأ سيبويه في كتابه في أكثر من ثمانين موضعا لا تعلمها لا أنت ولا هو، وهذا كلام عجيب من ابن تيمية يدل على تبحره

في العلوم، وسيبويه هو إمام النحو، وأبو حيان من أئمة النحو في زمنه، فوقع في نفس أبي حيان وأثر فيه هذا الموقف إلى أن مات رحمه الله.

أما الإمام العلم العالم العامل ابن القيم رحمه الله وهو من أعلم الناس به ومن أشدهم ملازمة له فقد ذكر عنه العجب العجاب في سعة علمه بالمنقول والمعقول وفي عبادته وجهاده، وأكتفي بما قاله عنه في هذه الأبيات من النونية، وأنه هو الذي أخذ بيده إلى الهداية والعلم:

قال ابن القيم "رحمه الله":

يا قوم والله العظيم نصيحة — من مشفق وأخ لكم معوان
جربت هذا كله ووقعت في — تلك الشباك وكنت ذا طيران
حتى أتاح لي الإله بفضله — من ليس تجزيه يدي ولساني
حبر أتى من أرض حران فيا — أهلا بمن قد جاء من حران
فالله يجزيه الذي هو أهله — من جنة المأوى مع الرضوان
أخذت يداه يدي وسار فلم يرم — حتى أراني مطلع الإيمان
ورأيت أعلام المدينة حولها — نزل الهدى وعساكر القرآن
ورأيت آثارا عظيما شأنها — محجوبة عن زمرة العميان
ووردت رأس الماء أبيض صافيا — حصباؤه كلآلئ التيجان
ورأيت أكوازا هناك كثيرة — مثل النجوم لوارد ظمآن
ورأيت حوض الكوثر الصافي — الذي لا زال يشخب فيه ميزابان

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله عن ابن تيمية هو آية من آيات الله، وقال امتن الله به على عباده، وقال لقد انتفعت بكتبه وكتب تلميذه ابن القيم انتفاعا

عظيما، وأنصح كل طالب علم بقراءتها. وهذا ظاهر في كتب العلامة العثيمين، فإن ابن تيمية هو أكثر العلماء وجودا في كتبه، وترجيحات ابن تيمية بارزة في كتب العثيمين رحمهما الله تعالى.

والخلاصة ليس له ذنب إلا أنه علم وجهلوا وفقه ولم يفقهوا وقام ينصر الحق يوم أن جبن غيره ورفع لواء السنة يوم أن رفع غيره العصبية المذهبية والبدعة والهوى.

وكم لشيخ الإسلام ابن تيمية من منة على المسلمين عامة وعلى أهل العلم خاصة.

وإن حفظ الله لكتب ابن تيمية آية والله، فقد بذلت جهود جبارة لإتلافها فحفظها الله وهو خير الحافظين وأتلف من رام اتلافها.

ومن أساليب أهل الباطل في الحديث والقديم في صرفهم الناس عن الحق وأهله، وصدهم الناس عن دين الله، القيام برمي أهل الحق بكل تهمة ورميهم أهل الحق بالقبائح لينفروا الناس عنهم، فإن لم ترج لهم هذه التهم، قاموا بقتلهم أو سجنهم ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [سورة الأنفال:٣٠].

وكما اهتم كثير من علماء المسلمين بشخصية ابن تيمية، اهتم كذلك كثير من الكتّاب والباحثين والمستسرقين في الغرب بشخصية ابن تيمية واعترفوا له بالتبحر في العلوم وبالذكاء وسعة المدارك وانتفاع الناس في الشرق والغرب بعلومه وفكره ونقده، ومما وقفت عليه في الشبكة العنكبوتية هذين المقالين:

الأول: تأثير ابن تيمية في الفكر الغربي في عين الاستشراق الألماني

مترجم للألوكة من اللغة الألمانية

ترجمة: أحمد فتحي

"كان ابنُ تيمية - باتِّفاق خصومِه وأنصاره - شخصيَّة ذاتَ طراز عظيم؛ فهو فقيه ومتكلّم ناقد للمنطق الأرسطي، والتصوف من جهة، وناقدٌ استثْنائي وباحثٌ أخلاقي من جهة أخرى".

هكذا ابتدأت الباحثة (أنكه فون كوجلجن) -الأستاذة بجامعة برن للعلوم الإسلاميَّة- بحثًا مطولاً عن:

(Ibn Taymiyyas Kritik an der Aristotelischen Logik und sein Gegentwrf)

نقد ابن تيمية للمنطق الأرسطي ومشروعه المضاد).

يتركَّز موضوع البحث حول نقطتَين أساسيتين:

- أوجُه النَّقد التي وجَّهها ابن تيمية للمنطق الأرسطي، وخاصَّة تلك الانتقادات الَّتي تفرَّد بها شيخ الإسلام.

- إلى أيّ حدّ تأثَّرت المذاهب الغربيَّة بهذا النَّقد، وخاصَّة (المذهب التَّجريبي) الَّذي قامت عليه الحضارة الغربيَّة، وكذلك (المذهب الاسمي)[١].

تُشير الباحثة إلى عدَّة نقاط فيها يخصّ أهمّيَّة شخصيَّة ابن تيمية من جهة، وعدم الاهِتمام الكافي به،خاصَّة في نقْدِه للمنطق اليوناني في الجهات الاستِشْراقية من جهة أخرى، وتَستثني من ذلك دراسة المستشْرق الأمريكي ذي الأصول الفلسطينيَّة

(وائل حلاق) في دراسته التي تحمل عنوان:

(Ibn Taymiyya Against the Greek Logicians)

أو ابن تيمية في مواجهة المناطقة الإغريق)، وهو الكتاب الرَّئيس الَّذي اعتمدتْ عليْه الكاتبة في معرفة كلام شيخ الإسلام ابن تيميَّة، وبعض الدّراسات الغربيَّة الأخرى.

وتعتبر (أنكه) أنَّ ابن تيمية ما زال حاضرًا بقوَّة في العالم الإسلامي، وخاصَّة بعد إعادة الاهتمام بفِكْره في القرن العشرين، وقد أصبح ابنُ تيمية في القرن العشرين علامةً تصنيفيَّةً فارقة، فمَن يُعلِي من شأْن ابن تيمية أو حَّتى يتعاطف معه، يُعتبر إسلامًّيا متشدِّدًا في أغلب الأحوال.

ومع ذلك فإنَّ الباحثة ترى أنَّ ابن تيمية - على خلاف أنصارِه المعاصرين، لَم يخرج على حَّكام زمانه، وإنَّما تركَّز جهاده ضدَّ التَّتار والرَّدّ على أصحاب الدّيانات الأخرى (اليهود والَّنصارى)، والفرق الَّضالَّة والصوفيَّة.

الثاني: لا زال أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الشهير بابن تيمية والملقب بشيخ الإسلام يملأ الدنيا ويشغل الناس، ليس في العالم الإسلامي فحسب بل والعالم الغربي!

وقد صدر قبل فترة ضمن سلسلة "-صُنَّاع العالم الإسلامي" كتابٌ بعنوان: "ابن تيمية" للدكتور (جون هوفر) من جامعة نوتنغام.

ويعتبر جون هوفر أبرز الباحثين في الإسلاميات من غير المسلمين المهتمين

بدراسة شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم.

ولأهمية ما قدمه جون هوفر في كتابه هذا، ولمعرفة ابن تيمية من خلال عيون غربية غير إسلامية نقدم للقارئ الكريم هذا التعريف العام بالكتاب.

عرض إجمالي للكتاب:

هذا الكتاب يعدُّ من الإضافات العلمية في الدراسات الغربية عن المسلمين عمومًا، وعن شخصية فكرية عظيمة كابن تيمية خصوصًا، ومما يبين أهمية هذا الكتاب: أن كاتبه من أكثر المستشرقين اهتمامًا بابن تيمية، وبدراسة فكره وتقديمه للغرب، كما أنه ترجم نصوصًا لابن تيمية لم تكن متاحة من قبل للقارئ الغربي باللغة الإنجليزية، وقد حاول جون هوفر في كتابه هذا أن يكون منصفًا قدر الإمكان، وأن يقدم صورة أدق لابن تيمية استنادًا إلى أحدث الدراسات عنه كما صرح بذلك في مقدمة كتابه، وقد قدم ابن تيمية للقارئ الغربي على أنه عالم ومفكر من علماء المسلمين، وبين مشروعات ابن تيمية العلمية والتربوية، ومشاركاته السياسية، فالكتاب يقدم صورة عن ابن تيمية، وبعض القضايا التي اشتغل بها ابن تيمية كالعبادة، ومحاربة البدع، والموقف من الحكام، كما تطرق للبحث العقدي عند ابن تيمية وأنه أخذ جزءًا لا بأس به من التأليف التيمي، يقصد من مؤلفات ابن تيمية، فالكتاب يتمحور حول آراء ابن تيمية في القضايا الكبرى، وبعض المواقف بينه وبين مخالفيه.

الجامعات الغربية التي اهتمت بعلوم ابن تيمية:

- جامعة أكسفورد.
- جامعة نوتنغهام.
- جامعة جورج تاون.
- جامعة انديانا.
- جامعة كورنيل.
- جامعة ستانفورد.

ولم أدخل في تفاصيل حياة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، حتى لا يطول المقال، وهي مسطرة في كتب كثيرة، من أجلها العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، للحافظ ابن عبد الهادي، وقد ذكر بعض الباحثين أن عدد الكتب التي كُتبت في سيرته قاربت المئة، غير رسائل الماجستير والدكتوراه والبحوث العلمية، وشهرة شيخ الإسلام ابن تيمية بلغت الآفاق.

وقد جمع العلامة ابن قاسم رحمه الله فتاوى ابن تيمية فقط فكانت سبعة وثلاثين مجلدا، وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله، لو لم يكن من حسنات ابن تيمية إلا تلميذه ابن القيم الذي سارت بمؤلفاته الركبان وانتفع الناس بها انتفاعا عظيما.

وقد توفي شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في ليلة الاثنين لعشرين خلت من ذي القعدة لعام ٧٢٨ هجرية وكان يوما مشهودا ولم يُرَ مثل جنازته إلا ما كان من جنازة الإمام أحمد بن حنبل، فقد فجع الناس بموت شيخ الإسلام ابن تيمية وعم

الحزن البلاد الشامية وغيرها وخرج أهل دمشق عن بكرة أبيهم يودعون شيخ الإسلام وأغلقت الأسواق وازدحمت الطرق، حتى ذكر بعض من ترجم له أنه لم يتخلف عن جنازته إلا مريض أو معذور أو خائف، فقد خرج في جنازته حتى أولئك الذين آذوه وظلموه وتسببوا في سجنه، إلا ثلاثة منهم لم يحضروا خشية من العوام والمحبين لشيخ الإسلام أن يدفنوهم معه، وقد كانوا عُرِفوا بشدة معاداتهم وعدوانهم على شيخ الإسلام، ورثاه الناس شعرا ونثرا، وُثلِم في الإسلام ثلمة، وفقد الناس عالما وعلما قل نظيره في زمنه وبعد زمنه، فرحمه الله وجزاه عن الإسلام والمسلمين خيرا وأسكنه الفردوس الأعلى من الجنة، وجمعنا به وسائر علمائنا في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

ومن أراد الوقوف على كلام الائمة الذهبي وابن القيم وابن دقيق وابن عبد الهادي والشوكاني وغيرهم، فلينظر في العقود الدرية لابن عبد الهادي والوافر لابن ناصر الدين الدمشقي.

ذيل تاريخ الإسلام للذهبي.

أعيان العصر للصفدي.

البدر الطالع للشوكاني.

الجامع في سيرة شيخ الإسلام إشراف الشيخ بكر أبو زيد.

دعاوى المناوئين لابن تيمية للدكتور عبد الله الغصن، وغيرها.

القسم الخامس: كتبت فيه عن خمسة مواضيع هامة، هي:

١- هل هذه أخلاقنا يا أهل الإسلام.

٢- المسلمون يتكلمون واليهود يفعلون.

٣- دعوى تعارض العقل والنقل.

٤- حقائق عن السفر والعيش في الغرب.

٥- صيحة نذير على مواقع ووسائل التدمير.

هل هذه أخلاقنا يا أهل الإسلام

مواقع التواصل والأخلاق

الحمدلله القائل (وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) وصلى الله وسلم على رسول الله القائل " إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ "

أما بعد

لن أتحدث اليوم عن ما يبثه أعداء الإسلام اليوم في مواقع التواصل من الشر والرذيلة، إنما الحديث اليوم عن ما نراه ونسمعه في مواقع التواصل من بعض المسلمين من التجاوزات في السب واللعن والاتهامات وسوء الظن والتكفير والتضليل والعصبية والعنصرية، خاصة عند وجود بعض القضايا الكبيرة في الساحة، وهذا والله ما يريده العدو وما يريده شياطين الإنس والجن.

أنا وغيري نتعجب كثيرا من أولئك الذين يتكلمون بتلك الكلمات السيئة وفي مواقع التواصل وقد يسمعها الآلاف وربما الملايين، بل ويجدون من يتابعهم ويشجعهم ولا يجوز تشجيع هؤلاء لقوله تعالى(وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) والمسلم لديه ما يمنعه ويحجزه مما لا يحسُن ولا يجمُل من الأقوال والأفعال، فالخوف من الله والأخلاق الإسلامية ومنها الحياء تمنع المسلم من قول السوء وفعل السوء، وفي الحديث الذي في البخاري أن النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : " إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَى، إِذَا لَمْ تَسْتَحِي فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ ".

ومن العجائب عندما ترى محللا سياسيا وهو يحكم بالتكفير على بعض الناس

مع أنه لا يعرف ضوابط التكفير ولا الشروط ولا الموانع، ويكفر ويخوض في مسائل دقيقة كان يتورع عن إطلاق الأحكام عليها أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية، بل لو وقعت في عهد عمر لجمع لها المهاجرين والأنصار، وفي الحديث أن اللعن والتكفير إن لم يكن المتكلَم فيه مستحقا لذلك عاد على المتكلِم، عبث واستخفاف بأحكام الشرع، وبذاءة وفحش، أسفي على أخلاق أهل الإسلام، كيف ضيعها الكثير إلا من رحم الله، ولا أريد أن أذكر الأدلة من الكتاب والسنة الصحيحة وكيف اهتم الإسلام بالأخلاق، لأن الأدلة لا تحصى في ذلك، حتى قال صلى الله عليه وسلم

" مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ ".

وقال " الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ" وقال"

مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ ". هذا غير الأحاديث الخاصة بالنهي عن الفحش والبذاءة كقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلَا اللَّعَّانِ، وَلَا الْفَاحِشِ، وَلَا الْبَذِيءِ " وما أعظم هذا الخلق الرفيع ممن وصفه الله بقوله "وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ" ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ يَهُودَ أَتَوُا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا : السَّامُ عَلَيْكُمْ. فَقَالَتْ عَائِشَةُ : عَلَيْكُمْ، وَلَعَنَكُمُ اللَّهُ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ. قَالَ : " مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ، وَإِيَّاكِ وَالْعُنْفَ وَالْفُحْشَ ". قَالَتْ : أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا ؟ قَالَ : " أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ ؟

رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ، فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ، وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ ". وكلها أحاديث صحيحة، أما الآيات القرآنية فكثيرة جدا كقوله تعالى في الآية الجامعة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾ [سورة النحل:٩٠]، وقوله تعالى ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ [سورة البقرة:٨٣]، وقوله تعالى ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ۝١٩٩﴾ [سورة الأعراف:١٩٩]، وقوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ۝٧٢﴾ [سورة الفرقان:٧٢]. وقوله ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ۝٦٣﴾ [سورة الفرقان:٦٣]. وقوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝٧٠﴾ [سورة الأحزاب:٧٠].

وقد قال الشاعر:

إِنَّمَا الأُمَمُ الأَخْلاقُ مَا بَقِيَتْ ... فَإِنْ هُمُ ذَهَبَتْ أَخْلاقُهُمْ ذَهَبُوا

والدفاع عن الحق وبيان الحق، والتحذير من الباطل أمر واجب، وهو واجب كفائي، لكن لمن يحسِن ذلك وأن يكون بعلم وعدل، وفقه وحكمه، أمر محزن والله هذا العبث وهذه الجرأة على أحكام الله وعلى عباد الله، وزاد الطين بلة، أن الكلمة التي تقال اليوم في مواقع التواصل تصل في لحظة إلى مشارق الأرض ومغاربها، وإن أخطر ما يُنشر في مواقع التواصل اليوم السب والشتم والتنقص من حملة الشريعة والوقيعة فيهم بأنواع الوقائع وصد الناس عنهم

وإذا كانت غيبة المسلم من كبائر الذنوب فكيف بغيبة حملة الشريعة من أهل

العلم والفضل والتقى والاتباع لكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وإذا كان السب والشتم واللعن للمسلم من الذنوب العظيمة فكيف إذا كان في حملة الشريعة، وكم يحصل من الصد عن سبيل الله بسبب الطعن في أهل العلم والتشكيك فيهم بمجرد أخطاء وزلات، ولا عصمة لأحد بعد الأنبياء، فيضخم البعض تلك الزلات وينشرها في مواقع التواصل مع السب والشتم واللمز والغمز والأحكام الجائرة والله الموعد.

ومن الأخطاء التي يقع فيها بعض من يعمل في مجال الدعوة إلى الله، التوسع في التحليلات السياسية، وبناء الأحكام والمواقف على سياسات الدول بدون فقه وحكمة، مع أن السياسة اليوم معقدة وعميقة وشائكة ومتلونة، والواجب علينا جميعا الاهتداء بالكتاب والسنة وسلوك مسلك أهل العلم المشهود لهم بالعلم النافع والعمل الصالح وصحة المعتقد وسلامة المنهج، اللّٰهم اهْدِنِا لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ.

والحمدلله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا.

المسلمون يتكلمون واليهود يفعلون

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمة للعالمين وحجة على الخلق أجمعين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن أشرف وأعظم وخير بقعة أخذت من أيدي المسلمين هي المسجد الأقصى وفلسطين، فهي الأرض المقدسة كما في آي القرآن وهي قبلتنا الأولى وهي مسرى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهي أرض الأنبياء.

وبقاؤها بأيدي المسلمين دليل على قوتهم وتمكنهم، ويجب أن تكون قضية فلسطين شغلنا الشاغل في الليل وفي النهار وليست موسمية ولا عاطفية.

وقضية المسجد الأقصى وفلسطين قضية دينية عقدية وليست عربية ولا فلسطينية، ولا سياسية، وما أخذ بالقوة فلن يسترد إلا بالقوة، وقوتنا مستمدة من العقيدة الصحيحة واتباع كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم في العقيدة والعبادة والمعاملات والأخلاق، وإعداد العدة، فإذا نحن قمنا بذلك حقق الله لنا النصر قال الله تعالى﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة الروم:٤٧].

وقال تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ [سورة محمد:٧].

وقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ [سورة الأنفال:٦٠].

عن عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ ، قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى

الْمِنْبَرِ يَقُولُ : " { وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ }، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ ".

وقال صلى الله عليه وسلم:

" رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ "

والذي يعمل بالأسباب من المسلمين سيجد من العون من الله ما لا يجده غيره، والقوة التي بأيدي العدو صنعها بشر مثلنا، وعقول مثل عقولنا إلا أنها تركت الكسل والتواكل، وإذا استعنا بالله وعملنا بالأسباب، فسيكفينا الله شرهم وكيدهم حتى ينصرنا عليهم ونملك ما يملكون من القوة أو أعظم من ذلك.

ويجب أن تكون جهودنا جماعية موحدة منظمة مدروسة لها مرجعيتها الشرعية والإدارية، أما الأعمال الفردية التي ليست منظمة ولا مدروسة ولا تستند لمرجعية شرعية وإدارية فهذه تضر أكثر مما تنفع.

وأما الشعارات والعواطف والبكاء والكلمات الرنانة بدون الاعتماد على الله والعمل بشرع الله وسلوك أسباب التمكين فلن نحرر أرضا مقدسة اغتصبت ولا عرضا لمسلمات انتهكت، بل ربما يؤخذ منا غيرها بسبب ذنوبنا التي هي أعظم عدو لنا وأكبر سبب لتسلط العدو علينا.

والله لو جعل كل مسلم ومسلمة قضية المسجد الأقصى همه الأول في الدعاء وفي العمل بالأسباب لتغيرت الموازين، لقد بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم من الصفر وفي أقل من خمسين سنة بلغ الإسلام

وملك المسلمين مشارقها ومغاربها.

مع أنه لم يكن عندهم ما عندنا اليوم من أسباب القوة الحسية.

ولكن كان عندهم إيمان وهمة لا يقف أمامها بحر ولا جبل ولا صحراء ولا قوة ولا عدو، ونحن اليوم والله لا ينقصنا عَدد ولا عُدد، وإنما نحتاج أن نجمع كلمتنا على الحق ونوحد جهودنا ونوجهها لعدونا الأول اليهود ومن يناصرهم ويدعمهم.

لقد نجح عدونا في تمزيقنا وفي توجيه قوتنا لبعضنا البعض انطلاقا من قاعدتهم الخبيثة «فرّق تَسُدْ»

ونسأل الله الجبار القوي العزيز أن يفضح وأن ينتقم وأن يقصم وأن يذل ويخذل كل من يخذل ويخون المسلمين أو يتآمر على المسجد الأقصى وفلسطين.

وعلى حكام المسلمين واجب عظيم في إنقاذ المسجد الأقصى والدفاع عن مقدسات المسلمين سيسألون عنه بين يدي الله عز وجل.

والله إنه لشرف في الدنيا والآخرة للحاكم المسلم الذي سيضحي بكرسيه لأجل المسجد الأقصى وفلسطين، وكذلك الشعوب عليها واجب عظيم فالكل مسؤول والكل مقصر، وعندما تظلم شخصا اعلم أنك قد تسببت في تأخير النصر وفي تولي الظلمة على المسلمين، قال تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [سورة الأنعام:١٢٩].

وفي المقالة المشهورة "كما تكونوا يولى عليكم"؟

وإن ظلمنا لأنفسنا بالمعاصي والانحرافات، وظلمنا لبعضنا البعض ومخالفاتنا الشرعية وتفرقنا وتواكلنا هو السبب في تسلط اليهود والظلمة علينا.

لقد أدى الفلسطينيون الذين بقوا في فلسطين يدافعون عن الأقصى ما عليهم، وقد عجزوا وصارت المسؤولية علينا، والله لن أنسى صورة تلك الأم التي رأيتها قبل سنوات في بعض المقاطع وهي ذاهبة للصلاة في المسجد الأقصى ولا يُرى منها ظفر ثم سقطت في دمائها على خطوات من المسجد الأقصى برصاص المحتل الغاصب المجرم اليهودي، عار والله على كل مسلم ما حدث ويحدث للمسجد الأقصى ولإخواننا وأخواتنا وأطفالنا في فلسطين، إن المؤمن حقا لا يمكن أن يهنئ بملك أو نوم أو أكل أو شرب أو زوجة أو مال أو ولد والمسجد الأقصى يهان ويدنس وأخواتنا المسلمات في السجون اليهودية، وأم ثكلى وأب مكلوم وابن معاق وأيتام وأرامل وبيت مهدم من نيران اليهود، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : " مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى ".

وهناك من يبرر موقفه السلبي من المسجد الأقصى وفلسطين بمبررات هي في الحقيقة كما يقال عذر أقبح من ذنب، وليس من العقل بل ولا من الشرع أن يوجه اليهود قوتهم وأسلحتهم لقتل المسلمين وتشريدهم وتدمير منازلهم وتدنيس أطهر وأفضل بقعة بعد مكة والمدينة، ولا يقوم المسلمون بما يجب عليهم من الموقف الشرعي كل بقدر استطاعته، ومن يقف ضد اليهود المحتلين المجرمين ومن يقف

لنصرة المسجد الأقصى والمسلمين في فلسطين هو يقوم بما أوجب الله عليه تجاه المسجد الأقصى وتجاه إخوانه المسلمين.

وإذا كان العدو من غير المسلمين فينبغي على المسلمين أن يكونوا يدا واحدة عليه، وقد قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ ﴾ [سورة الأنفال:٤٦]، واليهود فرق كثيرة متناحرة وبينهم خلافات عميقة حتى كفر بعضهم بعضا، لكنهم وضعوا النقاط لترك الخلافات لقيام دولتهم كما في بروتوكولات حكماء صهيون، أليس أهل الحق أولى بالاجتماع على الحق حتى يستردوا حقهم المغتصب.

الوقت الآن ليس وقت القيل والقال، بل على كل واحد منا أن يحاسب نفسه، وأن نتحاكم جميعا إلى شرع الله ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [سورة النساء:٥٩].

وأن تجتمع كلمتنا على مرضاة الله، وأن توحد الجهود ضد عدونا الأول، ويجب علينا جميعا ويتحتم علينا في هذا الوقت بالذات أن نتوب إلى الله من جميع الذنوب والمعاصي ومن الظلم والبدع والخرافات وأن نضع أيدينا في أيدي إخواننا لا في أيدي غيرهم، ولسنا أكرم على الله من الصحابة وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد قال الله لهم عن ما حصل لهم في أحد ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٦٥﴾ ﴾ [سورة آل عمران:١٦٥]. ويجب علينا جميعا أن نسعى لترك المخالفات

الشرعية التي تفرقنا، قال تعالى ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [سورة آل عمران:١٠٣]. أما الطمع في الاجتماع على كل صغير وكبير وفي كل الأمور فهذا خلاف الأمر الكوني الذي قدره الله لحكم بالغة كما قال تعالى ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ﴾ [سورة هود:١١٨-١١٩].والناس يختلفون في عقولهم وإيمانهم ولله حِكَم في ذلك.

وقد كان شيخنا مقبل الوادعي رحمه الله يردد ويقول: وإن اختلفنا مع إخواننا المسلمين بسبب المخالفات التي عندهم فنحن يد واحدة ضد أعداء الإسلام.

وقال مثله العلامة الألباني رحمه الله. وقال العلامة ابن باز رحمه الله:

إن المسلم ليألم كثيرًا، ويأسف جدًا من تدهور القضية الفلسطينية من وضع سيئ إلى وضع أسوأ منه، وتزداد تعقيداً مع الأيام، حتى وصلت إلى ما وصلت إليه في الآونة الأخيرة، بسبب اختلاف الدول المجاورة، وعدم صمودها صفاً واحدًا ضد عدوها، وعدم التزامها بحكم الإسلام الذي علق الله عليه النصر، ووعد أهله بالاستخلاف والتمكين في الأرض، وذلك ينذر بالخطر العظيم، والعاقبة الوخيمة، إذا لم تسارع الدول المجاورة إلى توحيد صفوفها من جديد، والتزام حكم الإسلام تجاه هذه القضية، التي تهمهم وتهم العالم الإسلامي كله.

ولذا فإنني أرى أنه لا يمكن الوصول إلى حل لتلك القضية، إلا باعتبار القضية إسلامية، وبالتكاتف بين المسلمين لإنقاذها، وجهاد اليهود جهاداً إسلامياً، حتى تعود الأرض إلى أهلها، وحتى يعود شذاذ اليهود إلى بلادهم التي جاءوا منها.

مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، لابن باز (١/ ٢٧٧).

وقال العلامة العثيمين رحمه الله:

وإن نصرنا لله لا يكون بالأقوال البراقة والخطب الرنانة التي تحول القضية إلى قضية سياسية وهزيمة مادية ومشكلة إقليمية وإنها والله لمشكلة دينية إسلامية للعالم الإسلامي كله، إن نصر الله عز وجل لا يكون إلا بالإخلاص له والتمسك بدينه ظاهرا وباطنا والاستعانة به وإعداد القوة المعنوية والحسية بكل ما نستطيع ثم القتال لتكون كلمة الله هي العليا وتطهر بيوته من رجس أعدائه.

وللشيخ صالح الفوزان وغيره من العلماء كلام كثير ومبثوث عن المسجد الأقصى والقضية الفلسطينية وهذا واجب عليهم، لكني حريص على الاختصار.

فمن قال بغير ما قاله هؤلاء العلماء في القضية الفلسطينية وفي غيرها من النوازل فهو إنما يمثل نفسه، ويجب على من يريد أن يتكلم في قضايا الأمة أن يسلك منهج أهل العلم وأن يتكلم بعلم وحكمة ونظر في المصالح والمفاسد والمآلات، لا أن يتكلم بالطيش والجهل والهوى.

وأسأل الله عز وجل بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يعز الإسلام والمسلمين وأن ينصر الإسلام والمسلمين وأن يذل الكفر والكافرين وأن يؤلف بين قلوب المسلمين وأن يجمع كلمتهم على الحق والهدى والرحمة، اللّهم عليك باليهود وأعوانهم وأنصارهم فإنهم لا يعجزونك يا قوي يا عزيز اقذف الرعب في قلوبهم مزقهم كل ممزق شتت شملهم وفرق جمعهم ودمر أسلحتهم إنك على كل شيء

قدير والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

دعوى تعارض العقل والنقل

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمة للعالمين وحجة على الخلق أجمعين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن دعوى تعارض العقل والنقل قضية قديمة تبنتها بعض الفرق التي انحرفت كثيرا عن منهج الكتاب والسنة والصحابة والتابعين وأصحاب الحديث والأئمة الأربعة، وهم المعتزلة، وقد استغلها أهل الباطل في العصر الحاضر لرد كثير من الأدلة بحجة مخالفة العقل، والهدف الحقيقي هو تشكيك الناس في أدلة الكتاب والسنة، حالهم كما قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة التوبة: ٣٢-٣٣].

وقد تصدى للرد على المعتزلة وهو رد على المعاصرين أيضا، شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه، درء تعارض العقل والنقل، وهو كتاب عظيم وأعجوبة، إلا أنه لا يصلح للمبتدئين ولا للمتوسطين في العلم، لأن ألفاظه قويه، ومناقشاته في هدم شبه أهل الباطل من الملاحدة والفلاسفة وأهل الكلام والمعتزلة وغيرهم، فوق مستوى المتوسطين في العلم، قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في شرح القواعد المثلى لا يقرأ هذا الكتاب إلا المتبحر في العلم.

قال ابن قيم الجوزية في كتابه (طريق الهجرتين وباب السعادتين) مادحاً كتاب العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية ”ومن أراد معرفة هذا فليقرأ كتاب شيخنا وهو (بيان موافقة العقل الصريح للنقل الصحيح) فإنه كتاب لم يطرق العالم له نظير في بابه، فإنه هدم فيه قواعد أهل الباطل من أساسها، فخرت عليهم سقوفه من فوقهم، وشيد فيه قواعد أهل السنة والحديث، وأحكمها ورفع أعلامها، وقررها بمجامع الطرق التي تقرر بها الحق من العقل والنقل والفطرة، فجاء كتابا لا يستغنى من نصح نفسه من أهل العلم عنه، فجزاه الله عن أهل العلم والإيمان أفضل جزاء.

وقال ابن قيم الجوزية في مدح الكتاب في النونية وأنه لا يوجد له نظير في بابه:

واقرأ كتاب العقل والنقل الذي ... ما في الوجود له نظير ثان

ومن العجائب أنه استعمل قوانين المتكلمين والفلاسفة نفسها في بيان بطلان مذاهبهم، ولذلك قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومن العجائب أنه بسلاحهم ... أرداهم تحت الحضيض الداني

والكتاب يقع في عشر مجلدات.

ومما يوقفك في الكتاب، انصافه مع الذين رد عليهم، فبينما تراه الخصم الحرد والليث الكاسر اذا هو المدافع المنصف الذي جعل بعض الرافضة يقول له انت يا ابن تيمية تنصفنا أكثر من انصاف بعضنا لبعض يالله إذا كان هذا مع الرافضة فكيف مع غيرهم هذه تربية عملية لطلاب العلم.

ومن عجائب هذا الكتاب أنه حشر فيه أعلام الفرق والمذاهب حتى لايكاد يفوته منهم أحد له بال وشأن، وناقش كل واحد منهم في أهم كتبه وينقل عنهم بالصفحات بالنص ثم يكر عليهم فيفرق جمعهم ويشتت شملهم.

ولا إله إلا الله كم جنى أهل الأهواء من جهمية ومعتزلة وغيرهم على الشرع وعلى الخلق، قطعوا الطريق على الخلق في أعظم أمر، وهو معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ☜.

ومن رحمة الله بأهل الحق أن كل الرموز في جميع الفرق المنحرفة والذين لهم أثر في مذاهبهم كلهم قبل ابن تيمية فلم يأت بعده من يستحق الرد عليه.

وكم لشيخ الإسلام ابن تيمية من منة على المسلمين عامة وعلى أهل العلم خاصة، فرحمه الله وجزاه عن الإسلام والمسلمين خيرا.

ومما ينبغي اعتقاده أن نصوص الكتاب والسنة الصحيحة والصريحة في دلالتها، لا يعارضها شيء من المعقولات الصريحة، ذلك أن العقل شاهد بصحة الشريعة إجمالا وتفصيلا، فأما الإجمال، فمن جهة شهادة العقل بصحة النبوة وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم، فيلزم من ذلك تصديقه في كل ما يخبر به من الكتاب والحكمة، وأما التفصيل، فمسائل الشريعة ليس فيها ما يرده العقل بل كل ما أدركه العقل من مسائلها فهو يشهد له بالصحة تصديقا وتعضيدا، وما قصر العقل عن إدراكه من مسائلها، فهذا لعظم الشريعة، وتفوقها، ومع ذلك فليس في العقل ما يمنع وقوع تلك المسائل التي عجز العقل عن إدراكها، فالشريعة قد تأتي بما يحير

العقول لا بما تحيله العقول، كما قال ابن تيمية، فإن وجِد ما يوهم التعارض بين العقل والنقل، فإما أن يكون النقل غير صحيح، وإما أن يكون العقل فاسدًا بفساد مقدماته، وقد يكون النقل صحيحاً، إلا أنه لا يدل على المعنى المدعى، فيتوهم التعارض بين المنقول والمعقول، كما في حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ، قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يقُولُ يَوْمَ الْقِيامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدني. قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدتَهُ لَوَجَدَتني عنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ، اسْتَطْعمتُكَ فَلَمْ تُطْعِمني. قَالَ: يَا رَبِّ، وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عنْدِي؟ يَا ابْنَ آدَمَ، اسْتَسْقيتُكَ فَلَمْ تسقِني. قَالَ: يَا رَبِّ، كيْفَ أسقيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عنْدِي».

وهذا الحديث فسره المتكلم به، وبين المراد منه، وهو أن العبد هو الذي جاع وعطش ومرض، ولم يفهم غير هذا المعنى أحد من علماء المسلمين، ولم يقل بهذا إلا اليهود الذين يدعون أن الله يزور مرضاهم، ويأتون بكرسي بجوار المريض ولا يجلس عليه أحد.

وقد أطال ابن تيمية رحمه الله الكلام على دعوى التعارض بين العقل والنقل في كتابه البديع(درء تعارض العقل والنقل) ومما قاله: ليس في المعقول الصريح ما يمكن أن يكون مقدَما على ما جاءت به الرسل، وذلك لأن الآيات والبراهين دالة

على صدق الرسل وأنهم لا يقولون على الله إلا الحق وأنهم معصومون فيما يبلغونه عن الله من الخبر والطلب، لا يجوز أن يستقر في خبرهم عن الله شيء من الخطأ كما اتفق على ذلك جميع المقرين بالرسل من المسلمين واليهود والنصارى وغيرهم، فوجب أن جميع ما يخبر به الرسول عن الله صدق وحق لا يجوز أن يكون في ذلك شيء مناقض لدليل عقلي ولا سمعي، فمتى علم المؤمن بالرسول، أنه أخبر بشيء من ذلك جزم جزما قاطعا أنه حق وأنه لا يجوز أن يكون في الباطن بخلاف ما أخبر به وأنه يمتنع أن يعارضه دليل قطعي، لا عقلي ولا سمعي، وأن كل ما ظن أنه عارضه من ذلك فإنما هو حجج داحضة وشبه من جنس شبه السوفسطائية، وإذا كان العقل العالم بصدق الرسول قد شهد له بذلك وأنه يمتنع أن يعارض خبره دليل صحيح، كان هذا العقل شاهدا بأن كل ما خالف خبر الرسول فهو باطل فيكون هذا العقل والسمع جميعا شهدا ببطلان العقل المخالف للسمع.

وأن العقل الصريح عندهم - أي: عند أهل السنة - يوافق النقل الصحيح، وعند الإشكال يقدمون النقل ولا إشكال؛ لأن النقل لا يأتي بما يستحيل على العقل أن يتقبله، وإنما يأتي بما تحار فيه العقول، والعقل يصدق النقل في كل ما أخبر به ولا العكس. ولا يقللون من شأن العقل؛ فهو مناط التكليف عندهم، ولكن يقولون: إن العقل لا يتقدم على الشرع - وإلا لاستغنى الخلق عن الرسل - ولكن يعمل داخل دائرته، ولهذا سموا أهل السنة لاستمساكهم واتباعهم وتسليمهم المطلق لهدي النبي صلى الله عليه وسلم. قال الله تعالى: ﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ

أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [سورة القصص: ٥٠].

وإذا ظهر تعارض بين الدليلين النقلي والعقلي، فلابد من أحد ثلاثة احتمالات:

الأول: أن يكون أحد الدليلين قطعياً والآخر ظنياً، فيجب تقديم القطعي نقلياً كان أم عقلياً، وإن كانا ظنيين فالواجب تقديم الراجح، عقلياً كان أم نقلياً.

الثاني: أن يكون أحد الدليلين فاسدا، فالواجب تقديم الدليل الصحيح على الفاسد سواء أكان نقليًا أم عقلياً.

الثالث: أن يكون أحد الدليلين صريحاً والآخر ليس بذاك، فهنا يجب تقديم الدلالة الصريحة على الدلالة الخفية، لكن قد يخفى من وجوه الدلالات عند بعض الناس ما قد يكون بينا وواضحاً عند البعض الآخر، فلا تعارض في نفس الأمر عندئذٍ.

أما أن يكون الدليلان قطعيين - سندا ومتنا- ثم يتعارضان، فهذا لا يكون أبداً، لا بين نقليين، ولا بين عقليين، ولا بين نقلي وعقلي.

وخلاصة اعتقاد أهل السنة في هذا الباب (أن الأدلة العقلية الصريحة توافق ما جاءت به الرسل، وأن صريح المعقول لا يناقض صحيح المنقول، وإنما يقع التناقض بين ما يدخل في السمع وليس منه، وما يدخل في العقل وليس منه). وقد أعمل الصحابة رضي الله عنهم هذا الأصل، وتلقاه عنهم التابعون، وتواترت عبارات أهل العلم بهذا المعنى.

قال ابن تيمية رحمه الله: فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن برأيه ولا ذوقه ولا معقوله ولا قياسه ولا وجده، فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعيات، والآيات البينات أن الرسول جاء بالهدى ودين الحق، وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم.

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: كل شيء خالف أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم سقط، ولا يقوم معه رأي ولا قياس، فإن الله تعالى قطع العذر بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم، فليس لأحد معه أمر ولا نهي غير ما أمر هو به.

وقال الإمام مالك رحمه الله: أو كلما جاء رجل أجدل من الآخر، رد ما أنزل جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم.

ومن ثمرات الالتزام بهذه القاعدة، إثبات عصمة الشرع الحكيم إذ ليس فيه ما يخالف العقل الصحيح، وسد باب التأويل والتفويض، واستقامة الحياة على الوجه الأتم الأكمل عند نفي التعارض بين وحي الله تعالى والعقل، فتنعم البشرية بهدي الله وشرعه وتنتفع بما أنعم على خلقه.

ومن الأحاديث التي ادعي مخالفتها للعقل حديث الذباب وللرد على هذه الدعوى، يقال لهم مع أن العلم الحديث قد أثبت ذلك، ومن أقوى الأبحاث التي أقيمت في هذا الموضوع بحث الأستاذ الدكتور مصطفى إبراهيم حسن، أستاذ الحشرات الطبية، ومدير مركز أبحاث ودراسات الحشرات الناقلة للأمراض، جامعة الأزهر، وكان بحثه بعنوان: " الداء والدواء في جناحي الذباب " وقد ختم

بحثه بقوله:

وأهم مانود الإشارة إليه، هو أن رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم لم يدع أحداً إلى وضع الذباب في الإناء عنوة، ولا أمر أحدا أن يشرب من الإناء الذي وقع فيه الذباب، ولكنه صلى الله عليه وسلم يلفت نظرنا إلى أن لكل داء دواء. ويدفعنا الحديث في آخره إلى البحث عن الدواء أو الشفاء في جناحي الذباب، لمعالجة الأمراض التي ينقلها الذباب للإنسان.

إن الحديث الشريف يفتح المجال لاكتشاف عشرات المضادات الحيوية من الذباب .... أي أننا نستطيع أن نحصل على علاج أو دواء لكل الأمراض التي ينقلها الذباب في مناطق العالم المختلفة. انتهى

وحديث الذباب جاء يعالج مشكلة قائمة، والإسلام الذي اهتم بما يحتاجه أصحاب المدن من أحكام، اهتم كذلك بما يحتاجه سكان البادية من أحكام، لأنه دين البشرية جمعاء، وحديث الذباب وحي من الله، وإذا كان القرآن لم يسكت عن قضية الأعمى، ونزل في ذلك صدر سورة عبس، فكيف يسكت القرآن والوحي كما قال أهل العلم عن أمر قاله الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو يضر الناس كما يزعمون؟

ومما لا يخفى على أحد أن الناس وإلى أزمنة قريبة، كانوا يعيشون في العالم كله في شح شديد في المطاعم والمشارب، فلك أن تتخيل مزارعا مثلا ليس عنده إلا هذا الماء الذي سقط فيه الذباب، ماذا يصنع، خاصة وقد أخبر الصادق المصدوق صلى

الله عليه وسلم أن مثل هذا لا يضر، والأمر أيسر من هذا كله، لولا مزايدة أهل الباطل على مثل هذه القضايا، وليس الشأن أن تشرب أو لا تشرب، وإنما الأمر الخطير أن ترد أو تطعن في خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أو تكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ونحن ندعوا أولئك إلى عدم الاستعجال فلا زال العلم الحديث يثبت أمورا كانت في الماضي لا يقبلها عقل، مع أننا نعتقد أن كل ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو حق، وليس فيه أي مخالفة لا للعقول المستقيمة ولا للواقع، ولتعلمن نبأه بعد حين.

ومما قاله شيخ الإسلام في كتاب العقل والنقل، كل من ادعى أن الأدلة من الكتاب والسنة قد دلت على باطل فأنا مستعد أن أجعله دليلا عليه.

ومن المفارقات العجيبة أن هؤلاء الذين يقولون لا نقبل من الأدلة إلا ما وافق العقل، يقبلون كل ما يأتي به العلم الحديث، ولو لم يشاهدوا ذلك ولو كان مما يحير العقول، فإذا جاءوا إلى الكتاب والسنة قالوا لا نقبل إلا ما يوافق العقل، ومع أن العقل السليم من الأفكار المنحرفة والشبهات المضلة لا يمكن أن يتعارض مع النص الصحيح الصريح، ومع هذا يقال لهم بأي عقل نقبل النصوص أو نردها؟

فمن العقول من يرفض تحريم الزنا أو اللواط.

ومن العقول من يحسن الإلحاد.

ومن العقول من يحسن الظلم.

ومن العقول من يحسن أكل الكلاب...

وإن أردتم مرجعية هذه الأمة من الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام فهؤلاء كلهم لا يوجد عندهم أي تعارض بين ما جاء في القرآن والسنة الصحيحة وبين العقل.

والعقل مهما بلغ في الذكاء والإدراك، له سقف محدود، كما أن العين لها سقف محدود، والأذن لها سقف محدود، وقوة الرجل لها سقف محدود، ولو حُدِث شخص قبل مئتي سنة عن الطائرات والاتصالات لقال هذا لا يقبله العقل، وربما اتهم القائل بأنه قد أصيب في عقله.

وابن تيمية يوجه هذا السؤال للفلاسفة والمتكلمين: ماذا تقصدون بالعقل؟ هل أداة التفكير؟ أم المعلومات التي عرفناها بواسطة العقل؟

والنتيجة الذي توصل إليها أنه لا يوجد تعارض بين العقل والنقل بل التعارض من صنع البشر.

وقال أيضا:

"ما خالف العقل الصريح فهو باطلٌ. وليس في الكتاب والسنَةِ والإجماع باطل، ولكن فيه ألفاظ قد لا يفهمها بعضُ النَّاس، أو يفهمون منها معنى باطلاً، فالآفةُ منهم، لا من الكتاب والسنة" انتهى. "مجموع الفتاوى" (١١/ ٤٩٠).

وقال ابن القيم رحمه الله:

الرسل صلوات الله وسلامه عليهم لم يخبروا بما تحيله العقول وتقطع

باستحالته، بل أخبارهم قسمان:

أحدهما: ما تشهد به العقول والفطر.

الثاني: ما لا تدركه العقول بمجردها، كالغيوب التي أخبروا بها عن تفاصيل البرزخ واليوم الآخر وتفاصيل الثواب والعقاب، ولا يكون خبرهم محالا في العقول أصلا، وكل خبر يظن أن العقل يحيله، فلا يخلو من أحد أمرين: إما أن يكون الخبر كذبا عليهم، أو يكون ذلك العقل فاسدًا، وهو شبهة خيالية، يظن صاحبها أنها معقول صريح " انتهى من "الروح" (٦٢)، وينظر: "الصواعق المرسلة" (٨٢٩/٣-٨٣٠).

ولا تظنوا أن العلماء أهملوا هذا الأمر وهو تعارض العقل والنقل إلا أنهم جعلوا له قواعد منضبطة يُرجع إليها، وليس إلى هوى فلان أو ذوق فلان أوعقل فلان، قال الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله:

"مَا أَحْسَنَ قَوْلَ ٱلْقَائِلِ: إِذَا رَأَيْتَ الْحَدِيثَ يبَايِنُ المعقُولَ أَوْ يُخَالِفُ الْمَنْقُولَ أَوْ ينَاقِضُ ٱلْأُصُولَ فَاعْلَمْ أَنَّهُ مَوْضُوعٌ "انتهى من "تدريب الراوي" (٣٢٧/١).

يعني: أن من أمارات الحديث الموضوع أنه يخالف صريح العقل، أو يخالف صحيح النقل، أو يخالف أصلا معمولاً به متفقا عليه.

أما أن يأتي الحديث الصحيح بما لا سبيل للعقل إليه، لنقصه وعجزه، كأن يأتي ببعض المعجزات النبوية، أو يأتي ببعض الأخبار الغيبية: فمثل هذا يسمى محارات العقول "ولا يسمى" محالات العقول "فهو لا يخالف العقل، ولكن يعجزه ويحيره،

فإما أن يسلم العبد به ويقبله ويقر بعجزه -وتلك حال المؤمن-، وإما أن يرفضه ويرده -وتلك حال الجاهل المكذب-.

والعقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح بحال، ومتى توهم متوهم أن نَصَّاً من النصوص الشرعية الثابتة خالف العقل؛ فليتهم عقله هو.

وإنْ تعارض النقل والعقل في الظاهِرِ؛ قُدِّمَ النَّقْلُ على العقلِ؛ لأنَّ النَّقْلَ عِلْمُ الخالِقِ الكامِلِ، والعَقْلَ عِلْمُ المخلوقِ القاصِر، وهذا التعارض يكون بحسب الظاهر لا في حقيقة الأمر؛ فإنه لا يمكن أبداً حصول تعارض بين النقل الصحيح والعقل الصريح، وإذا وجد تعارض فإما أنْ يكون النقل غير صحيح أو العقل غير صريح.

فإذا تعارض الشرع والعقل وجب تقديم الشرع؛ لأن العقل مصدق للشرع في كل ما أخبر به، والشرع لم يصدق العقل في كل ما أخبر به، ولا العلم بصدقه موقوف على كل ما يخبر به العقل، فالقضية ليست كما تتوهمون، فالعقل دل على وجوب تقديم النقل؛ لأن العقل مصدق للنقل في كل ما أخبر به، والنقل لا يصدق العقل في كل ما يمليه؛ لأن العقول تتفاوت، وقد يكون معقول هذا غير معقول هذا كما هو الواقع، لكن العكس صحيح أن العقل الصحيح يصدق الرسول ﷺ في كل ما يخبر به، إذا كان يقر ويثبت أنه مرسل من عند الله.

قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [سورة النساء:٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [سورة الحشر:٧].

قال الشيخ ابن باز رحمه الله والعقول محل الخطأ، ومحل النقص، ومحل النسيان، والعصمة لشرع الله وليس لعقول الناس، ولو فكر إنسان في عقله لعرف أخطاء عقله فيما يتعلق بنفسه وبيته وأولاده وغير ذلك.

وقال العلامة الشاطبي في الاعتصام ج٢:

إن اللَّهَ جَعَلَ لِلْعقُولِ فِي إِدْرَاكِهَا حَدًّا تنتهي إِلَيْهِ لَا تَتَعَدَّاهُ، وَلَمْ يَجْعَلْ لَهَا سَبِيلًا إِلَى الْإِدْرَاكِ فِي كُلِّ مَطْلُوبٍ. وَلَوْ كَانَتْ كَذَلِكَ لَاسْتَوَتْ مَعَ الْبَارِي تَعَالَى فِي إِدْرَاكِ جَمِيعِ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ وَمَا لَا يَكُونُ، إِذْ لَوْ كَانَ كَيْفَ كَانَ يَكُونُ، فَمَعْلُومَاتُ اللَّهِ لَا تَتَنَاهى. وَمَعْلُومَاتُ الْعبْدِ مَتناهِيَةٌ. وَالمتنَاهي لَا يساوِي مَا لَا يتناهى.

ومن هنا وقف الإسلام موقفا وسطا تجاه العقل فلم يتخذ مسلك الفلاسفة والمعتزلة الذين غلوا في تقديس العقل وجعلوه الأصل لعلومهم ومعارفهم وسبيل الوصول إلى الحقائق والحكم المقدم على النقل والشرائع.

كما أن الإسلام لم يتخذ مسلك الصوفية والرافضة الذين ذموا العقل وعطلوه واعتقدوا ما لا يقبل ولا يعقل من الحماقات والخرافات.

إن الإسلام كمنهج رباني أنزله اللطيف الخبير. جلا وعلا. اتخذ مسلكا وسطا تجاه العقل حيث عرف للعقل قدره فوضعه في مكانه اللائق به بلا إفراط ولا تفريط.

تنبيه: كلام ابن تيمية رحمه الله الذي ذكرته في هذا المقال، بعضه وقفت عليه في كتاب العقل والنقل، وبعضه نقلته مع التعليق الذي عليه من بعض المصادر مثل

الدرر السنية.

مثلٌ رفيع وكلام نفيس من العلامة المؤرخ ابن خلدون في بيان حدود إدراك العقل وخطأ تقديمه على النقل.

قال رحمه الله في تاريخه:

* ولا تثقنَّ بما يزعم لك الفكر من أنَّه مقتدر على الإحاطة بالكائنات وأسبابها والوقوف على تفصيل الوجود كلّه وسفه رأيه في ذلك. واعلم أنَّ الوجود عند كلَّ مدرك في بادئ رأيه منحصر في مداركه لا يعدوها والأمر في نفسه بخلاف ذلك والحقَّ من ورائه.

* ألا ترى الأصمَّ كيف ينحصر الوجود عنده في المحسوسات الأربع والمعقولات ويسقط من الوجود عنده صنف المسموعات.

* وكذلك الأعمى أيضا يسقط عنده صنف المرئيَّات ولولا ما يردَّهم إلى ذلك تقليد الآباء والمشيخة من أهل عصرهم والكافّة لما أقرَّوا به لكنَّهم يَّتبعون الكافّة في إثبات هذه الأصناف لا بمقتضى فطرتهم وطبيعة إدراكهم.

* ولو سئل الحيوان الأعجم ونطق لوجدناه منكرا للمعقولات وساقطة لديه بالكّليَّة فإذا علمت هذا فلعلَّ هناك ضربا من الإدراك غير مدركاتنا لأنَّ إدراكاتنا مخلوقة محدثة وخلق الله أكبر من خلق النَّاس.

والحصر مجهول والوجود أوسع نطاقا من ذلك والله من ورائهم محيط.

فاتَّهم إدراكك ومدركاتك في الحصر واتبع ما أمرك الَّشارع به من اعتقادك

وعملك فهو أحرص على سعادتك واعلم بما ينفعك لأنَّه من طور فوق إدراكك ومن نطاق أوسع من نطاق عقلك وليس ذلك بقادح في العقل ومداركه بل العقل ميزان صحيح فأحكامه يقينيَّة لا كذب فيها. غير أنَّك لا تطمع أن تزن به أمور التَّوحيد والآخرة وحقيقة النَّبوة وحقائق الصِّفات الإلهيَّة وكلَّ ما وراء طوره فإنَّ ذلك طمع في محال. ومثال ذلك مثال رجل رأى الميزان الّذي يوزن به الذَّهب فطمع أن يزن به الجبال وهذا لا يدرك. على أنَّ الميزان في أحكامه غير صادق لكنَّ العقل قد يقف عنده ولا يتعدَّى طوره حَّتى يكون له أن يحيط باللَّه وبصفاته فإنَّه ذَّرة من ذرَّات الوجود الحاصل منه. وتفطّن في هذا الغلط ومن يقدَّم العقل على السَّمع في أمثال هذه القضايا وقصور فهمه واضمحلال رأيه فقد تبيَّن لك الحقَّ من ذلك وإذ تبيَّن ذلك فلعلَّ الأسباب إذا تجاوزت في الارتقاء نطاق إدراكنا ووجودنا خرجت عن أن تكون مدركة فيضلَّ العقل في بيداء الأوهام ويحار وينقطع. انتهى

تاريخ ابن خلدون ١/٥٨١-٥٨٢

والخلاصة المؤمنون حقا يعظمون النقل ويُعمِلون العقل.

حقائق عن السفر والعيش في الغرب

(ليس الخبر كالمعاينة)

الحمد لله القائل: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [سورة المائدة:٣]، والقائل: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ﴾ [سورة الأنعام:١١٥]، وأشهد ألَّا إله إلا الله وحده لا شريك له له الأسماء الحسنى والصفات العلى، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، أرسله الله رحمةً للعالمين على فترة من الرسل، فهدى به من الضلالة وبصَّر به من العمى وأرشد به من الغَي، ففتح به آذانًا صمًّا وقلوبًا غلفًا وأعينًا عميًا، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الكرام ما تعاقبت الليالي والأيام، أما بعد:

فلقد كتب الله لي السفر إلى قبرص اليونانية وهي إحدى دول الإتحاد الأوروبي؛ مع أنها من أوائل ما فُتِح في زمن الصحابة رضي الله عنهم وقد شهد الفتح بعض الصحابة كأبي الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ وبكى كما في سنن الإمام سعيد بن منصور وغيره(١) فتعجب الناس من ذلك قالوا تبكي في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله، فقال كلمات عظيمة، قال: «ما أهون الخلق على الله إذا تركوا أمره، بينا هي أمةٌ قاهرةٌ ظاهرةٌ على الناس، لهم الملكُ حتى تركوا أمر الله، فصاروا إلى ما ترى» -يعني: أهل قبرص-.

---

(١) سنن سعيد بن منصور (٢/٢٩٠) رقم: (٢٦٦٠)، و"الزهد" لأحمد بن حنبل (٧٦٣)، و"حلية الأولياء وطبقات الأصفياء" (١/٢١٦)، و"العقوبات" لابن أبي الدنيا (٢).

ومكن الله للصحابة ﭫ لأنهم أهلٌ للخير والنصر والتمكين.

وهناك قبر في مدينة لارنكا يقال: إنه قبر خالة أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وهي المعروفة بأم حرام رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، وقصة موتها في جزيرة في البحر في البخاري ومسلم(١)، وربما تكون هي هذه الجزيرة كما ذكر بعض أهل العلم، وقد جزم الإمام ابن حبان والحافظ ابن عبد البر بأن قبرها في جزيرة قبرص والله أعلم(٢).

---

(١) "صحيح البخاري (٢٧٨٨)، وصحيح مسلم (١٩١٢/١٦٠).

(٢) انظر: "صحيح ابن حبان" (٤٦٩/١٠)، و"الاستيعاب في معرفة الأصحاب" (١٩٣١/٤).

ما ورد من النهي عن الإقامة بين ظهراني المشركين

وسبحان الله! هذا أمر لم يكن يدور لي في خيال، ولم يخطر لي على بال، ولا أحببت ذلك، وهو السفر إليها ولله الأمر من قبل ومن بعد، وقد تعلمت دروسًا لن تنسى، ولعل من حكمة الله في ذلك هذه الكلمات التي كتبتها والتي أرجو الله أن ينفع بها وأن يجعلها في ميزان الحسنات.

وقد استلمت مسجد مدينة بافوس للخطابة والإمامة وإلقاء الدروس وغيرها ونسأل الله العون والإخلاص والقبول إلا أني لا أحب البقاء فيها ولا يوما واحدا، مع أن تلك البلاد بحاجة ماسة للدعاة ويحصل بوجودهم للدعوة الخير الكثير ونسأل الله اللطف والتيسير والمخرج الحسن.

والذي يسليني فيها فقط هو الارتباط بالمسجد والدعوة والخير رغم طيب جوها وبحرها وطبيعتها، ولقد كنت أقرأ قول الرسول ﷺ: «أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين» والحديث صححه جمع من العلماء منهم الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو في سنن أبي داوُد والترمذي(١).

وجاءت أحاديث كثيرة بمعناه مثل حديث جرير البجلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: أتيتُ النبي ﷺ وهو يبايع، فقلت: يا رسول الله! ابسط يدك حتى أبايعك، واشترط عليَّ فأنت أعلم، قال: «أبايعك على أن تعبد الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة،

---

(١) سنن أبي داوُد (٢٦٤٥)، وسنن الترمذي (١٦٩٦) من حديث جرير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وتناصح المسلمين، وتفارق المشركين» أخرجه الإمام النسائي وهو صحيح[١]، لكني لم أكن مستوعبًا لمعناه قبل أن أرى الذي رأيت وسمعت عن قرب.

---

(١) سنن النسائي (٤١٧٧).

ما رأيته من حال المسلمين في قبرص

وكنت أقرأ فتاوى العلماء فأتعجب من تشديداتهم في السفر والعيش في الغرب، وكما قال رسول الله ﷺ: «ليس الخبر كالمعاينة»[(١)]؛ لأني كنت كغيري أسمع من الكثير أن هناك مساجد ومراكز إسلامية وجاليات ووو إلخ، وأن المسلمين لا يُمنعون من إقامة شعائر الإسلام، نعم! هذا موجود، لكن بما أن الغالب والسائد هو الكفر والفسوق والفجور والعري والكنائس فأحوال المسلمين يرثى لها فيما يتعلق: بدينهم، وأخلاقهم، وآدابهم، فترى ما يدمع العين ويدمي القلب من الضياع والفساد والانحراف في أسر وأفراد المسلمين، ولم يسلم من ذلك أحد وإنما هم بين مقل ومكثر.

فالمساجد: لا يذهب إليها إلا القليل جدًّا مقارنة بغيرهم ممن لا يذهب، وهي مساجد بعيدة في الغالب وقليلة، وأكيد لا تسمع أذانا ولا غيره لأن كل ذلك ممنوع فقط الأذان داخل المسجد، بينما تسمع أصوات أجراس الكنائس مع خلوها من الناس كما سمعنا.

ومدارسهم:

ليس لها أي صلة من قريب ولا من بعيد بالإسلام وتعاليمه وقد توجد مدارس خاصة إسلامية لكنها قليلة وبعيدة وغالية وأكثرها ليس لها من الإسلام إلا الاسم

---

(١) مسند أحمد (٣/ ٣١٤) رقم: (١٨٤٢)، وصححه ابن حبان (٦٢١٣)، والحاكم (٣٢٥٠).

ولهذا ترى الأجيال: من الجيل الثاني الذين و لِدوا وتربوا في الغرب صار الكثير منهم لا يعرف شيئا عن الإسلام ولا عن لغة الإسلام اللغة العربية.

من أعظم المفاسد لمن يعيش في الغرب

وقد رأيت من أعظم المفاسد لمن يعيش في الغرب:

١) تأثر عقيدة المسلم إلا من رحم الله:

لأنه يعيش في أجواء مليئة بالشبهات والشهوات التي تنخر في قلبه نخرًا.

أثر انتشار الإلحاد في هذه الدول وأسبابه

وبخاصة أن الإلحاد انتشر في الآونة الأخيرة في الغرب بسبب: (التناقضات الموجودة في دينهم بعد تحريفه ونسخه) فصارت فيه قضايا وتعاليم مخالفة حتى للعقل والفطرة ولو قام المسلمون بدورهم المطلوب منهم لدخل أولئك في دين الله أفواجا لأنه:

* الحق الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [سورة فصلت:٤٢].

* وهو الذي تقبله القلوب السليمة والفِطر المستقيمة، وكما قال بعض الكفار بعد إسلامه:

(المسلمون فقط بحاجة إلى أن يحسنوا فهم الإسلام ويحسنوا تطبيقه في أنفسهم ويحسنوا في عرضه على غيرهم وسيكون هو دين العالم الأول).

كذلك من أسباب انتشار الإلحاد والانسلاخ عن دينهم المحرف (فصلهم الدين عن الدولة) ثم ما يتعلق بالدولة: فهو مقدس ومحترم ومحمي، وأما الدين: فقد تخلوا عنه تماما فاعتقد ما شئت وقل ما شئت وافعل ما شئت، بينما الإسلام جاء لحفظ الدين والدنيا بل الغاية الكبرى التي خلقنا الله في الدنيا لأجلها عبادة الله ثم الكل مرتحل عن الدنيا إلى الدار الآخرة للجزاء هذا: (والقلو ب ضعيفة والشُبهُ خطافة) وما سمي القلب بالقلب إلا لتقلبه.

ومن المفاسد لمن يعيش في الغرب أيضًا:

٢) ضعف الغيرة على الأعراض أو ذهابها.

٣) ترك الصلاة أو الاستهانة بها.

٤) استمراء المعاصي.

٥) التشبه بالكفار.

٦) تمرد الأبناء والبنات على الآباء والأمهات.

أثر أنظمة الغرب في إفساد البنين والبنات

وتساعدهم على ذلك الأنظمة في الغرب:

فبعد سنة الثامنة عشر لست مسؤولًا عنه ولا هو مسؤول عنك، قال لي صديق في كندا: (ذهبت إلى الجامعة لأسدد رسوم ابنتي؟ فسألت: كم عليها، قالوا: عفوا هذا لا يخصك هذا يخصها ادفع فقط المبلغ الذي تريد).

وقال لي بعض المشايخ الذين زاروا كندا:

أخذني أخ عراقي مقيم في كندا لأنصح ابنه، قال: يأتي بالبنات إلى بيتي ولا أستطيع أن أمنعه ولا أمنعهن بسبب الأنظمة في كندا، وقبل سن الثامنة عشر قد تُسجَن أو يؤخذ منك إذا ضربته للتأديب، وفي بعض الدول هناك درس ديني (دين النصارى) في مدارسهم الحكومية ودرس في الجِنس.

ومن المفاسد لمن يعيش في الغرب أيضًا

٧) ضعف الولاء والبراء بين المسلم والكافر وربما انعدامه.

٨) ذوبان الشخصية الإسلامية.

٩) قلة الكسب الحلال.

١٠) ومن المفاسد: تزوج البعض بغير المسلمة في الغرب لأغراض دنيوية.

وهذا الزواج في هذا الزمان فيه مخاطر ومفاسد كثيرة على دينه وأخلاقه وأولاده.

هذه أعظم المفاسد التي استحضرتها ولا شك هناك غيرها والحليم تكفيه الإشارة.

كل هذا لأجل دنيا فانية لو دامت لغيرنا ما وصلت إلينا، والله لن ينفعك أحد عندما تقف بين يدي الله بل أولادك الذين سافرت إلى الغرب الكافر والمنحل لأجلهم يفرح أحدهم يوم القيامة إذا وجد عندك حسنة، بينما الابن الصالح ينفعك الله به بعد موتك بالدعاء لك ويأتي في ميزان حسناتك يوم تلقى الله، وقد صرت أتتبع وأسأل الذين يعيشون في دول الغرب وأقرأ فوجدت الأمر واحدًا مع فوارق يسيرة في بعض الدول، وربما ظن البعض أني بالغت مع أني والله تركت كثيرًا ولو سردت ما رأيته بنفسي فقط وسمعته لاحتجت إلى سِفْر من الأسفار، بل والله ما رأيت شخصًا ما زال فيه بقايا خير إلا وهو نادم أو يتمنى أن ينتقل من هذه البيئة التي وصل الشر فيها إلى أن وضعوا لهم قوانين للزواج المثلي (اللواط) التي تترفع

عنه الحيوانات، فنصيحة من مشفق وناصح و...و...و... خذها مجانًا وبدون ثمن باهض؛ لا تسافر للعيش في الغرب ولو مؤقتا كما يزعم البعض ثم لا يستطيع في الغالب الرجوع لأسباب كثيرة: إما بسبب وضع بلد ه، أو عجزه، أو إيثار زينة الحياة الدنيا أو أسبا ب أخرى.

أثر اللجوء إلى الغرب وأخذ جنسيتهم

فتح باب اللجوء إلى الغرب فخ وسوس به شياطين الإنس أو الجن والكثير لم يدركوا ذلك إلا وقد وقعوا في الفخ، أما أخذ الجنسية فمع الكلام الكثير لأهل العلم في حكمها لكن الذي أريد أن أقوله أنها فتح باب للأبناء للارتباط الكامل بالغرب ثم ما يترتب عليها من المفاسد فيموت الشخص وتأتيه الأوزار إلى قبره نسأل الله العافية لأنه هو السبب، وقد سافر شخص من اليمن إلى أمريكا قبل الأحداث وعندما أخذ الجنسية لأولاده وكبر أولاده خاف عليهم فأراد أن يأخذهم إلى اليمن فرفضوا تماما حاول معهم فأبوا فأراد أن يأخذهم بالقوة فتفاجأ باتصال من الشرطة وأن أولاده قد اتصلوا على الشرطة فأسرع في الخروج لوحده قبل أن يُعمم عليه في المطارات وترك أمريكا.

أوهام لا أعذار

وأخيرًا: هناك من يبرر السفر إلى الغرب بالحروب والمشاكل في دولته فأقول له والله لأن تموت في بلدك على الإسلام والإيمان والأخلاق والآداب خير من أن تذهب إلى الغر ب ويضيع دينك وأخلاقك:

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

لن تموت إلا بأجلك ولن يزاد في رزقك مثقال ذرة فلن تموت إلا وقد استوفيت أجلك ورزقك هنا أو هناك، مُت في البحر أو في البر، مت على أي طريقة لكن المهم مت على الخير والإيمان.

وما أحسن ما قاله خبيب بن عدي كما في البخاري[(١)] وقد أسرته قريش ثم صلبته لقتله:

فلســـتُ أبالي حين أُقتَـل مسلما على أي جنب كان لله مصـــرعي

فالدنيا والله أحقر من أن نترك صلاة نافلة لأجلها فكيف بمن يترك دينه؟! ومن سافر إلى الغرب للضرورة أو الحاجة: فينبغي إذا زالت تلك الضرورة أو الحاجة التي سافر لأجلها أن يغادر تلك البلاد والله وحده هو المطلع على السرائر.

---

(١) صحيح البخاري (٣٩٨٩).

خطأ شائع

ولهذا من الأخطاء الشائعة: إطلاق لفظ الهجرة من بلاد الإسلام إلى الغرب بل العكس هو الصحيح، بل قال أهل العلم من عجز عن إظهار شعائر دينه أو خاف على دينه وأهله وأولاده من الفتنة والضياع تجب عليه الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام لأن أداء الواجبات والمحافظة على الدين واجب وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب إضافة إلى ما في المجتمع المسلم من الترابط الأسري وهذا مفقود تماما في الغرب فلا ترى في الغالب مع كبار السن إلا الكلاب أما الأبناء فكل واحد في وادي.

خلاصة القول

فنصيحتي لكل من كان يفكر بالسفر والعيش في الغرب أن يترك التفكير تماما ومن كان قد ابتلي بالسفر والعيش في الغرب فليبذل كل جهده من دعاء وعمل بالأسباب للخروج منها ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [سورة الطلاق:٢].

وما أحسن ما قاله كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما في الصحيحين(١) وهو أحد الثلاثة الذين قال الله عنهم في سورة التوبة: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ﴾ [سورة التوبة:١١٨] عندما أمر النبي ﷺ بهجرهم خمسين ليلة بسبب تخلفهم عن غزوة تبوك بدون عذر، فأرسل ملك غسان النصراني كتابا إلى كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوانٍ ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك» أي: نشركك في ملكنا، قال كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فقلت: حين قرأتها: وهذه أيضًا من البلاء فتيممتُ بها التنور فسجرتها بها، رماها في التنور وأحرقها ولم يتركها معه ليسد باب الشيطان على نفسه والتفكير في الأمر.

ولنعلم أن الموت يأتي بغته وقد أخفاه الله لحكمة عظيمة وهي حتى نكون على استعداد لأن الأكثر لو علموا بوقت الأجل لتركوا العمل إلى قبيل الأجل فكثر الفساد والزلل ولهذا ومع عدم معرفتنا بالأجل ما أكثر الغافلين.

---

(١) صحيح البخاري (٤٤١٨)، وصحيح مسلم (٥٣/٢٧٦٩).

وليُعلم أن ما ذكرته في هذه الوريقات قليل بالنسبة للواقع فقد أردت الاختصار وكذلك تخفى علي كثير من الأمور بسبب انحصار حركتي فيما يتعلق بالمسجد والخير إلا ما دعت إليه الحاجة من معاملة وغيرها. ولم أذكر الإيجابيات لأنها تتلاشى أمام هذه السلبيات وقد قال تعالى في سورة طه: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [سورة طه:١٣١]، فالمؤمن الحق: دينه أغلى من الدنيا وحطامها وما عند الله خير وأبقى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾ [سورة الأعلى:١٦-١٧].

شبهة

وهناك من يحتج بهجرة الصحابة إلى الحبشة!

والجوا ب:

١- أن الصحابة ﭫ هاجروا من بلد كافر عجزوا عن إقامة دينهم فيه إلى بلد كافر يستطيعون إقامة دينهم فيه.

٢- ثم هاجروا لإقامة دينهم لأن قريشا منعتهم من إقامة دينهم فلم يهاجروا لأجل الدنيا.

٣- ثم لم يكن في الحبشة من مظاهر الانحراف مثلما هو اليوم في الغرب.

٤- ثم تجمعوا في مكان واحد في أرض الحبشة يعبدون الله.

٥- وعندما وجدوا متنفسا في ا لمدينة النبوية أسرعوا في الخروج إلى المدينة النبوية.

فالصحابة في واد وغيرهم في واد آخر.

وقد كتبت هذه الكلمات من باب قوله ﷺ: «الدين النصيحة»(١) وقد سافر إلى الغرب في هذه السنوات بسبب الأحداث الأخيرة ملايين من المسلمين مع أسرهم بحيث لم يسبق على مر التاريخ مثل هذا الحدث وهو تحول مثل هذه الأعداد الكبيرة من البيئة المسلمة المحافظة إلى الغرب وكنا نلاحظ من قبل أن الغالب على من يسافرون إلى الغرب يعودون بأفكار منحرفة وهدامة فكذلك وبلا شك سيرجع الكثير من هذه الأعداد الكثيرة بأفكار هدامة ومنحرفة.

وإن كان والحمد لله في المقابل هناك من يزداد ثباتا على الإسلام ويحمد الله على نعمة الإسلام ويبذل جهودا كبيرة في الخير ونشر الإسلام بما يثلج الصدر إذا رأ ى من قال الله عنهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ﴾ [سورة الأعراف:١٧٩] إلا أن هذا الصنف قليل جدا.

وقد شرفنا الله بالإسلام فإن أقمناه سعدنا وأمنا وعشنا أعزة في الدنيا والآخرة كما عاش الرعيل الأول من هذه الأمة.

كان هارون الرشيد خليفة المسلمين في العراق يخاطب السحاب فيقول أمطري حيث شئتِ أي في الأرض فإن خراجك سيأتي إلي، وإلا فالذل والهوان إذا أعرضنا عنه ووالله لقد أعطانا الله كل خير في ديننا ودنيانا فالإسلام هو دين كل الرسل وهو الدين الذي يرضاه الله وأعطانا من الخيرات والثروات والموقع والموارد ما

---

(١) صحيح مسلم (٥٥) من حديث تميم الداري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

جعل غيرنا يحتاجون إلينا والأمر كما قال الشاعر:

بأيمانهم نوران ذكرٌ وسُنةٌ فما بالهم في حالك الظلمات

ومن قال عن الواقع في الغرب غير هذا: فقد غش الناس، أو هو يبرر إقامته هناك.

ونسأل الله الحفظ والسلامة والعافية لجميع المسلمين ونسأل الله أن يصلح أحوال المسلمين في كل مكان وأن يردنا جميعا إلى ما فيه الخير في ديننا ودنيانا حتى يأمن الناس في دينهم ودنياهم وبلدانهم وأن يجمع كلمة المسلمين على الحق والخير والرحمة والسداد إنه على كل شيء قدير وهو أرحم الراحمين.

اللّٰهم هل بلغت اللّٰهم فاشهد

كتبته نصيحة لإخواني وتبرئة للذمة

صيحة نذير

على مواقع ووسائل التدمير

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، و من يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [سورة النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبعد

قال الله تعالى: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ﴾ [سورة البقرة: ٢٥١] فمع ما لمواقع ووسائل التواصل من إيجابيات ومنافع، إلا أن الكثير منها اليوم يذبح الأخلاق والآداب والحياء والعفة والعقيدة من الوريد إلى الوريد، بل لا مقارنة بين ما فعلته أسلحة العدو بشتى أنواعها وبين ما تفعله مواقع التواصل اليوم من التدمير للأخلاق والآداب وتدمير البيوت والأسر، وسمعنا وسمع غيرنا من القصص ما يدمع العين ويدمي القلب وتشيب له الرؤوس ثم ما ترتب على ذلك من مشاكل أسرية من قتل وطلاق وضياع وشتات وعداوة وتقاطع والقائمة تطول.

وتعظم المصيبة أن تلك الوسائل:

تدمرنا وتدمر أسرنا وبيوتنا وأخلاقنا وديننا وآدابنا ونحن ندخلها إلى بيوتنا بأيدينا وأموالنا.

وقد قال الشاعر:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن همُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

أكثر الناس إن لم أقل كل الناس اليوم يئنون بل والله ويبكون وهم يرون تلك القنوات والمواقع تدمر يومًا بعد يوم دين وأخلاق القريب والبعيد من المسلمين، وصار الكثير محتارًا لا يدري ماذا يصنع بعد أن غزتنا تلك القنوات والمواقع إلى كل بيت إلا من رحم الله وعجز الكثير عن السيطرة حتى في بيته.

وفي وجهة نظري: إن سبب التدمير والفساد الذي أحدثته تلك المواقع في مجتمعاتنا وبيوتنا يرجع إلى أمرين:

الأول: يرجع إلى كيفية التعامل معها بحيث يؤخذ حسنها ونافعها ويترك سيؤها وضارها.

الثاني: يرجع إلى ضعف المناعة فلو تسلح من يستخدم تلك المواقع بالعقيدة والإيمان والتقوى والعلم والأخلاق والآداب لدفع شر تلك المواقع وصده وسلم من شرها.

ومما يؤسف له:

أننا لا نرى من يتصدى لتلك المواقع والوسائل المدمرة ببيان خطرها وما فيها من الضرر والفساد على العقيدة والأخلاق.

وإن وجد فهو لا يقارن بما تقوم به تلك المواقع من الجهود الجبارة في نشر الرذيلة والشر والفساد.

وقد قيل: (إذا كان عدوك نملة فلا تنم له) فكيف إذا كان عدوك يمتلك الكثير والكثير من الإمكانيات ووسائل التدمير والفساد.

فيا دعاة الإسلام!

ويا دعاة الخير والفضيلة!

يا حماة العقيدة والأخلاق والآداب!

من العلماء وأصحاب القرار؟!

وأصحاب الأموال والإعلاميين والمثقفين وغيرهم؟!

لقد وجب عليكم اليوم:

أن توجهوا جهودكم وسهامكم وأفكاركم لصد تلك القنوات والمواقع المدمرة للأخلاق والآداب.

قبل أن يندم الجميع ووالله إنكم لمسؤولون أمام الله عن ذلك.

الأمر خطير والله، فقد غزانا دعاة الرذيلة والفساد إلى كل بيت، والكل اليوم مسؤول وكل بحسبه كما قال الرسول ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ فَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلاَ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» رواه البخاري ومسلم.

وإن من أعظم ما يُبث في تلك المواقع والوسائل:

الشبهات

التي تشكك الجاهل في دينه وعقيدته وهذا وايم الله لمن أخطر ما يُبث في تلك المواقع.

ويجب أن يتصدى له أهل العلم بالرد على تلك الشبهات بكل الوسائل المتاحة لهم.

أنقذوا الناس:

والله إن الكثير اليوم يهلك ولا يجد من ينقذه، وما نزل بهم أخطر عليهم من جائحة كورونا، أحضروا عنهم مواقع الفساد، والله إن الواقع اليوم أخطر بكثير مما

ذكرت وقد سمعت مقطعًا صوتيًّا للشيخ صالح الفوزان حفظه الله وهو يصرخ بأعلى صوته ويقول أنقذوا بناتكم أنقذوا نساءكم أنقذوا أبناءكم، وقد قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة البقرة:٢٥١] إن بقاء الخير ظاهرًا في أرض الله متوقف على حماية أهله له ودفاعهم عنه، والله ﷻ تكفل بحفظ وبقاء من يقيم الحجة على الناس في الأرض أما انتشار الخير في الأرض فقد أمر الله عباده بأن يقوموا بذلك قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة آل عمران:١٠٤]، لا يكن أهل الباطل أنشط من أهل الحق، والله لقد رأينا من أهل الباطل من يبذل جهودًا كبيرة وأموالًا كثيرًا لنشر باطله، فلم يكتفوا بتلك المواقع والوسائل لنشر شرهم وباطلهم، فقد رأينا والله من أهل الكفر من يأتِ ويطرق الباب ويحرج أصحاب البيت بالدخول بأسلوبه الماكر حالهم، كما قال الله تعالى: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾ [سورة سبأ:٣٣].

يا أهل الإسلام، ويا دعاة الخير والفضيلة لا تتركوا لهم تلك المواقع والوسائل ليفسدوا عباد الله زاحموهم فيها وكونوا أنشط منهم، وأشد بذلًا لأوقاتكم وأموالكم في نشر الخير والفضيلة وتحذير الناس من الشر والرذيلة.

نحن اليوم في معركة حقيقية بين الخير والشر، وبين الحق والباطل، والشر اليوم

يدعمه الغرب والشرق بكل إمكانياتهم إلا من رحم الله، فلم يبقَ على أهل الحق إلا أن يستعينوا بالله، ويوحدوا جهودهم وآراءهم، ويقوموا بما أوجب الله عليهم، وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [سورة محمد:٧].

فلقد استغل المفسدون: كثيرًا من تلك المواقع لإفساد عقيدة وأخلاق مجتمعاتنا الإسلامية التي لم يبقَ في الأرض غيرها يوحد الله ويؤمن بجميع أنبيائه ورسله ويعبد الله وحده لا شريك له ويحافظ على الأخلاق والآداب والحياء والعفة التي جاءت بها أنبياء الله ورسله ودعت إليها قبل ذلك الفطر السليمة.

فيا أيها العقلاء: لنتعاون جميعًا على وضع حد لتلك المواقع والوسائل والقنوات التي تسعى لتدمير الأخلاق والقيم والآداب وإلا فلن يجد الناس بعد ذلك من يغطي احتياجاتهم:

- من طبيب.
- ومهندس.
- وإداري وغيرهم.

لأن ما يُبث اليوم يدمر العقول والقلوب والأبدان والأوقات، وينشأ جيل لا هم له بعلم ولا عمل ولا بمصالح عامة ولا خاصة، وإنما جيل ضائع متسكع غارق في كأس خمر واستنشاق مخدر يحصل عليهما بأي طريقة كانت والبحث عن عشيقة أو عشيق سهر بالليل ونوم بالنهار لا يستطيع أن يقوم بنفسه فضلا عن أن يقوم

ببناء أسرة أو يساعد في بناء مجتمع.

جيل عاطل وعاجز من أن يقدم كأس ماء لأب عاجز أو لأم مريضة، والله المستعان.

- ويا أيها الآباء!

- والأمهات!

- والأولياء!

لا تتركوا أولادكم لتلك الأجهزة لتعبث بهم كيف شاءت وتفسد عقيدتهم وآدابهم وأخلاقهم.

أشغلوهم بما ينفعهم في دينهم ودنياهم، ليكن لكم موقفًا حازمًا قبل فوات الأوان، والله لقد رأينا من يبكي ومن يتقطع حزنًا على فساد بيته وأهله وسمعنا وسمع غيرنا من القصص والوقائع، ما لم يكن يخطر على بال:

- من الجرأة على دين الله.

- وعلى الأصول والثوابت.

- وعلى الأخلاق والآداب.

- وعلى الآباء والأمهات.

- وعلى أهل العلم والفضل.

والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل

خاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمة للعالمين وحجة على الخلق أجمعين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

ستون حقيقة ووصية

الحمدُ للهِ الذي شهدتْ لهُ بالرّبوبيّة جميعُ مخلوقاته، وأقرّتْ له بالعبوديّة جميعُ مصنوعاته، وأدّت له الشّهادةَ جميعُ الكائنات أنّه الله الذي لا إله إلّا هو بما أودعها مِن لطيف صنعهِ وبديع آياته، وسبحانَ الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته، ولا إله إلا الله الأحد الصّمد، الذي لا شريك له في ربوبيّته، ولا شبيه له في أفعاله، ولا في صفاته، ولا في ذاته، والله أكبر عدد ما أحاط به علمه، وجرى به قلمُه، ونفذ فيه حكمُه من جميع برياته، ولا حول ولا قوة إلا بالله, تفويضُ عبدٍ لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، بل هو بالله وإلى الله في مبادئ أمره ونهاياته.

وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريكَ له، ولا كفؤ له, الذي هو كما أثنى على نفسه، وفوق ما يثني عليه أحدٌ مِن جميع برياته، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله، وأمينه على وحيه، وخيرته مِن بريّته، وسفيره بينه وبين عباده، وحجّته على خلقه، أرسلهُ بالهدى ودين الحقّ بين يدي السّاعة بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، أرسله على حين فترةٍ من الرّسل، وطموسٍ مِن السبل، ودروسٍ مِن الكتب، والكفرُ قد اضطرمت نارُه، وتطاير في الآفاق شراره، ففلق الله سبحانه

بمحمد صبحَ الإيمان؛ فأضاء حتى ملأ الآفاق نورًا، وأطلعَ به شمسَ الرّسالة في حنادس الظّلم سراجًا منيرًا، فهدى الله به من الضلالة، وعلّم به من الجهالة، وبصّر به من العمى، وأرشد به من الغي، وكثّر به بعد القلّة، وأعزّ به بعد الذّلّة، وأغنى به بعد العيلة، واستنقذ به من الهلكة، وفتح به أعينًا عميا، وآذانًا صمًّا، وقلوبًا غلفًا، فبلّغ الرسالة، وأدّى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، وعبد الله حتى أتاه اليقين من ربه، وشرحَ الله له صدره، ورفعَ له ذكره ووضع عنه وزره، وجعلَ الذّلّة والصّغار على من خالف أمره، وأقسم بحياته في كتابه المبين، وقرنَ اسمه باسمه، فإذا ذُكِر ذُكرَ معه كما في الخطب والتّشهّد والتأذين، فلا يصحّ لأحد خطبةٌ ولا تشهْدٌ ولا أذان ولا صلاة حتى يشهد أنه عبده ورسوله شهادة اليقين، فصلّى الله وملائكته وأنبياؤه ورسله وجميع خلقه عليه، كما عرّفنا بالله وهدانا إليه، وسلّم تسليمًا كثيرًا، أمّا بعد(١).

هذه الحقائق والوصايا أخذتها من كتاب الله ومن سنة رسوله ﷺ، ومن كلام العلماء والحكماء ومن الواقع ثم هي عصارة تجاربي في الحياة فخذها بلا تعب إن عملت بها نلت أعلى الرتب وإن خالفتها وقعت في العطب لأنها ما بين آية وحديث وحكمة وأدب فهي أغلى من اللؤلؤ والمرجان والفضة والذهب فخذها بقوة ودع عنك اللهو والتكاسل واللعب وأرجو الله عزّ وجل أن ينفعني بها كتبت ومن شاء

---

(١) مقدمة ابن القيم للنونية.

من خلقه:

١- لا تعلق قلبك وآمالك بغير الله فهي الضعف والوهن وعلق قلبك وآمالك بالله فهو الركن الشديد قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [سورة الطلاق:٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [سورة آل عمران:١٠١] وقال ﷺ: «احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احفظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنفعُوكَ بشيْءٍ لَمْ يَنفعُوكَ إِلَّا بِشيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بَشيءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشْيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقَلامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ» رواه الترمذي.

٢- اجعل بينك وبين الشرك سد يأجوج ومأجوج قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [سورة النساء:١١٦]، وقال تعالى:﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [سورة المائدة:٧٢]، وقال رسولَ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ تَبارَكَ وتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعْوَتنِي وَرَجْوتِني غَفرْتُ لَكَ عَلى مَا كَانَ فيكَ، وَلا أُبَالِي. يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتغْفَرْتني غفرْتُ لَكَ وَلا أُبَالِي. يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لِقيتَنِي لا تشرِكُ بِي شَيئًا لأَتَيْتُكَ بقُرَابِها مغفِرةً» رواه الترمذي.

٣- إن لم تخلص لله في عملك وتتبع رسوله فلا تتعب نفسك، قال الله تعالى:

﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [سورة الزمر:٦٥]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [سورة الكهف:١١٠]، وقال ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ» رواه البخاري ومسلم. وقال ﷺ: «وَإِيَّاكُمْ وَمُحدثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُل بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» رواه ابن ماجه وأحمد وهو صحيح.

٤- من صدق إيمانك بالله وتعظيمك وحبك له أن تبغض أهل الكفر والأهواء، قال الله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [سورة المجادلة:٢٢]، وقال ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرسُولُهُ أَحبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَن يَعُودَ فِي الكفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ».

٥- لن يكون إلا ما كتبه الله فكن مطمئنا، قال الله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [سورة الحديد:٢٢] أي مكتوب في اللوح المحفوظ قبل خلق الخليقة.

وقال رسول الله ﷺ: «كتبَ اللَّهُ مَقادِيرَ الخَلَائِقِ قبلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّماوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخمسِينَ أَلْف سَنَةٍ، قَالَ: وَعرْشُهُ عَلى المْاءِ».

٦- من طعن في الصحابة فلا تسمع له قولا ولا تقرأ له كتابة قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾ [سورة الفتح:٢٩]، وقال النَّبيُّ ﷺ: «الْأَنصارُ لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا منافِقٌ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحبَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ» رواه البخاري ومسلم، وقالَ ﷺ: «لَا تَسبُّوا أَصْحَابِي؛ فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنفقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهبًا، مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ».

٧- خير صاحب القرآن وكلما صدقت في صحبته أعطاك أسراره ونوره وهداه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [سورة يونس:٥٧]، وقال تعالى: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الحشر:٢١]، وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ﴾ [سورة ص:٢٩]، وقال تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [سورة إبراهيم:١]،

وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [سورة محمد:٢٤].

عَنْ عامِرِ بْنِ وَاثِلَةَ: أَنَّ نَافِعَ بْنَ عَبْدِ الْحَارِثِ لَقِيَ عُمَرَ بعسفَانَ، وَكَانَ عُمَرُ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَى مَكَّةَ، فقَالَ: مَنِ اسْتَعْمَلْتَ عَلى أَهْلِ الْوادِي؟ فقَالَ: ابْنَ أَبْزَى. قَالَ: وَمَنِ ابْنُ أَبْزَى؟ قَالَ: مَوْلًى مِنْ مَوَالِينا. قَالَ: فَاسْتَخْلَفْتَ عليْهِمْ مَوْلًى؟ قَالَ: إِنَّهُ قَارِئٌ لِكتَابِ اللَّهِ ، وَإِنَّهُ عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ. قَالَ عُمَرُ: أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ ﷺ قَدْ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ» رواه مسلم.

وفي الأثر: (كِتابُ اللَّهِ فِيهِ نَبأُ مَا قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنكُمْ، هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، هُوَ الَّذِي مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَنِ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ، فَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ المَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ، وَهُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الأَهْوَاءُ، وَلَا تَلتبِسُ بِهِ الأَلْسِنَةُ، وَلَا يَشْبَعُ منْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلَا يَخْلَقُ عَنْ كَثْرةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَهُوَ الَّذِي لَمْ تَنْتَهِ الْجِنُّ إِذْ سَمِعتْهُ أَنْ قَالُوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ [سورة الجن:١] هُوَ الَّذِي مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ حكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدِيَ إِلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

وقال ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: (لا تَنْثِرُوهُ نَثْرَ الدَّقَلِ وَلا تَهُذُّوهُ هَذَّ الشِّعْرِ، قفُوا عنْدَ عَجَائِبِهِ، وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ، وَلاَ يَكن هَمُّ أَحَدِكُم آخِرَ السُّورَةِ).

٨- أعظم الأوسمة أن تكون عبدا لله، فأعلى مقامات الإنسان أن يكون عبداً لله تعالى، كما قال ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ: (وكلّما ازداد العبد تحقيقاً للعبودية ازداد كماله، وعلت درجته، ومَنْ توَهَّم أنَّ المخلوق يخرج من العبودية بوجه من الوجوه، أو أنَّ

الخروج عنها أكمل، فهو من أجهل الخلق وقد وصف الله نبيه ﷺ بالعبودية في أشرف المقامات:

* وصفه بالعبودية عند ذِكر الإسراء به، كما في قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [سورة الإسراء:١].

وفي وصف النبي ﷺ بالعبودية في هذا المقام العظيم، دليل على أن أعظم أوصافه ﷺ قيامه بالعبودية التي لا يلحقه فيها أحدٌ من الأولين والآخرين.

قال العلماء: لو كان للنبي ﷺ اسمٌ أشرفَ منه، لسمَّاه به في تلك الحالة العِليَّة... ولـمَّا رفعه الله تعالى إلى حضرته السَّنية، وأرقاه فوق الكواكب الُعلوية، ألزمه اسمَ العبودية.

* ووصفه بالعبودية عند ذكر الإيحاء إليه؛ كما في قوله تعالى:﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [سورة النجم:١٠]، وقد كان الإيحاءُ في السماء، ليلة المعراج.

* ووصفه بالعبودية عند إنزال الكتاب إليه؛ كما في قوله سبحانه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾ [سورة الكهف:١] وتنزيل الفرقان عليه، كما في قوله سبحانه: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [سورة الفرقان:١].

* ووصفه بالعبودية عند الامتنان على المؤمنين بإرساله إليهم؛ كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ

لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة الحديد:٩].

* ووصفه بالعبودية عند عصمة الله تعالى له في بدنه من القتل؛ كما في قوله سبحانه: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [سورة الزمر:٣٦].

* ووصفه بالعبودية عند قيامه بأشرف العبادات، كما في قوله تعالى:﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾[سورة الجن:١٩].

٩- الحق والباطل في صراع إلى قيام الساعة قال الله تعالى:﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾[سورة البقرة:٢٥١]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾﴾ [سورة محمد:٤-٦]، وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [سورة البقرة:٢١٤]، وقال تعالى:﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [سورة العنكبوت:٢-٣]، وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[سورة آل عمران:١٤٢]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [سورة الفرقان:٣١]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ

يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًاۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [سورة الأنعام:١١٢].

١٠- كن دائم الافتقار إلى الله تكن أغنى الناس قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: يا ابن آدم تفرغ لعبادتي املأ قلبك غنى وأسد فقرك» أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه وهو حسن، وعن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال النبي ﷺ لفاطمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به، أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين» رواه النسائي في "السنن الكبرى" وفي "عمل اليوم والليلة" والحاكم في "المستدرك" والبيهقي في "الأسماء والصفات" وغيرهم.

قال المنذري في "الترغيب والترهيب" إسناده صحيح .

وقال الشيخ الألباني في "السلسلة الصحيحة": (إسناده حسن).

ومن حديث أبي بكرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ اللَّهُمَّ رَحمَتَكَ أَرْجُو فَلَا تَكِلني إِلى نَفْسِي طَرْفَةَ عيْنٍ أَصْلِحْ لِي شَأنِي كُلَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» رواه أحمد.

وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة آل عمران:٢٦].

١١- ليكن ذكر الله ديدنك ودعاء الله مفزعك قال الله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِي

أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [سورة البقرة:١٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [سورة الأحزاب:٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ﴾ [سورة البقرة:١٨٦]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [سورة غافر:٦٠].

قال ابن الإلبيري في وصيته لولده:

ونادِ إذا سجدتَ له اعترافًا	بما ناداه ذو النون ابن متى
ولازم بابه قرعًا عساه	سيفتح بابه لك إن قرعتا
وأكثر ذكره في الأرض دأبًا	لتُذكر في السماء إذا ذكرتا

١٢- لا تترك وردك اليومي من القرآن مهما كانت مشاغلك وحافظ على قيام الليل ولو قبل الفجر بنصف ساعة تصلي إحدى عشرة ركعة ولو تقرأ في كل ركعة آية واترك شهواتك لله ثلاثة أيام من كل شهر واركع ركعتي الضحى وحافظ على السنن الرواتب تنل محبة الله قال الله تعالى في الحديث القدسي: «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه» أخرجه البخاري.

وقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفاً مِنْ كتَابِ اللهِ فَلَهُ حَسنَةٌ، وَالحَسنَةُ بِعشْرِ أَمْثَالِهَا، لاَ أَقول: الم" حَرف، وَلَكِنْ: أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلاَمٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ» رواه الترمذي.

وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنْ النَّاسِ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هُمْ؟

قَالَ: «هُمْ أَهْلُ الْقُرآنِ، أَهْلُ اللَّهِ وَخاصّتُهُ وقال ﷺ: «اقْرَؤُوا القُرآنَ؛ فَإِنَّهُ يأتي يَوْمَ القِيامَةِ شفِيعاً لأَصْحابِهِ».

وقال ﷺ: «يُقالُ لِصاحِبِ الْقُرآنِ: اقْرأْ وَارْتَقِ ورَتِّلْ كَما كُنْتَ تُرتِّلُ في الدُّنيا، فَإنَّ منْزِلتَكَ عنْدَ آخِرِ آية تَقْرَؤُها» وهي أحاديث صحيحة.

وقالت تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [سورة السجدة:١٦-١٧].

عَنْ أَبِي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «أَوْصَانِي خليلي ﷺ بثَلاثٍ: صِيامِ ثَلاثَةِ أَيامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكعَتِي الضُّحى، وَأَنْ أُوتِرَ قبْلَ أَنْ أَنامَ» رواه البخاري ومسلم.

ومن كان يقوم من آخر الليل، أخر الوتر لقوله ﷺ: «اجْعلُوا آخِرَ صَلَاتِكُمْ بِاللَّيْلِ وتْرًا " وقال ﷺ: «مَنْ صَلى في يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ اِثْنَتيْ عشْرةَ رَكْعَةً بني لَهُ بَيْتٌ فِي الجنَّةِ: أَربَعًا قبْلَ الظُّهْرِ، وَرَكْعَتيْنِ بَعْدَهَا، وَرَكْعَتيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ، وَرَكْعَتيْنِ بَعْدَ الْعِشَاءِ، وَرَكْعَتيْنِ قبْلَ صَلاَةِ الْفَجْرِ صَلاَةِ الْغدَاة» رواه الترمذي وأصله في مسلم.

١٣- لا تطمع أن يرضى عنك كل الناس فهذا لم يقع لرسول الله ﷺ واطمع في رضى الله عنك وردد قول القائل مخاطبا ربك:

فليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامرٌ ... وبيني وبين العالمين خرابُ
إذا صح منك الود فالكل هينٌ ... وكل الذي فوق التراب ترابُ

عَنْ عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنِ ٱلتمَسَ رِضَى اللَّه

بِسَخَطِ النَّاسِ، رَضِيَ اللهَ عنهُ، وَأَرْضَى النَّاسَ عَنْهُ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ، سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَسْخَطَ عليه الناس» رواه ابن حبان (١/ ٥١٠)، والترمذي (٢٤١٤) بلفظ: «مَنِ الْتَمَسَ رِضَاءَ اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَاءَ النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ».

١٤- الذنوب والمعاصي سبب الشقاء في الدارين قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [سورة الشورى:٣٠]، وقالت تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [سورة آل عمران:١٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَ﴾ [سورة النساء:٧٩]، وقال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [سورة الروم:٤١].

١٥- من خدم دين الله خدمته الدنيا ومن خدم الدنيا فاتته الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [سورة الشورى:٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦ وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٤٧ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٤٨﴾ [سورة آل عمران:١٤٦-١٤٨].

١٦- لا تجعل لأحد عليك منة فمن أحسن إليك أحسن إليه فإن عجزت فادع له حتى يكون كمال ذُلِك وشكرك وحياتك وموتك لله لا شريك له قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [سورة الأنعام:١٦٢-١٦٣].

وقال ﷺ: «مَنْ صنعَ إِليْكُمْ مَعْرُوفًا فكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ» رواه النسائي وهو صحيح.

١٧- توفيقك في دينك ودنياك بقدر إقامتك لصلاتك قال رسول الله ﷺ: «والصلاة نور» أخرجه مسلم في صحيحه، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [سورة البقرة:١٥٣]، وقال تعالى: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [سورة العنكبوت:٤٥]، وقال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ ۚ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾ [سورة هود:١١٤].

وقال ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعبْدُ يَوْمَ الْقِيامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلاتُهُ، فَإِنْ صَلُحَتْ فقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فسَدَتْ فقَدْ خَابَ وَخسِرَ» رواه أصحاب السنن وهو صحيح.

١٨- بقدر برك بوالديك بقدر ما يحالفك النجاح والتوفيق في أمورك قال الله تعالى عن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [سورة

مريم: ٣٢].

وقال النبي ﷺ: «رِضَا الرَّبِّ فِي رِضَا الْوَالِدِ، وسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ» رواه الترمذي وهو صحيح.

عن معاوية بْنِ جَاهِمَةَ السُّلَمِيِّ، قَالَ أَتيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الْجِهادَ مَعَكَ ؛ أبتغي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ، قَالَ: «وَيْحَكَ، أَحيَّةٌ أُمُّكَ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «ارْجِعْ فبَرَّهَا»، ثُمَّ أَتيْتُهُ مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ، فقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الْجِهادَ مَعَكَ ؛ أَبْتغي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ وَالدَّارَ الْآخرةَ. قَالَ: «ويْحَكَ، أَحيَّةٌ أُمُّكَ؟»، قُلْتُ: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فارْجِعْ إِلَيْهَا فَبَرَّهَا»، ثُمَّ أَتَيْتُهُ مِنْ أَمامِهِ، فقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الْجِهادَ مَعَكَ ؛ أَبْتغي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ وَالدَّارَ الْآخِرةَ. قَالَ: «ويْحَكَ، أَحيَّةٌ أُمُّكَ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «ويْحَكَ، الْزَمْ رِجْلَهَا، فثَمَّ الْجَنَّةُ» أخرجه ابن ماجه وهو حديث حسن.

وقال ﷺ: «الْوَالِدُ أَوسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَإِنْ شِئْتَ فَأَضِعْ ذَلِكَ الْبَابَ أَوِ احْفَظْهُ» رواه الترمذي وهو صحيح.

١٩- جماع الخير في الفقه في الدين والعمل به قال ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خيْرًا ؛ يُفقِّهْهُ فِي الدِّينِ» رواه البخاري ومسلم.

وقال تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ [سورة العلق: ١-٥]،

وقال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [سورة آل عمران:١٨]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [سورة المجادلة:١١]، وقال تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [سورة طه:١١٤].

* عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «طلَب العِلم فريضة على كلِّ مسلم» رواه ابن ماجه وغيره، صحيح.

وقال ﷺ: «فَضل العالِم على العابد كفضلي على أدناكم» حسنه الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ.

* «إنَّ الله عزَّ وجل وملائكتَه وأهلَ السموات والأرض، حتى النَّملة في جُحرها وحتى الحوت ليُصلُّونَ على معلِّم النَّاس الخير» (ت) عن أبي أمامة، قال الشيخ الألباني: (صحيح)، انظر: حديث رقم: ٤٢١٣ في صحيح الجامع.

* عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أنَّ الرسول ﷺ قال: «مَن سلَك طريقًا يلتمس فيه علمًا، سهَّل له به طريقًا إلى الجنَّة» رواه مسلم.

* قال الرسول ﷺ: «مَن خرج في طلَب العِلم، فهو في سبيل الله حتى يرجع» رواه الترمذي.

* وعن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا حسَد إلَّا في

اثنتين: رجل آتاه الله مالًا فسلطه على هلَكته في الحّق، ورجل آتاه الله الحكمةَ فهو يَقضي بها ويُعلِّمها» متفق عليه.

* يقول الرسول ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عملُه إلَّا من ثلاث: صدَقةٍ جارية، أو علم ُينتفع به، أو ولدٍ صالح يَدعو له» رواه مسلم.

* عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال الرسول ﷺ: «إنَّ ممَّا يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته: علمًا نشَره، أو ولدًا صالحًا تركه، أو مصحفًا ورَّثه، أو مسجدًا بناه، أو بيتًا لابن السَّبيل بناه، أو نهرًا أجراه، أو صدقةً أخرجها من ماله في صَّحته وحياته تلحقه بعد موته» حسنه الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ.

* وقال ﷺ: «مَن دعا إلى هدًى، كان له من الأجر مثل أجور مَن َتبِعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا» رواه مسلم.

* وقال ﷺ: «الدنيا ملعونَة، مَلعونٌ ما فيها، إلَّا ذكر الله تعالى، وما والاه، وعالمًا، أو متعلِّمًا» رواه الترمذي وقال: حديث حسن. قوله: «وما والاه»، أي: من الأعمال الصالحة.

* وقال ﷺ: «إنَّ الله لا َيقبض العلم انتزاعًا يَنتزعه من الناس، ولكن َيقبض العلمَ بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبق عالمًا، اتَّخذ الناس رؤوسًا جهَّالًا، فسُئلوا، فأفتوا بغير علمٍ، فضلُّوا وأَضلوا» متفق عليه.

عقد ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ مقارنةً بين العلم والمال، يحسن إيرادُها في هذا المقام؛ فقد فضَّل العلمَ على المال من عدَّة وجوه، أهمها:

- أنَّ العلم ميراث الأنبياء، والمال ميراث الملوك والأغنياء.

- أنَّ العلم يَحرس صاحبَه، وصاحبُ المال يحرس مالَه.

- أنَّ العلم يَزداد بالبذل والعطاء، والمال تُذهبه النَّفقات عدا الصَّدَقة.

- أنَّ العلم يرافِق صاحبَه حتى في قبره، والمال يفارقه بعد موته، إلَّا ما كان من صدقةٍ جاريةٍ.

- أنَّ العلم يَحكم على المال؛ فالعلم حاكِم، والمال مَحكوم عليه.

- أنَّ المال يَحصل للبَرِّ والفاجِر، والمسلم والكافر، أمَّا العلم النَّافع، فلا يَحصل إلَّا للمؤمن.

- أنَّ العالِم يَحتاج إليه الملوكُ ومَن دونَهم، وصاحب المال يَحتاج إليه أهل العدَمِ والفاقة والحاجة.

- أنَّ صاحب المال قد يُصبح معدمًا فقيرًا بين عشيَّة أو ضحاها، والعلم لا يُخشى عليه الفناء إلَّا بتفريط صاحبه.

- أنَّ المال يَدعو الإنسانَ للدنيا، والعلم يَدعوه لعبادة ربِّه.

- أنَّ المال قد يكون سببًا في هلاك صاحبه، فكم اختُطف من الأغنياء بسبب مالهم! أمَّا العلم ففيه حياةٌ لصاحبه حتى بعد موته.

- سعادة العِلم دائمة، وسعادة المال زائلة.

- أنَّ العالم قَدره وقِيمته في ذاته، أمَّا الغُّني فقِيمتُه في ماله.

- أنَّ الغنيَّ يدعو الناسَ بماله إلى الدنيا، والعالم يدعو الناسَ بعلمه إلى الآخرة.

من عيون الشعر قول الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إذا هجع النوّام أسـبلـتُ عبرتي ... وأنشـدتُ بيتا و هو من ألطفِ
أليس من الخسـران أنَّ ليـاليـاً ... تمرُّ بِلا عِلمٍ و تُحسَـبُ من عُمري

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من تعلم القرآن عظمـت قيمتـه ... ومن تكلم في الفقـه نمـا قـدره
ومن كتب الحديث قويت حجته ... ومن نظر في اللغـة رقَّ طبعـه
ومن نظر في الحسـاب جزل رأيه ... ومن لم يصـن نفسـه لم ينفعه علمه

وقال ابن الوردي في لاميته:

وَاحتَفِـلْ في الفقـهِ في الـدِّينِ ... وَلاَ تشَّـتغِـلْ عَنـهُ بِمـالٍ وخَوَلْ
وَاهْجُرِ النَّومَ وَحِّصـلـهُ فمنْ ... يعرفِ المطلُوْبَ يحْقرْ ما بَذَلْ
لاَ تـقـلْ قَـدْ ذَهَـبـتْ أربابُـهُ ... كُلُّ مِنْ سـارَ عَلى الدَّربِ وَصَلْ
في ازدِيادِ العِلمِ إرغْـامُ العِـدى ... وَجمَـالُ الْعِلمِ إصـلاَحُ الْعَمـلْ
جَمِّـلِ المنِـطـقَ بالنَّـحـو فَـمـنْ ... يحُرَمِ الإعـرْابَ بالنُّطـقِ اختبـلْ

وقال ابن الإلبيري في وصيته لولده:

أبا بـكـر دعـوتـك لـو أجبـتـا ... إلى مـا فيـه حظـك لو عقلتـا
إلى عـلـم تـكـون بـه إمـامـا ... مـطـاعـاً إن نهيـت وإن أمـرتا
ويجلو مـا بعينك من غشـاهـا ... ويهـديـك الطريق إذا ضـللتـا
وتحمـل منـه في ناديـك تاجـا ... ويكسـوك الجمـال إذا عريتـا
ينـالـك نفعـه مـا دمـت حيـا ... ويبـقـى ذكـره لـك إن ذهبـتـا
هو العضـب المهنـد ليس ينبو ... تصـيـب بـه مقـاتـل من أردتا
وكنز لا تخـاف عليـه لصـا ... خفيف الحمـل يوجـد حيث كنتا

يـزيـد بـكـثـرة الإنـفـاق مـنـه ... وينقص إن بـه كفـا شـــددتا
فلو قـد ذقـت من حلواه طعما ... لآثـرت الـتـعـلـم واجـتـهـدتا
ولم يشـــغلـك عنه هوى مطاعٌ ... ولا دنـيـا بـزخـرفـهـاُ فـتـنـتـا
ولا ألهـاك عـنـه أنـيـق روضٍ ... ولا دنـيـا بـزيـنـتـهـا كـلـفـتـا
فـقـوت الـروح أرواح المـعـاني ... وليس بأن طعمـت ولا شـــربتا
فـواظـبـه وخـذ بالجـد فـيـه ... فـإن أعـطـاكـه الله انـتـفـعـتـا
وإن أعطيـت فيـه طويـل باعٍ ... وقـال النـاس إنـك قـد علمتـا
فـلا تأمـن ســـؤال الله عـنـه ... بتوبيخ: علمـتَ فمـا عملتـا
فـرأس الـعـلـم تـقـوى الله حـقـا ... وليس بأن يقـال لقـد رأســتـا
وأفضـــل ثوبك الإحســـان لكن ... نرى ثوب الإســـاءة قد لبســتـا
إذا مـا لم يـفـدك الـعـلـم خـيرا ... فخير منـه أن لو قـد جهلتـا
وإن ألقـاك فهمـك في مهـاوٍ ... فليتـك ثم ليتـك مـا فهمتـا
ســـتجني من ثمـار العجز جهلا ... وتصـــغر في العيون إذا كبرتا
وتُفقـد إن جهلـت وأنـت باق ... وتوجـد إن علمـت ولو فُقـدتا
وتـذكر قولتي لـك بعـد حين ... إذا حـقـا بهـا يـومـا عـمـلـتـا
وإن أهملتهـا ونبـذت نصـــحـا ... وملـت إلى حطـام قـد جمعتـا
فســوف تعض من نـدم عليهـا ... ومـا تغني الـنـدامـة إن نـدمتـا
إذا أبصـــرت صـــحبك في سماء ... قـد ارتفعوا عليـك وقـد ســفلتـا
فـراجـعـهـا ودع عـنـك الهـوينى ... فمـا بالبطء تـدرك مـا طلبتـا
ولا تَختـل بمـالـك والـهُ عنـه ... فـلـيـس المـال إلا مـا عـلـمـتـا
وليس لجـاهـل في النـاس معنى ... ولـو مُـلـك الـعـراق لـه تأتـا

سـيـنطق عنك علمك في ملاءٍ ويكتب عنك يوما إن كتمتا
وما يغنيك تشييد المباني إذا بالجهل نفسك قد هدمتا
جعلت المال فوق العلم جهلا لعمرك في القضية ما عدلتا
وبينهما بنص الوحي بون ستعلمه إذا طه قرأتا
لئن رفع الغني لواء مال لأنت لواء علمك قد رفعتا
لئن جلس الغني على الحشايا لأنت على الكواكب قد جلستا
وإن ركب الجياد مسومات لأنت مناهج التقوى ركبتا
وليس يضرك الإقتار شيئا إذا ما أنت ربك قد عرفتا
فماذا عنده لك من جميل إذا بفناء طاعته أنختا

٢٠- السعادة الحقيقية في عبادة الله وفي الإيمان بالله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وفي تفريج الكربات وإسعاد الفقراء قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [سورة النحل:٩٧]، وقال ﷺ: «مَنْ نفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الْدُّنيَا، نَفَّسَ الله عنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيامَةِ. وَمَنْ يسَّرَ عَلى مُعْسِرٍ، يسَّرَ الله عَلَيْهِ في الْدُّنيَا وَالآخِرةِ. وَمَنْ سَتَرَ مسْلِمًا، ستَرَهُ اللهُ في الْدُّنيَا وَالآخِرةِ. وَاللهُ في عَوْنِ الْعبْدِ مَا كَانَ الْعبْدُ في عَوْنِ أَخِيهِ» ومن الحِكم قول بعضهم وقد سئل: مَن أسْعَدُ النَّاسِ؟ قال: مَن أسْعَدَ النَّاسَ. أي: أسعد الناس من أسعد غيره.

٢١- اعمل الخير ولو لحيوان وأبشر بالخير، فمساعدة موسى للمرأتين كان السبب في تفريج كرباته وسقيا بغي لكلب كان السبب في مغفرة ذنوبها.

٢٢- إذا أشكل عليك أمر من دين الله فاتهم فهمك وعقلك ورأيك ونفسك

وإياك أن تتهم شرع الله قال تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [سورة فصلت:٤٢]، وقال تعالى: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [سورة الإسراء:١٠٥].

٢٣- الفقير من افتقر إلى الأخلاق قال ﷺ: «ما رأيت في الميزان أثقل من حسن الخلق».

وقال الشاعر:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

والمفلس من أفلس من الحسنات يوم الحساب قال ﷺ: «المفلس من أمتي من يأتي بحسنات يوم القيامة...» إلى أن قال: «فيأخذ من ظلمهم حسناته فيفلس ويدخل النار».

٢٤- الصدق نجاة في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [سورة محمد:٢١]، وقال تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [سورة المائدة:١١٩]، وقال تعالى: ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ [سورة الأحزاب:٢٤]، وقال ﷺ: «إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا».

٢٥- اضبط لسانك فالعقلاء يقيسون عقلك وأخلاقك بكلماتك قال الله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾ [سورة الأحزاب:٧٠]، وقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ [سورة الفرقان:٦٣]، وقال تعالى: ﴿۞ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [سورة النساء:١١٤]، وقال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت» رواه البخاري ومسلم، وقال ﷺ: «مَا كَانَ الْفُحْشُ فِي شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ، وَمَا كَانَ الْحَيَاءُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ» رواه الترمذي وأصله في مسلم.

٢٦- إذا لم تستحي فاصنع ما شئت هكذا قال صلى الله عليه وسلم كما في البخاري.

قال ابن القيِّم: (خُلق الحياء مِن أفضل الأخلاق وأجلِّها وأعظمها قدرًا وأكثرها نفعًا، بل هو خاصَّة الإنسانيَّة، فمَن لا حياء فيه، فليس معه مِن الإنسانيَّة إلَّا اللَّحم والدَّم وصورتهما الظَّاهرة، كما أنَّه ليس معه مِن الخير شيء) "مفتاح دار السَّعادة" (١/٢٧٧) بتصرُّف يسير.

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون -أو بضع وستُّون- شعبة، أعلاها: قول: لا إله إلَّا الله. وأدناها: إماطة الأذى عن الطَّريق، والحياء شعبة مِن الإيمان» رواه مسلم.

وقال ﷺ: «استحيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحيَاءِ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا نستَحيي

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ. قَالَ: «لَيسَ ذَاكَ، وَلَكِنَّ الِاسْتِحيَاءَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحيَاءِ، أَنْ تَحفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعى، وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَتَتَذَكَّرَ الْمَوْتَ وَالْبِلى، وَمَنْ أَرادَ الآخِرةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدِ اسْتَحيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحيَاءِ» رواه الترمذي وهو صحيح.

٢٧- من أعظم صفات المرأة الصالحة الحياء قال تعالى: ﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ﴾ [سورة القصص:٢٥]. وقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْحَيَاءُ لَا يأتي إِلَّا بِخيْرٍ» رواه البخاري ومسلم.

ومما قيل في المرأة التي من أعظم صفاتها الحياء والحجاب والعفاف والأدب:

* تزدادُ المرأةُ جمالاً عندما يزداد رأسها انخفاضاً.

* تزداد المرأة جمالاً كلما ازدادت حياءً وأدبا.

* إن الحياء في المرأة، هو الذي يشد الكثيرين من الرجال الأسوياء إن انجذاب الرجل للمرأة تحكمه علاقةٌ طرديةٌ بحيائها، فكلما زاد حياءُ المرأةِ وعفتها زاد انجذاب الرجل وإعجابه بها.

* الرجولة أخلاق قبل أن تكون ألقاب، والأنوثة حياء قبل أن تكون أزياء.

* المرأة مخلوق عظيم وكريم إذا عرفت قدر دينها وقدر نفسها.

* المرأة كالبحر مطيعة لمن يقوى عليها، جبارة على من يخشاها.

* قلب المرأة لؤلؤة تحتاج إلى صياد ماهر.

* المرأة كالعشب الناعم لا تنكسر أمام العواصف، بل تنثني أمام النسيم.

* يكاد حياء المرأة وأدبها وحجابها أن يكون أشد جاذبية من جمالها.

❋ إنما الفخر لعقل امرأة ثابت.. وحياء، وعفاف، وأدب.

❋ الحياءُ حسَن وفي النسَاءِ أَحسَنُ.

❋ مَا عَاقَبَ اللهُ قَلب أنثى بأَشَدَّ مِن أَن يَسلُبِ منها اَلحيَاء والحجاب والأدب.

❋ الوردة التي يشمها الكثيرون تفقد عبيرها.

❋ جمال بلا حياء وردة بلا عطر.

❋ الحياء يضبط سلوك الفتاة التي تحب أن تكون لها مكانه مميزة.

❋ العفة والحياء والحجاب أساس واحترام كل مرأة.

❋ جمال حياة المرأة هو الحياء.

❋ ينظر الناس إلى حياء المرأة قبل جمالها.

❋ بالحياء تكونين كالكنز الثمين.

❋ المرأة زينتها الحياء، ومن صفات الله الحياء.

٢٨- لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ، كذا قال النبي ﷺ: «فليس الشديد الذي يصرع الناس وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب» عَنْ أَبِي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلَّنبيِّ ﷺ: أَوْصِني؟ قَالَ: «لَا تَغْضَبْ»، فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: «لَا تَغْضَبْ»، وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ، وثَلَاثٌ مُنَجيَاتٍ، وثَلَاثٌ كَفارَاتٌ، وثَلَاثٌ دَرَجَاتٌ، فأَمَّا الْمُهْلِكَاتُ: فَشُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوًى مُتَبَعٌ، وَإِعْجَابُ المرءِ بنَفْسِهِ، وَأَمَّا الْمنجيَاتُ: فَالْعَدْلُ فِي الرِّضى وَالْغَضَبِ، وَالْقَصْد فِي الْفَقْرِ وَالْغِنى، وَخَشيَةُ اللَّهِ فِي السِّرِّ

وَالْعَلَانِيَةِ» الطبراني في الأوسط وهو في صحيح الجامع.

ومما قيل عن الغضب:

جوهر المرء في ثلاث: كتمان الفقر حتى يظن الناس من عفتك أنك غني وكتمان الغضب حتى يظن الناس أنك راضٍ وكتمان الشدة حتى يظن الناس أنك متنعم.

قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أربع من كن فيه عصمه الله من الشيطان: من ملك نفسه عند الرغبة والرهبة والشهوة والغضب).

قال بعض الحكماء لابنه: (يا بني، لا يثبت العقل عند الغضب، كما لا يثبت روح الحي في التنانير المسجورة، فأقل الناس غضباً أعقلهم. فالغضب شعلة من نار، ومن شأن النار الاشتعال، والحركة والاضطراب، والتلظي والالتهاب).

والغضب المنضبط في محله ممدوح.

٢٩- تزين وتحلى بمكارم الأخلاق من الحلم والأناة والوفاء والكرم والتواضع فمكارم الأخلاق تزيد الجميل جمالاً وتستر كل عيب قال ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

وقال ﷺ: «أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًّا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه».

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ فقال: «تقوى الله وحسن الخلق»، وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار؟ فقال:

«الفم والفرج»، وقال ﷺ: «أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خلقًا».

وقال ﷺ: «إنَّ من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا».

وعن ابن عباس ☹، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ☟ جَواد يحب الجُود، ويحب معالي الأخلاق ويُبغض سفسافها»، وقال ﷺ: «ما من شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق». وكلها أحاديث صحيحة.

قال ابن القيم: (الدين كله خلق، فمن زاد عليك في الخلقِ، زاد عليك في الدين».

قال الشاعر:

أيها الطالب فخرًا بالنسب	إنما الناس لأم ولأب
هل تراهم خلقوا من فضة	أو حديد أو نحاس أو ذهب
أو ترى فضلهم في خلقهم	هل سوى لحم وعظم وعصب
إنما الفضل بحلم راجح	وبأخلاق كرام وأدب
ذاك من فاخر في الناس به	فاق من فاخر منهم وغلب

٣٠- «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»، فمن حسن وجودة إسلامك أن تترك ما لا يعنيك في دينك ودنياك، وأن تشتغل بما يعنيك في دينك ودنياك، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مِنْ حُسْنِ إسْلامِ المْرء تَرْكُهُ مَا لَا يَعنِيهِ» رواه الترمذي. وفي تركك مالا يعنيك راحة لنفسك وحفظا لوقتك وسلامة لعرضك.

٣١- اقبل ما سمحت به الناس من أخلاقها ولا تعاتب ولا تحاسب ولا تدقق،

فالأخلاق كالأرزاق هذا غني وهذا فقير وهذا مقل وهذا مكثر قال تعالى: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ﴾ [سورة الأعراف:١٩٩]، أي: ما سمحت به الناس من أخلاقهم.

٣٢- إذا نصحت فانتق أطيب الكلام فأنت لا تدري ما الذي في قلوب الناس من آلام وجراحات قال تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ [سورة البقرة:٨٣]، وقال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [سورة الإسراء:٥٣].

٣٣- لا تعير أحدا بذنب أو بلاء فقد يعافيه الله ويبتليك بل اشكر ربك الذي عافاك وابتلى غيرك وكن عونا له على الخير والتوبة قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ﴾ [سورة إبراهيم:٧].

٣٤- عش متسامحا مع إخوانك تحب لهم ما تحب لنفسك يحبك الله ويحبك الناس والدنيا أحقر وأسرع من أن نختلف عليها ولأجلها، قال تعالى: ﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة الشورى:٤٠]، وقال: ﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [سورة النور:٢٢]، وقال رسول الله ﷺ: «فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ فلتأتِهِ مَنِيَّتُهُ، وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ»، وقال ﷺ: «وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ».

وقال ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»، وقال ﷺ: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا

فَعلتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفشُوا السَّلَامَ بَينكُمْ».

٣٥- كن سليم القلب حسن الظن رحيم القلب طاهر النفس، التقوى شعارك ودثارك في السر والعلن قال تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ۝٨٩﴾ [سورة الشعراء:٨٨-٨٩]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [سورة الأنفال:٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾ [سورة الطلاق:٢-٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [سورة الحجرات:١٣].

قال ابن الوردي في لاميته:

وأتَّــقِ اللهَ فــتــقــوى الله مــا جاورْت قلبَ امرىءٍ إلا وَصلْ
ليسَ مْن يقطعُ طُرقًـاَ بطلاً إنمـا مـنْ يـتَّـقـي الله الَـبَـطـل

٣٦- إذا صحبت شخصا في الأسفار وعاملته بالأموال، فلم تتغير أخلاقه، فأشدد يديك عليه، فالرجل يُعرف بذلك كما قال الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٣٧- البركة في الرزق والعمر موصولة بحبال صلة الأرحام، قال ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبسَطَ لَهُ في رِزْقِهِ، وَأَنْ يُنسأَ لَهُ في أثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» رواه البخاري ومسلم.

٣٨- لا يثبت في الفتن إلا المخلصون قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [سورة يوسف:٢٤]، والقراءة الأخرى بكسر

اللام في المخلِصين، وهما قراءتان سبعيتان، قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب، وابن عامر بكسر اللام، والبقية بفتحها.

٣٩- البيئة تؤثر صلاحاً وفساداً فاختر بيئة صالحة تعيش فيها، قال ﷺ: «مثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوءِ، كَحامِلِ الْمِسْكِ وَنافِخِ الْكِيرِ، فَحامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»

٤٠- الصاحب ساحب فاصحب من يسحبك إلى الخير والأخلاق والجنة ولا تصحب من يسحبك إلى الشر والهلاك والنار قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ [سورة الفرقان:٢٧-٢٩].

٤١- إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا فكن طيبا في عقيدتك ومدخلك ومخرجك ومطعمك ومشربك وقصدك.

٤٢- احمل هم أمتك واصدق مع ربك ووسع علومك ومداركك فقد تكون أنت الرجل الذي يختاره الله ليقود الأمة ويرفع الله به الأمة قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ [سورة القصص:٦٨]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة:٢٤٧].

٤٣- أطب مطعمك تجب دعوتك قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ

المرسَلِينَ، فقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾، وَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطيلُ السَّفرَ أَشْعثَ أَغبرَ يَمُدُّ يَديْهِ إِلى السَّماءِ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمشْربُهُ حَرَامٌ، وَمَلبسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يستَجَابُ لِذَلِكَ» رواه مسلم.

٤٤- الدنيا لم تصدق مع أحد ولن تصدق مع أحد فهي تكذب على الكل، وتضحك على الجميع، ومن عرف حقيقتها استراح، قال تعالى: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ [سورة لقمان:٣٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة يونس:٢٤]، وقال تعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ [سورة الحديد:٢٠]

٤٥- من يبحث عن السعادة الحقيقية في الدنيا فهو واهم وسيدرك هذه الحقيقة اليوم أو غداً، قال ﷺ: «مَنْ كَانَتِ ٱلآخِرةُ هَمَّهُ جعَلَ اللَّهُ غناهُ في قَلبِهِ، وَجَمعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتتْهُ الدُّنيا وَهيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنيا هَمَّهُ جعَلَ اللَّهُ فقْره بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفرَّقَ عَليه شَمْلَهُ، وَلَم يأتِهِ مِنَ الدُّنيا إِلا مَا قُدِّرَ لَهُ».

٤٦- ابتعد عن عشاق الدنيا ما استطعت فلا خير في صحبتهم وفي ديوان الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومن يذق الدنيا فإني طعمتها   وسيق إلينا عذبها وعذابها
فلم أرها إلا غرورا وباطلا   كما لاح في وجه الفلاة سرابها
وما هي إلا جيفة مستحيلة   عليها كلاب همهن اجتذابها
فإن تجتنبها صرت سلما لأهلها   وإن تجتذبها نازعتك كلابها

وإن فتح الله لك أبواب الرزق والمال والغنى، فاجعل المال في يدك لا في قلبك، وأسعد به الناس وأنفقه في الخير، تسعد به. أنت للمال إذا أمسكته فإذا أنفقته فالمال لك.

٤٧- الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة، هكذا قال ﷺ كما في صحيح مسلم، وقال ﷺ: «خير ما اكتنز الناس لسان ذاكر وقلب شاكر وامرأة صالحة تعينك على أمر دينك ودنياك».

٤٨- مالك ما قدمته بين يديك، ولا تغبط إلا أحد رجلين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه في الخير آناء الليل وآناء النهار، هكذا قال الصادق المصدوق ﷺ.

٤٩- الرضى والقناعة بما أعطاك الله من مال وبنين وصحة ومكانة، تعش سعيدا قال ﷺ: «قد أفلح من أسلم، ورُزِق كفافا وقنعه الله بما آتاه» أخرجه مسلم في صحيحه، فأسعد الناس أرضاهم بما قسم له العليم الحكيم الرحيم.

٥٠- لا تظلم أحدا فإن الظلم عاقبته وخيمة في الدنيا والآخرة، قال ﷺ لمعاذ:

«واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»، وقال ﷺ: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة».

وعندما اجتمع الوزير البرمكي مع ابنه في السجن قال له ابنه بعد الملك والعز صرنا إلى هذا الحال، قال يا بني دعوة مظلوم سرت إلى الله بليل، غفلنا عنها ولم يغفل الله عنها.

٥١- الدنيا كالبحر مليئة بالعجائب والغرائب والمفاجآت وليس لنا إلا الصبر والاستعانة بالله قال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [سورة البقرة:٤٥]، وقال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [سورة الحج:٧٨]، فقد تفاجأ بالظلم من أقرب الناس إليك، وهذا أشدها على النفس، قال الشاعر:

وظلم ذوي القربى أشدُّ مضاضةً ... على النفس من وقعِ الحسامِ المهندِ

٥٢- ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [سورة الحجر:٩].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والحق منصور وممتحن فلا ... تعجب فهذي سنة الرحمن
وبذاك يظهر حزبه من حربه ... ولأجل ذاك الناس طائفتان
ولأجل ذاك الحرب بين الرسل وال ... كفار مذ قام الورى سجلان
لكنما العقبى لأهل الحق إن ... فاتت هنا كانت لدى الديان

فالإسلام محفوظ بنا أو بغيرنا، فإذا تقاعس العرب عن نصرة الإسلام، هيأ الله العجم، وقد ينصر الله دينه بالطير كما في سورة الفيل، وقد ينصره بالرياح كما في غزوة الخندق، ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ فالإسلام لن يموت، وإنما يُمتحن ويُختبر

أتباعه، ومن قام بنصره، فالشرف له، ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾ [سورة محمد:٣٨].

وقد ذهب أعداء الإسلام وذهب كيدهم أدراج الرياح وبقي الإسلام عزيزا شامخا محفوظا بحفظ الله له.

٥٣- ما كان لله دام واتصل:

﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [سورة الرعد:١٧]، لا تغترّ بزخمِ الأضواء، ولا بقرعِ الأقدام خلف بعض الأسماء.. ما كانَ للَّه يبقى، وما يصّح إلا الصحيح، فقد ظهر أشخاص في الساحة فجأة، ثم اختفوا فجأة، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.

بينما بقي علم ابن تيمية الذي مات في السجن، والأمثلة كثيرة فما كان لله دام واتصل وما كان لغيره انقطع وانفصل وبطل، وما أعظم هذا الحديث الذي قطع قلوب المخلصين، قال الإمام الترمذي: حَدَّثَنَا سُوَيْدُ بْنُ نَصْرٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ المُبَارَكِ قَالَ: أَخبَرَنَا حَيْوَةُ بْنُ شُرَيْحٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي الوَلِيدُ بْنُ أَبِي الوَلِيدِ أَبُو عُثْمَانَ المَدَنِيُّ، أَنَّ عُقْبَةَ بْنَ مُسْلِمٍ، حَدَّثَهُ أَنَّ شُفَيًّا الأَصْبَحِيَّ، حَدَّثَهُ أَنَّهُ، دَخَلَ المَدِينَةَ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَدْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: أَبُو هُرَيْرَةَ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ حَتَّى قَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يُحَدِّثُ النَّاسَ، فَلَمَّا سَكَتَ وَخَلَا قُلْتُ لَهُ: أَسْأَلُكَ بِحَقٍّ وَبِحَقٍّ لَمَا حَدَّثْتَنِي حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَقَلْتَهُ وَعَلِمْتَهُ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَفْعَلُ، لَأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ عَقَلْتُهُ وَعَلِمْتُهُ، ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً فَمَكَثْنَا قَلِيلًا ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ: لَأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا البَيْتِ مَا مَعَنَا أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُهُ، ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً شَدِيدَةً، ثُمَّ أَفَاقَ فَمَسَحَ وَجْهَهُ فَقَالَ: أَفْعَلُ، لَأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا وَهُوَ فِي هَذَا البَيْتِ مَا مَعَنَا أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُهُ، ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً شَدِيدَةً، ثُمَّ مَالَ خَارًّا عَلَى وَجْهِهِ فَأَسْنَدْتُهُ عَلَيَّ طَوِيلًا، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ يَنْزِلُ إِلَى العِبَادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ وَكُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٌ، فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ القُرْآنَ، وَرَجُلٌ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ كَثِيرُ المَالِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لِلْقَارِئِ: أَلَمْ أُعَلِّمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عُلِّمْتَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ المَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ فُلَانًا قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ، وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ المَالِ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلَمْ أُوَسِّعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدَعْكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ وَأَتَصَدَّقُ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ المَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ، وَيُؤْتَى بِالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: فِي مَاذَا قُتِلْتَ؟ فَيَقُولُ: أُمِرْتُ بِالجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ المَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ "، ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رُكْبَتِي

فَقَالَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللَّهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ» وأصل الحديث في مسلم.

وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [سورة هود:١٥-١٦].

٥٤- ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [سورة النحل:١٢٥]، وقال تعالى لموسى وهارون عليهما السلام أن يقولا لفرعون قولًا لينا: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [سورة طه:٤٤].

وحاجة الدعاة اليوم إلى القول اللين في مخاطبة الناس أشد من حاجة الدعاة في السابق إلى القول اللين، والكل بحاجة إليه فلا يأسر القلوب ويكسبها كالأخلاق الطيبة والمعاملة الحسنة، إلا أن الناس اليوم قد اشتد جهلهم، وضعف إيمانهم وفتحت عليهم الدنيا، واختلطوا بغيرهم أجسادا وثقافة إلا من رحم الله، فصارت الحاجة ماسة إلى الحكمة والصبر والحلم والأخلاق الحسنة في هذا الزمان والله المستعان.

٥٥- لا جديد في علاقتنا مع الكفار إلا الغباء، ولا جديد في علاقتهم معنا إلا المكر والدهاء، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ

أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [سورة آل عمران:١١٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [سورة البقرة:١٢٠].

٥٦- إذا كان عدوك نملة فلا تنم له لا تنم لعدوك ولو كان نملة، وقد شرع الله صلاة الخوف ليأخذ المسلمون حذرهم حتى وهم يصلون، والمؤمن كيس فطن، قال صلى الله عليه وسلم، لا يُلدغ المؤمن من جحر مرتين، وهل ضاعت الأندلس وفلسطين إلا بسبب النوم والغفلة، والتشاغل بالخلافات الداخلية، عن كيد الأعداء ومكرهم، قال تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [سورة البقرة:١٠٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْ﴾ [سورة البقرة:٢١٧]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [سورة آل عمران:١١٩]، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا﴾ [سورة النساء:٧١]، وقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡ﴾ [سورة الأنفال:٦٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾ [سورة آل عمران:١٢٠]،

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران:١٣٩]، وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة آل عمران:٢٠٠].

٥٧- العاقل من يضع الحزم موضعه، واللين موضعه، وإلا اختلت الأمور، قال تعالى: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [سورة البقرة:٢٦٩].

قال الشاعر:

ووضعُ الندى في موضع السيف بالعلا ... مُخل كوضع السيف في موضع الندى

والندى: الكرم.

وفي مجالس التفسير للعلامة الشنقيطي رحمه الله: الشدة في محل اللين حُمق وخَرق، واللين في محل الشدة ضعف وخوَر.

إذا قيل: حلم، قل: فللحلم موضع، وحلم الفتى في غير موضعه جهل.

٥٨- أوسع عطاء وخير عطاء الصبر:

قال النبي ﷺ: «وَمَا أُعطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصبْرِ» أخرجه البخاري ومسلم.

فالصبر قاعدتك وسلمك وسلاحك وزادك في الصعود إلى العلو، والبناء، والنصر على الأعداء، وتجاوز المشاق، وفعل الطاعات وترك المعاصي والمنكرات، وعند نزول المصائب والابتلاءات، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [سورة

البقرة:٢٤٩]، ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [سورة آل عمران:١٤٦]، ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [سورة الزمر:١٠].

والصبر مثل اسمه مر مذاقته ... لكن عواقبه أحلى من العسل

ويقال لأهل الجنة: ﴿سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [سورة الرعد:٢٤].

٥٩- القمة العالية تحتاج إلى همة عالية، وفي سورة الكهف قوله تعالى عن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾ [سورة الكهف:٦٠]، وقال عن ذي القرنين: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾﴾ [سورة الكهف:٨٣-٨٦].

وأما سيد العظماء ﷺ، الذي بعثه الله، والأمة قد غرقت في الجهل والظلام والضلال، قال المقداد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كما في المسند: (وَاللَّهِ لَقَدْ بَعَثَ اللَّهُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى أَشَدِّ حَالٍ بُعِثَ عَلَيْهَا نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فِي فَتْرَةٍ وَجَاهِلِيَّةٍ، مَا يَرَوْنَ أَنَّ دِينًا أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ) فلم يمت ﷺ إلا وقد قضى على الجهل والجاهلية والوثنية والفرقة والعصبية، وتركهم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، ثم خلّف رجالا أهل علم وحكمة وهمة وذكاء وزكاء وأخلاق وآداب، فتحوا مشارقها ومغاربها، بالعدل والإحسان والخير والعلم والهدى.

وفي ديوان الشافعي:

بقَدْرِ الكَدِّ تُكْتَسَبُ المعالي ... ومَن طَلَبَ العُلا سَهِرَ اللّيالي
ومَنْ رَامَ العُلا مِن غيرِ كَدٍّ ... أضاعَ العُمْرَ في طَلَبِ المُحَال
تَرومُ العِّزَ ثُم تنامُ ليلاً ... يَغوصُ البحرَ مَن طَلَبَ اللآلئِ
علوُّ القَدْرِ بالهِمَمِ العوالي ... وعزُّ المَرءِ في سَهَرِ الليالي

وقال آخر:

دببتُ للمجدِ والساعون قد بلغوا ... جَهْدَ النفوس وألقوا دونه الأُزُرا
وكابدوا المجد حتى ملَّ أكثرُهم ... وعانقَ المجدَ مَن أوفى ومَن صَبَرَا
لا تحسَب المجدَ تمرًا أنَت آكلُه ... لن تبلَغ المجد حتى تلعَق

وقال المتنبي:

لا يُدرك المِجدَ إّلاَ سيّدٌ فَطِنٌ ... لِمَاَ يشُقُّ عَلى الّساداتِ فَعّالُ
لَوْلا المشقة سادَ النّاسُ كُلُّهُمُ ... ألجُوُدُ يُفقِرُ وَالإقدامُ قتَّالُ

خذوا الحكمة من لقمان الحكيم، قال لقمان لابنه وهو يعظه: يا بني جمعت لك حكمتي في ست كلمات هي:

أن تعمل للدنيا بمقدار بقائك فيها، وأن تعمل للآخرة بقدر بقائك فيها، واعمل من المعصية بقدر ما تطيق من العقوبة، واعمل لله بقدر حاجتك إليه، وإذا أردت أن تعصي الله فاعصه في مكان لا يراك فيه.

٦٠- الاجتماع قوة والفرقة ضعف، قال الله تعالى آمرا بالاجتماع على الحق: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [سورة آل عمران:١٠٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [سورة

الأنفال:٤٦]، ريحكم، أي: قوتكم.

قَالَ النبي ﷺ: «يَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ» حديث صحيح رواه أصحاب السنن.

ومن أساليب أعداء الإسلام الخطيرة «فَرِّق تَسُدْ» أي تكن أنت السيد وصاحب السيادة.

يروى أن المهلب بن أبي صفرة لما أشرف على الوفاة، استدعى أبناءه السبعة.. ثم أمرهم بإحضار رماحهم مجتمعة، وطلب منهم أن يكسروها، فلم يقدر أحد منهم على كسرها مجتمعة، فقال لهم: فرقوها، وليتناول كل واحد رمحه ويكسره، فكسروها دون عناء كبير، فعند ذلك قال لهم: اعلموا أن مثلكم مثل هذه الرماح، فما دمتم مجتمعين ومؤتلفين يعضد بعضكم بعضاً، لا ينال منكم أعداؤكم غرضاً، أما إذا اختلفتم وتفرقتم، فإنه يضعف أمركم، ويتمكن منكم أعداؤكم، ويصيبكم ما أصاب الرماح:

كونوا جميعًا يا بنيّ إذا اعترى ... خطبٌ ولا تتفرقوا آحاداً
تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسراً ... وإذا افترقن تكسرت أفراداً

الفهرس